الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية
قسنطينة

كلية الآداب و العلوم الإنسانية
قسم التاريخ

رقم التسجيل : .....
الرقم الترتيبي : .....

الصناعة الحرفية بالمغرب الأوسط في عهد بني حماد

(398-547هـ/ 1007-1252م)

رسالة في التاريخ الإسلامي لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالب:كمال صادقي

إشراف الدكتور:إسماعيل سامعي

لجنة المناقشة :

اللجنة	الاسم و اللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية
الرئيس	د.ابراهيم بحاز	أ.ت.ع	جامعة منتوري
المقرر	د.إسماعيل سامعي	أ.محاضر	جامعة الأمير عبد القادر
العضو	د.علاوة عمارة	أ.محاضر	جامعة الأمير عبد القادر
العضو	د.محمد فرقاني	أ.محاضر	جامعة الأمير عبد القادر

تاريخ المناقشة: 11مارس 2007.

السنة الجامعية 1427-1428 هـ / 2006 – 2007 م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قال الله تعـــالى

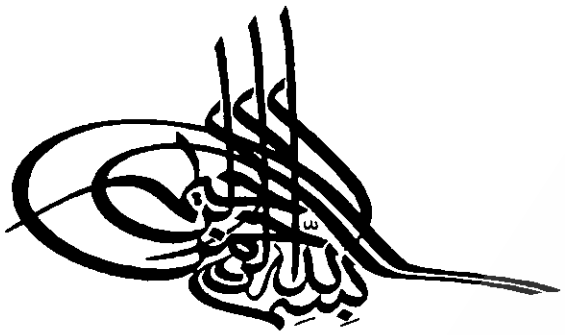

﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾

(الكهف: 96)

صدق الله العظيم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمـــــــــــــــــــــــة

إن موضوع " **الصناعة الحرفية بالمغرب الأوسط** " على عهد دولة بني حماد، التي امتدت في أكبر رقعة جغرافية للجزائر اليوم، لا سيما في القلعة وبجاية اللتين قامتا بدور حضاري كبير في تلك الحقبة من الزمن، وأنّ آثار هذه الحضارة لازالت إلى اليوم بادية للعيان، سواء في الصناعات التقليدية الفخارية أو الخزفية، أو في العمارة ونقوشها، وعلى الحلي والصناعات النحاسية والحديدية وما إلى ذلك.و أيضا تطور صناعها، و انتظام حرفييها في الأسواق و الأحياء التي كانت مخصصة لهم، و أحوالهم و مكانتهم الاجتماعية والدور الذي كان لهم و أهميتها في تطوير المجتمع الحمادي.

انطلاقا من نقص البحوث العلمية في المجال التاريخي و الاقتصادي و الاجتماعي، فيما يخص المغرب الأوسط في القرون الوسطى، ارتأيت أن أبحث هذا المجال الصعب، اعتمادا على التوجه الجامعي الأكاديمي في سبيل البحث التاريخي و الاجتماعي.

و لأن البحوث الجامعية في عصرنا قد أخذت هذا المنحى في إبراز أوجه النشاط الاقتصادي والاجتماعي لبلاد المغرب الإسلامي، رأيت الإسهام بعمل علمي يلقي الضوء على جانب من هذه الجوانب، و اقتصرت في بحثي على القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي.

حيث أن المد الاقتصادي و التحولات الاجتماعية حدثت في هذه الفترة، فيلاحظ في بلاد المغرب عموما، حركة تجارية ضخمة في الداخل والخارج، تطورت معها الصناعة الحرفية، والتي أخذت مجالا و اسعا في الحركة الاقتصادية وبنية المجتمع الحمادي وتطوره، سواء في المدن أو القرى كما ظهرت الأسواق الكبيرة و المتنوعة التي عمت تقريبا جميع الأراضي الحمادية، و الشاهد على ذلك تلك العمائر و الخرائب الباقية إلى يومنا هذا.

و هذه الدراسة لا تستقيم إلا بالاعتماد على فهم الظروف التاريخية التي كانت عليها الدولة الحمادية، ووضعها في إطارها الصحيح، والتي تعد نتاجا لأسباب عميقة تاريخية قامت عليها الدولة الحمادية، وإحدى الإفرازات الكبيرة المذهبية في بلاد المغرب الأوسط، الذي كانت تتجاذبه ثلاثة تيارات مذهبية كبيرة، اليد الشيعية التي خلفها الفاطميون في بلاد المغرب، قبل رحيلهم إلى مصر

وظهور الزيريين أحلافهم في إفريقية ، وانفصال حماد بن بلكين بالمغرب الأوسط، وإعلان ولائه للمذهب المالكي، ومن المعروف أن المغرب الأوسط كان مسرحا للصراع المرير الذي قام بين أبي زيد خالد بن مخلد بن كيداد، والسلطة الشيعية من جهة في المهدية، وولائه للأمويين بالأندلس من جهة أخرى، أعدائهم الألداء في محاولة السيطرة عليه و لاسيما على الطرق التجارية الكبرى.

لأجل ذلك قمت بدراسة هذه المرحلة التاريخية من بلاد المغرب الأوسط، حيث حاولت التطرق إلى أصالة التجربة الحمادية في إقامة الصناعات و الحرف.و رصدت التنافس الذي كان قائما بين الدول و الأمم التي تسعى إلى كسب ود هذه الدولة، و ترسيم علاقات دبلوماسية معها لا سيما الدول الأوروبية في بحر الروم (حوض البحر الأبيض المتوسط)، وأخص بالذكر هنا البندقية و جنوة الدولتين اللتين تملكان أساطيل تجارية واسعة، وتبادلات ضخمة مع بجاية، عاصمة الحماديين في هذه الحقبة التاريخية.

وفي خضم هذه الأجواء، نشأت الدولة الحمادية و بسطت نفوذها خصوصا على الجهة الشرقية لبلاد الجزائر، كما نعرفها اليوم، ولكنها تفوقت في الحياة الاقتصادية و الاجتماعية وعرفت بصناعتها الحرفية التي أكسبتها شهرة واسعة في الآفاق في تلك المرحلة التاريخية الرائعة؟

أما أسباب أو دوافع اختياري لهذا الموضوع "الصناعة الحرفية في العهد الحمادي بالمغرب الأوسط" فمنها: إن حقبة الدولة الحمادية تمثل مرحلة زمنية من تاريخ بلاد الجزائر والتي تعد من أوائل الكيانات الحضارية التي لها سمات جزائرية إقليمية، توحدت فيه جميع المشاعر والأحاسيس والأفكار و التيارات الفكرية، و المنتجات الصناعية.

كما أن قلّة الدراسات والبحوث التاريخية التي تتناول الجوانب الحضارية عامة، والحرف وتنظيماتها بالمغرب الأوسط خاصة، كانت من جملة الدوافع إلى خوض هذا الجانب في العهد الحمّادي.

و تكمن **إشكالية** الموضوع في الأسئلة الآتية:

1-كيف استطاعت هذه الدولة الناشئة، وسط تلك الأجواء المشحونة من إنشاء صناعة حرفية متكاملة، و بالتالي ما هو دور السلطة الحمادية في تسيير الحركة الصناعية و الحرفية خلال هذه المرحلة التاريخية؟.

2- ما هي العوامل المساعدة على بروز صناعة حرفية حمادية؟و هل كانت هذه الصناعة الحرفية متنوعة؟.

3- ما هو واقع الصناعة الحرفية؟ و كيف كان دورها في تنشيط الحياة الاقتصادية في العهد الحمادي؟.

4- ما هو المستوى الذي بلغته من دقة في الصنع و قوة في الإنتاج في ظل دولة بني حماد، خلال القرن الخامس الهجري، و النصف الثاني من القرن السادس الهجري؟.

5- كيف كان تأثيرها على الحركة التجارية الداخلية من خلال الأسواق؟ و كيف أسهمت في حركة التجارة الداخلية؟.

6- ما هو مستوى الرقي الذي بلغته التنظيمات الحرفية في حواضر المدن الحمادية؟.

7- ما هي أنواع الحرف التي وجدت في المدن الحمادية و أين تمركزت في أغلبها، و الأسباب التي أدت إلى هذا التمركز؟.

8- وما هو حجم الصادرات الحمّادية للمنتوج الحرفي إلى الدول الإسلامية وغير الإسلامية التي كانت على علاقات تجارية معها ؟ وما تأثير الواردات من الصناعة الحرفية التي تصل القلعة و بجاية، على الصناعة الحرفية المحلية للدولة الحمادية؟

9- كيف اعتاد الصنف الحرفي أن يمارس عملية البحث والشراء في الأسواق والدّكاكين، وما هي الضوابط السلوكية التي مارسها في حياته اليومية ؟.

10- و هل وفق المجتمع الحمادي في خلق خصوصية حرفية ميزته عن بقية الأمم و الدول المعاصرة له؟.

وانطلاقا مما تقدم سيحاول البحث الوصول إلى تحقيق عدد من الأهداف التي أقدم بعضها فيما يأتي:

1- إبراز معالم هذه الصناعات و تحديد مميزاتها و معالم التطور الحضاري في هذه الفترة.

2- الإسهام في إبراز ذخائر تاريخ الأمة الجزائرية، و تقديمها للنشء الذي ينبغي أن يتعرف على مدى مساهمة الآباء و الأجداد أو السلف في الحضارة العالمية و دفعها إلى الأمام.

3- إيضاح صورة الحضارة الحمادية، خاصة فيما أنتجته الحرف المعدنية.

4- إبراز معالم تنظيم السوق في الدولة الحمادية، و الحرف المتصلة به و أهميتها في تسيير الحركة الاقتصادية للدولة.

5- تبيان حقيقة الحرف التي وجدت في العهد الحمادي و المستمدة أساسا من الموارد الزراعية والحيوانية ، إذ فصلت هذه الدراسة في الحرف التي كانت منتشرة في الدولة الحمادية، من صناعة نسيجية، وجلدية، و خياطة وحياكة، و قزازة وهلم جر.

6- إثبات العلاقة الموجودة بين الصناعات الغذائية من جهة، والنظم الفلاحية و الزراعية التي وجدت في العهد الحمادي من جهة أخرى، كصناعة الزيوت.

7- الإسهام في إثراء البحث العلمي و المكتبة الجامعية الجزائرية.

لقد اعتمدت في هذا البحث على المزج بين **المنهجين** الوصفي، و الاستقرائي المبنيين على المقارنة والمقاربة؛ والسبب في ذلك أن المصادر التاريخية و الجغرافية التي استقيت منها المعلومات والأخبار التاريخية توسعت في تقديم المعلومات الخاصة بالدول المجاورة للحماديين، لا سيما الدولة الزيرية ، باعتبارها كانت حاضرة الفاطميين و الأغالبة من قبل، في حين كانت مقتضبة في أخبار الحماديين و ما جرى على أيديهم من أحداث و إنجازات.

ولا ريب أن البحث في هذا الموضوع واجهته **بعض الصعوبات**، منها ما تعلق باستنطاق الواقع الاقتصادي والاجتماعي في مجال التاريخ الاقتصادي والاجتماعي في العهد الحمادي.

وجملة هذه الصعوبات أقدمها ملخصة في النقاط الآتية:

1- قلة المصادر التاريخية للقرن الخامس الهجري و النصف الأول من القرن السادس الهجري ، التي تخص الحقبة الحمادية، لا سيما التي تناولت الجانب الحرفي في عهد هذه الدولة.

2- قلة المصنفات التي اهتمت بالتاريخ الاقتصادي المغربي لهذه الفترة، لا سيما إبان الحقبة الحمادية، مما صعب من مهمة فهم جوانب كثيرة من تفاعل الحركة الاقتصادية و الحرفية في المجتمع الحمادي.

3- المفاهيم الاقتصادية الواردة في ثنايا المدونات الفقهية و المصادر التاريخية التي يشوبها كثير من الغموض، في التعبير عن حقيقة ما تشير إليه لأجل ذلك يجد الباحث تشويشا كبيرا على فكره في تصنيف الحرف، و طرق الإنتاج، ونظرة الناس للحرفة و الحرفيين في تلك المرحلة التاريخية.

4- صعوبة التنقل إلى أماكن الحصول على الموارد الأولية لهذا البحث.

5- الظروف المادية التي حالت دون انتقالي إلى تونس حيث يمكن الحصول على مصادر أخرى . قد تضيف شيئا لهذا البحث.

إن طبيعة هذا البحث جعلتني أعود إلى مجموعة من **المصادر و المراجع** ، تناولت أخبارها وتحليلاتها الحقبة الزمنية التي درستها وهي متعددة و متنوعة، أعرض أكثرها فائدة بالنسبة لبحثي مرتبة في محاور كالآتي:

أولا: كتب الجغرافيا و الرحلات:

نظرا لأهمية المصادر الجغرافية و كتب الرحلات في إثراء هذا الموضوع، بمختلف أنواعها وطبيعتها سواء ألفت قبل الحقبة المدروسة أو بعدها، فإنني اعتمدت عليها اعتمادا كبيرا في رصد المعلومات الاقتصادية، لا سيما التي تخص الحرف في هذه الفترة وهي:

* "**صورة الأرض**" للجغرافي أبي القاسم النصيبي المشهور بابن حوقل، (ت**368**هـ/ **978**م). إذ يعتبر هذا المصدر، من المصادر قريبة العهد جدا من الفترة قيد الدراسة ثم إنه أول مصنف جغرافي اقتصادي تحدث عن النشاطات الاقتصادية و الحرفية في بلاد المغرب عموما و الأوسط خصوصا في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، وإن كانت معلوماته سابقة عن الفترة المدروسة فهي لا غنى عنها، لا سيما و أن هذا الجغرافي، قد زار بلاد المغرب، ورصد في كتابه معلومات اقتصادية لها أهمية كبيرة في فهم النشاطات الحرفية والمعاملات المهنية في تلك المرحلة، خاصة وأنه قام بوصف المدن المغربية وصفا دقيقا من ناحية هذه المعاملات.

و أهم ما يسترعي انتباه الباحث في مؤلف (**ابن حوقل**)، التفاصيل الدقيقة التي أوردها فيما يخص دور الحرفيين في ممارسة مهنهم، كالحمالين وأصحاب حرفة الرعي المنتشرة بكثرة في بلاد المغرب الأوسط، وكذلك حرفة الصيد بنوعيها الصيد البحري و النهري الموجود في وادي الصومام بنواحي بجاية، ووادي الشلف ووادي المسيلة، كما رصد الحركة التجارية و مسالكها في بلاد المغرب الأوسط، باعتباره كان تاجرا متمرسا يبحث على الصفقات التجارية الواسعة؛ ووصف الأراضي و المدن الحمادية وصفا دقيقا، و يستشف الباحث من هذا المصدر التحولات التي طرأت على المجتمع الحمادي في جوانب الصناعة الحرفية و تموقعها في المدن و الأسواق و القرى. حيث أفاد البحث إفادة كبيرة، لاسيما من حيث الدقة في استقاء المعلومات عن الحرف التي كانت موجودة بالأراضي الحمادية.

***"البلدان"**، لليعقوبي أحمد بن يعقوب بن واضح، (ت **286هـ/898م**)، معلوماته دقيقة ومعبرة عن الحالة الاقتصادية، و الاجتماعية التي كان عليها المغرب الأوسط قبل فترة الدراسة، إذ تعرض بالتفصيل للتركيبة السكانية، والميول المذهبية و المهنية، موضحا القبائل التي كانت تقطن هذه البلاد، ومحددا بدقة توزعها الجغرافي، و العناصر الجنسية من عرب وبربر و صقالبة وأهل ذمة من يهود و نصارى، وبذلك رصد التحولات الاقتصادية و الاجتماعية التي طرأت على بلاد المغرب الأوسط في تلك الظروف التاريخية.

* " **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**" للمقدسي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الأبشاري (ت**388هـ/ 998م**)، و هو من بين المصادر المشرقية التي تحدثت عن مدن بلاد المغرب الأوسط وقد حرره في سنة **375هـ/ 985م** أي حوالي 30سنة قبل قيام الدولة الحمادية موضوع دراستنا ،وبدأت هذه الدراسة انطلاقا من سنة 398هـ، على اعتبار أن حماد بن بلكين مؤسس الدولة الحمادية قد عين من قبل ابن أخيه باديس حاكم الزيريين في المهدية، واليا على القلعة، ومن ثمة بدأ حماد في التخطيط منذ ذلك التاريخ بالانفصال عن الدولة الزيرية و تكوين مملكة له و لأحفاده من بعده، وهذا ما تم له بالفعل في سنة 408هـ.

وقد أفدنا منه كثيرا لأنه رصد مجالات واسعة عن الموارد الزراعية و الفلاحية وتنظيمها في بلاد المغرب، كما أفاد في مجال الصناعات القائمة على الموارد الزراعية التي تضمنها الفصل الأول من هذا البحث؛كصناعة الجلود و السروج.

* "**المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب** "، و هو جزء من كتاب **المسالك و الممالك** لأبي عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت **487**هـ/ **1094**م)، و المعروف عنه لم يبرح الأندلس، و أنه جمع معلوماته من بعض الرحالة و الجغرافيين منهم محمد بن يوسف الوراق. (ت**363**هـ/ **973**م)، وقد انتقده كثير من المؤرخين في اعتماده على الرواية الشفوية في تأليفه خاصة و أنه لم يزر بلاد المغرب قط.

وتأتي أهمية هذا المصنف فيما احتواه من معلومات اقتصادية هامة تخص بلاد المغرب الأوسط، و هذا المصدر جاء في بعض الأحيان مفصلا للنشاطات الحرفية و المهنية التي وجدت في فترة الدراسة.

* "**الاستبصار في عجائب الأمصار**"، لكاتب مراكشي مجهول من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي قيل هو حفيد ابن عبد ربه، يمتاز هذا المصنف بأنه أوسع تفصيلا في ذكر النشاطات الاقتصادية بالمغرب الأوسط، و يعد شاهد عيان لما وصلت إليه الحضارة في العهد الحمادي من أوج الرقي و التمدن ، وتطور الصناعات و الحرف في مدنها و حواضرها الكبرى، لا سيما بجاية التي أخذت المشعل عن القلعة؛ و تألقت عاصمة للحماديين في طورها الثاني.

*"**معجم البلدان**"، لياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله الحموي، (ت**626**هـ/**1229**م)، وقد أفاد البحث كثيرا في تحديد مواقع المدن الحمادية وفي الحرف الزراعية والصناعية التي تخص كل مدينة من المدن.

أما ابن سعيد المغربي (ت**685**هـ /**1286**م، في مؤلفه " **كتاب الجغرافيا** "فقد أفادني في تحديد مواقع المدن وقرى الدولة الحمادية بدقة متناهية، كما ركز على أهم المحاصيل الفلاحية والصناعات التي اشتهرت بها كل بلدة.

و في الأخير، فيما يخص هذا الصنف من المصادر فإن الركيزة الأساسية في هذا البحث قامت على المعلومات الدقيقة و الرائعة وصفا التي قدمها الإدريسي أبو عبد الله محمد الملقب بالشريف. (ت**558**هـ/**1162**م)، في مؤلفه الشهير (**نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**)، والذي يعد مصدرا أساسيا مهما في معرفة التطورات الاقتصادية التي حدثت في بلاد المغرب الأوسط في الفترة الحمادية، خاصة تلك القائمة على الموارد الزراعية و الحيوانية و المعدنية؛ فرغم أن الإشارات فيه جاءت متناثرة، إلا أنها مفيدة.

ثانيا/ كتب الطبقات و التراجم و السير و المناقب

أفاد بحثي كثيرا هذا النوع من المصادر، لا سيما في الفترات السابقة و اللاحقة لهذه الدراسة ، من حيث جهود العلماء والفقهاء و أحوالهم المهنية، و الاجتماعية؛وتعاملاتهم التجارية والنقدية. وقد مكنتني من اكتشاف الحرف المتجذرة في المجتمع الحمادي، و بالتالي إعطاء صورة تقريبية للمهن التي اعتنى بها الحرفي من خلال الفتاوى و النوازل التي جاءت متناثرة في هذه المؤلفات التي نعرض أهمها فيما يأتي:

" **كتاب طبقات علماء إفريقية وتونس**"، لأبي العرب محمد بن أحمد بن تميم. (ت**333**هـ/**944**م).

*كتاب "**رياض النفوس في طبقات علماء القيروان و زهادهم و عبادهم و نساكهم و سير من أخبارهم وفضائلهم و أوصافهم**" لأبي بكر عبد الله بن محمد **المالكي**، (ت**474**هـ/**1081**م). ومصنف " **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**" للقاضي عياض. (ت**544**هـ/**1149**م)، و "**معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**" **لعبد الرحمن بن محمد الأنصاري الدباغ**، (ت **696**هـ/**1296**م)، إلى جانب كتاب " **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب مع نيل الابتهاج لتطريز الديباج** " لابن فرحون، (ت **799** هـ /**1397** م)، الذي أفاد البحث فيما يخص الحرف التي مارسها الفقهاء و العلماء وتتميز هذه المصنفات بأنها تحدد أماكن وجود العلماء في المدن التي زاولوا فيها مهنهم، من ذلك ذكرها أبا عبد المالك البوني

الخياط نسبة إلى مدينة بونة (عنابة) في الحقبة الحمادية.و ليس بالضرورة أن تكون الحرف للعلماء و إنما أيضا للعامة الذي يأتي ذكرهم.

و أفاد البحث كتاب"**عنوان الدراية فيما عرف من العلماء في المائة السابعة في بجاية**"لأبي العباس الغبريني **إفادة كبيرة في التعريف بالعلماء و الفقهاء الذين مارسوا حرفا متعددة في أسواق** بجاية، وأحوالهم المهنية، و مستواهم الاجتماعي، **وما تمتعوا به من مكانة اجتماعية كبيرة في المجتمع** الحمادي. و إن كان هذا المصدر متأخرا عن فترة البحث.

كما اعتمدت في هذه الدراسة أيضا على كتب اختصت بعلماء المذهب الإباضي منها كتاب "**طبقات المشايخ بالمغرب**" لصاحبه أبي العباس أحمد بن سعيد بن سليمان بن علي المعروف بالدرجيني (ت **670**هـ/ **1270**م)، حيث استفدت منه كثيرا في **مجال الصناعة النسيجية**، وحرفة الرعي عن طريق المقاربة بين ما هي في جبل نفوسة و بلاد الجريد، **وتلك الموجودة في بلاد المغرب** الأوسط على عهد بني حماد.

أما بالنسبة لكتب السير فيبرز كتاب " **سير الأئمة و أخبارهم**" لأبي زكريا يحي بن أبي بكر،(ت **471**هـ/ **1178**م)، الذي استعنت به في مجال الصناعة الفلاحية، لا سيما ما تعلق منها بالصناعة الحرفية الرستمية. و ما زخرت به دولتهم في مجال الصناعة و الحرف، وتعد أهمية كتاب "**السير**"، لأبي العباس أحمد الشماخي(ت**928**هـ/**1522**م)، في إيراده بعض الإشارات الحرفية. ودور الفلاح الحرفي في كيفية جني المحاصيل الزراعية، و النظم الحرفية التي طبقها الحرفي والأدوات الصناعية التي استعملها في حرث الأرض، و كذلك حرفة الرعي التي فصلها في هذا المصنف.رغم أن هذا المصدر متأخر زمنيا عن الفترة المدروسة.

و استعنت بكتاب آخر سجل لنا أخبار الفاطميين هو كتاب "**سيرة الأستاذ جو ذر**" لأبي علي المنصور العزيزي الجوذري، (ت**386**هـ/**996**م)، الذي تكمن أهميته في أنه أورد الوثائق الرسمية التي صدرت عن الخلفاء الفاطميين و بها توقيعاتهم، وخاصة فيما يتعلق بالزراعة والصناعة، وإن كانت هذه المعلومات لا تخص بحثنا مباشرة، لكنها تعطي مقاربة عن واقع الحماديين فيما يخص دور الحرفيين و أصحاب الحسبة، في كيفية تسيير الدكاكين في الأسواق وأماكن العمل.

وأفدت من كتاب، "**الخطط المقريزية، المسماة بالمواعظ و الاعتبار بذكر الخطط والآثار**". لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي، (ت**845هـ/1441م**)، الذي تضمن بين ثناياه معلومات قيمة عن كيفية صنع التحف بالمغرب، والتي نقلها **المعز لدين الله الفاطمي** معه، لما رحل إلى القاهرة. و تضمن معلومات هامة لتلك التحف التي صنعت في بلاد المغرب، و أمكن الاستفادة منها. كصناعة الحلي و المجوهرات و الزخارف الموجودة على التحف الحمادية المحفوظة بالمتاحف.

وأحمد المقرّي التلمساني في كتابه " **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** "، و البيدق في "**أخبار المهدي**"، اللذان أشارا إلى عصر بني حمّاد وذكرا بعض صناعاتهم الحرفية وتنظيماتهم.

ثالثا/ كتب الفقه و الأحكام و النوازل و الحسبة

اهتمت هذه المصادر بكل ما يمت بصلة للحياة الاجتماعية و الاقتصادية التي مست المسلمين أفرادا وجماعات، وكان لهذه المؤلفات اليد الطولى، في إخبارنا بنوع من التدقيق بالمعاملات التجارية و النقدية، وتبادل السلع في الأسواق، لذا أفادت بحثي فائدة كبيرة نذكر منها:" **جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام**"، لصاحبه أبي القاسم بن أحمد البلوي التونسي المعروف بالبرزلي (ت **841**هـ/ **1438**م)، والذي تكمن أهميته في نقله للأحكام والنوازل التي صدرت في القرن الخامس الهجري وقبله، وما تعلق بها من الصناعات والحرف التي كانت سائدة في العصر الحمادي.

ويعد كتاب " **المعيار المغرب و الجامع المعرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب**" لصاحبه أبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي، (ت**914هـ/1508م**)، من بين أهم المصادر الأساسية التي أفادت هذا البحث، لأن جميع النوازل التي بدرت في العهد الحمادي في القلعة وبجاية يكاد هذا الكتاب يكون مصدرها الوحيد. فغالبا ما يشير إلى الفقهاء و العلماء الذين عاصروا الحماديين بفتاويهم، كفتاوى أبي حفص الصابوني في القلعة، و القاضي ابن عبد الرفيع. واللخمي وغيرهم حيث تناول ما كان يعرض لأرباب السلع في الأسواق، وأرباب الحرف في صنائعهم وتنقلاتهم وتعاملهم مع الناس، فهذه الفتاوى و النوازل سجلها هؤلاء لما كانوا يترجمون لعلماء المغرب في القرن الخامس الهجري،أو القرون التي جاءت بعده.

ومن الكتب الفقهية التي أفدت منها كتاب " **دعائم الإسلام**"، لمؤلفه الشيعي الإسماعلي القاضي النعمان بن محمد (ت363هـــ/973م)، وإن كان تأليفه سابقا للمرحلة التي تعني هذا البحث، غير أنه يقدم لنا توضيحات و معلومات جليلة فيما يخص الحرف و الصناعات وتنظيمها. و حالة الأسواق في الحقبة الفاطمية في بلاد المغرب، وهي في حقيقة الأمر لا تختلف عن الفترة الحمادية لقرب عهد الدولتين زمانا و مكانا، فلا بد أن الحماديين قد تأثروا بالنظم الاقتصادية الفاطمية، وترتيبهم لمهنهم و أسواقهم، وهذا ما يجعل معلومات البحث تزداد تأصيلا و توثيقا.

أما "**المدونة الكبرى**"، للإمام سحنون بن سعيد ، (ت **240هـــ/ 854م**)، وإن كانت هذه الوثيقة سابقة للفترة المدروسة أيضا، فهي غالبا ما كانت العمدة لعلماء القلعة و بجاية يلجأون إليها في كثير من الفتاوى التي تخصّ الخصومات والمعاملات التي كانت تحدث بين الحرفيين في ذلك الوقت؛ لأنها لمؤلف يعتبر عمدة الفقه المالكي في المغرب الإسلامي و مرجعه.

كما أفدت مما ورد في مؤلفات: الماوردي (ت450 هـــ/1058م)، "**الأحكام السلطانية و الولايات الدينية**"، وابن الأخوة، "**معالم القربة في أحكام الحسبة**"، وابن تيمية (ت 728هـــ/1328م)، "**الحسبة في الإسلام**" ، في دراساتهم حول الأسواق والحسبة فيها ، وما تعلق ببيع السلع و المنتوجات الحرفية وبسلوك أرباب الحرف والصنائع فيها .

ومصنف "**أحكام السوق**"، لصاحبه يحي بن عمر الأندلسي الأصل و الإفريقي الموطن. (ت**289هـــ/901م**)، أمدنا بمعلومات هامة عن بعض الصنائع و الحرف التي انتشرت في بلاد المغرب، و على التنظيمات التي قامت في السوق المغربية، كتنظيمات التجارة و الموازين و المكاييل.

رابعا/ كتب التاريخ العام:

سأعرض في البداية لما أفادت به المصادر التاريخية، المغربية التي اهتمت بالتاريخ العام لبلاد المغرب، منها " **البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب**" لأبي العباس أحمد المشهور بابن عذارى المراكشي، عاش في القرن (**السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي**) ، الذي تعرض في الجزء الأول من هذا المؤلف للأحداث السياسية في عصر الفاطميين و الزيريين، فأفاد البحث بمعلومات

عن الحياة الاقتصادية لمرحلة هذا البحث، فضلا عن ذكره لتاريخ الأزمات الاقتصادية التي حلت ببلاد المغرب، كالمجاعة الرهيبة التي حدثت بمدينة القيروان في القرن الرابع الهجري، حتى أصبح الناس يأكلون الجيف من شدة الجوع الذي أصابهم؛ و التي امتدت إلى بلاد المغرب الأوسط في العصر الحمادي.

وكتاب **"العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"**، لعبد الرحمن بن خلدون (ت**808**هـ/ **1405**م)، الذي أفاد البحث في جزأيه السادس و السابع فيما يخص الصناعة الحرفية في القرن الخامس الهجري.

كما أفاد في مجال النشاط السكاني من حيث نمط المعيشة، وأعطى صورة واضحة عن التكوين الاجتماعي لبلاد المغرب. وأفدت من مقدمته في الجوانب الاقتصادية المغربية لا سيما النظرية منها، من فلاحة وصناعة و تجارة. مبرزا علاقة الحرف بالتحولات الكبرى التي حدثت في بلاد المغرب في القرن الخامس الهجري.

أما كتاب " **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس**"، لعلي محمد بن عمر الفاسي المعروف بابن أبي زرع (ت710هـ/1311م)، و الذي اختص بوصف مدينة فاس المغربية؛ و تعرض لذكر عدد من الصناعات في مدينة فاس في القرنيين (**6-7**هـ/ **12-13**م)، و رغم أن مكانه وفترته بعيدة، عن مكان وزمان هذه الدراسة، فقد أفاد البحث بمعلومات أمكن مقاربتها بالصناعات و الحرف التي أنشئت في المدن الحمادية.

خامسا / المؤلفات الحديثة:

رغم أن المكتبة العربية والجامعية تحتوي على الدراسات التي تناولت تاريخ المغرب ، إلا أن ذلك اقتصر في معظم الحالات على النواحي السياسية والثقافية، ولم تتطرق بشيء من التفصيل إلى النواحي الاقتصادية والاجتماعية إلا فيما ندر، ومع ذلك توجد بعض الدراسات التي ألقت الضوء على هذه الجوانب، منها دراسة الحبيب الجنحاني، القيمة في كتابه " **دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي**"، الذي أفاد البحث فائدة هامة فيما يخص مجال السياسة المالية التي سار عليها الحماديون في دولتهم بالمغرب الاوسط، فمن خلال هذا البحث

نستشف أن الحماديين نقلوا جميع النظم المالية التي أسسها الفاطميون من مكوس و جباية وغرامات مالية الخ.

وقد عدت في هذا المجال إلى عبد القادر بوتشيش، في كتابه **عن دولة المرابطين**؛ فهذا الكتاب حاول استنباط جميع العلائق الاجتماعية و الاقتصادية التي تسببت في قيام الدولة المرابطية بالمغرب و الأندلس وأفدت منه خاصة فيما يتعلق بالعهد المرابطي الحمادي في مجال الاقتصاد، وفي تبادل الخبرات الحرفية والصناعية بين الدولتين الصنهاجيتين المتجاورتين. وما يؤاخذ على هذا الباحث اهتمامه الذي اقتصر على بعض المدن دون الأخرى رغم أنها كانت في مستوى اقتصادي هام كبجاية و القلعة.

أما المراجع غير العربية فقد أفدت منها إفادة كبيرة منها دراسة روجي إدريس "**الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري**" من القرن 10 إلى القرن 12م. الذي اعتمد المنهج الوصفي حيث وظف المادة الفقهية من الأحكام والنوازل عند بحثه عن الظواهر الاقتصادية والاجتماعية في الدولة الزيرية. الأمر الذي جعلني أستعين به في معرفة بعض الأمور العلمية الفقهية عن طريق مقاربة المظاهر الاقتصادية التي وجدت في الدولة الزيرية بمثيلتها تلك التي وجدت في الدولة الحمادية. إذ كان للحركة الاقتصادية في الدولتين المتجاورتين المعاصرتين جوانب مشتركة خاصة في الصناعة و الحرف، وفي تنظيم الأسواق. كما استعنت به في فهم بعض التقنيات التي تخص الصناعة وبعض فنون الصناعة الفلاحية.

و من الدراسات الأكاديمية الغربية في مجال الآثار مؤلف قولفن **Golvin** عن " **Le Maghreb central à l'époque des Zirides** "، حيث أفدت منه كثيرا انطلاقا من نتائج الحفريات الأثرية، التي توصل إليها الباحث.لا سيما في قلعة بني حماد، حيث تعرض إلى جميع الجوانب المعمارية وفن الزخرفة التي قام بها الحرفي و المهندس الحمادي في إنشاء القلعة، مع مقارنتها بما كانت عليه مدينة بجاية.

و من الدراسات الغربية الأخرى، مصنف الجنرال الفرنسي (**deBely**) في كتابه الذي ألفه في عام 1908م بعنوان "**قلعة بني حماد،kalàa de bèni hammad**"، فمن خلال

النتائج التي توصل إليها، أمكن الاستفادة من تصور وتحديد أماكن الورشات الحرفية، و أحياء العمال، و توزيعها في المدن الحمادية.

سادسا/ الرسائل الجامعية و الدوريات:

من الرسائل الجامعية التي اعتمدت عليها رسالة فاطمة بلهواري، التي تحمل عنوان "**النشاط الاقتصادي في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري**"، والتي تضمنت تحليلا وافيا لواقع الحركة الاقتصادية و التجارية و الصناعية في بلاد المغرب عموما و بلاد المغرب الاوسط خصوصا، وأفدت منها كثيرا في استيفاء المعلومات الجغرافية و الموارد الزراعية و المعدنية باعتبار الباحثة، قدمت هذه الدراسة على ضوء المصادر الجغرافية التي تعود لتلك الحقبة التاريخية،كما أفادت البحث فائدة هامة رسالة دكتوراه للباحث لعرج عبد العزيز، والتي تحمل عنوان "**المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية**"، في استيفاء المعلومات التقنية، و الزخرفية. والمعمارية باعتبارها دراسة قائمة على علم الآثار ومنها الحفريات التي اكتشفت في حواضر مدن المغرب؛وكانت لدراسة بن تواتي كوفي عن "**اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين**"، فائدة لهذا البحث فيما يخص أحوال أهل الذمة في العهد الحمادي و نشاطهم الحرفي، لاسيما اليهود في الحواضر الكبرى كالقلعة و بجاية؛ و أفادت البحث أيضا رسالتا بوعصبانة تحت عنوان "**معالم الحضارة الإسلامية بورجلان** (296/ 626هـ/ 909/ 1229م)"، ودلال لواتي تحت "**عنوان عامة القيروان في العصر الأغلبي**، (184- 296هـ/ 800-908م)".فيما يخص المسالك التجارية وخطوط الاتصال التي ربطت مدن المغرب لاسيما بين الشمال و الجنوب بالمغرب الأوسط.والتنظيمات العمالية.

و بالنسبة للدوريات فقد اعتمدت على عدد من المجلات أخص بالذكر منها مجلة **الأصالة** التي تضم مجموعة من المقالات لعدد من المؤلفين و المؤرخين المعاصرين الذين اهتموا بدراسة تاريخ المغرب الأوسط، أذكر منهم إسماعيل العربي، ولقبال موسى اللذان أفاد البحث في الصناعة الحرفية المتصلة بالسوق ،كما أفدت من كتابات المؤرخ حسن حسني عبد الوهاب منها دراساته التاريخية التي نشرها في مجلة **معهد المخطوطات العربية**.

و فيما يخص الدوريات الأجنبية المترجمة فقد أفدت من دراسات لويس ماسنيون المستشرق الفرنسي،في مقاله القيم، "**الطوائف الحرفية والمدينة الإسلامية**"، بالمجلة الدولية للسوسيولوجيا. وبرنارد لويس، بمقاله،" **الطوائف الحرفية الإسلامية** "، في مجلة تاريخ الاقتصاد؛ فيما يتعلق بتوزع الطوائف الحرفية بأحياء المدن الإسلامية التي تعود للحقبة الزمنية المدروسة.

و لغرض معالجة هذا الموضوع قسمته إلى ثلاثة فصول مع مدخل هو عبارة عن فصل تمهيدي و تتصدره مقدمة و تذيله خاتمة تضمنت النتائج التي توصلت إليها . و ملاحق مصورة ونصوصا مختارة و فهارس، و هي كالآتي:

أ- المقدمـــــة :

تناولت فيها أسباب ودوافع اختيار هذا الموضوع، وحدّدت الإشكالية المطروحة ، مع ذكر الأهداف المرجو تحقيقها، والصعوبات التي صادفتني ، بالإضافة إلى عرض للمصادر والمراجع الأساسية التي استعملتها.

ب-الفصـــــــول :

1-الفصل التمهيدي:

تعرضت فيه إلى نشوء و تطور الصناعات بالمغرب الأوسط و إلى التنظيمات الحرفية في القلعة و بجاية. وبينت فيه مفهوم الحرفة من الناحية النظرية في نظر الأدباء و المفكرين الذين اهتموا بالكتابة عنها، واستعنت بالأحاديث النبوية الشريفة التي تكلمت عن المؤمن المحترف، وتقسيمات الفقهاء لأصناف الصناع؛ وبينت نظرة المجتمع إلى الحرف، حيث العرف السائد بين الحرف الشريفة كالخياطة و الحياكة، وبين الحرف الوضيعة كحرفة الرقاصين و الملهين، وما شابه ذلك. وتكلمت عن الحرف و الحرفيين في العالم الإسلامي و نظرة الناس إليها، و أنهيت الفصل بالحديث عن الحرف و الصناعات في بلاد المغرب الأوسط.

2- الفصل الأول:

خصصته لدراسة الحرف و الصناعات التي قامت على الموارد الزراعية والحيوانية، و لدواعي منهجية ركزت على الصناعات النسيجية، كالملابس و الثياب والأغطية، مبرزا حرفتي الحياكة

والخياطة، باعتبارهما أساس الصناعات النسيجية، ووضحت مواردها الأولية وتوزيعها الجغرافي في الدولة الحمادية على اختلاف أنواعها؛كالصناعة **الجلدية**، و **الخشبية**، و حرفة **المطاحن**. **والصباغة**، **والعطارة**، **وصناعة العقاقير**، **والجزارة**، **وحرفة الفرانين**، وختمتها **بحرفة الرعي**. **والصيد البحري**.

كما أوضحت التوزيع الجغرافي للموارد النسيجية كالكتان، و الحرير، و الصوف، و أماكن وجود معامل هذه الصناعات في بجاية و القلعة، حيث اشتهرت بأكسيتها بالغة الجودة و الإتقان. وبينت العلاقة الوثيقة بين الصناعة الحمادية، و الزيرية من خلال كتابات الأستاذ (غولفن). وأبرزت انتشار ظاهرة الرعي في بلاد المغرب الأوسط، مما ساعد كثيرا في ظهور صناعة الجلود بمختلف أنواعها و تمركزها في عدة مدن حمادية، كمدينة بجاية.

أما بالنسبة للصناعات الغذائية، فقد أبرزت **صناعة الزيوت** كحرفة أساسية ، ثم تعرضت لصناعة **الطبيخ** و فنونه، وبينت أنواع الحرف التي مارسها الحرفي الحمادي، مركزا على حرفة الكسكس الواسعة الانتشار إلى جانب حرف صناعة **التين المجفف** ، **و الهريسة والدشيش**. **والحلويات**.

وتحدثت عن حرفة **الخياطة**، مبينا التنظيم الحرفي الذي كانت عليه الحرفة و التي كان لها رئيس يدعى "المعلم".كما تعرضت إلى عدد آخر من الحرف، لا يقل أهمية عن الحرف المذكورة.كصناعة **الصابون**، **و السكر**، **وحرفة التوثيق**، المشهورة في العهد الحمادي **وصناعة المطاحن**، التي كان لها دور اقتصادي و اجتماعي كبير في تلبية حاجيات السكان من المواد الغذائية المطحونة.**وحرفة الصباغة**،**وصناعة الأحذية**، التي ارتبطت بتوفر الثروة الحيوانية ببلاد المغرب الأوسط،**و الوراقة والتجليد**، **و القزازة**.**و الحبالة**، و **صناعة السلال أو القفف** ، وهي الحرف التي كان لها دور اجتماعي كبير؛ لاستعمالها في أغراض حياتية عديدة.

ج–الفصل الثاني:

تناولت فيه الصناعات و الحرف القائمة على الموارد المعدنية، وحرف أخرى منها حرفة استخراج المعادن و مقالع الطين التي تدخل في عملية البناء، وهي حرفة أساسية تكملها الصناعات

البنائية، وعرجت بعد ذلك على صناعات الحلي و المجوهرات و الأثاث المترلي **كصناعة الأقراط والدبابيس، وصناعة السروج، و الألجمة وصناعات حديدية وخشبية** التي تدخل في صناعات حرفية أخرى **كصناعة السفن و المراكب، وحرفة فن النقش على الخشب**، وتزيين واجهات القصور والمساجد.

و **لأهمية** النشاط الحرفي و الصناعي في حياة المجتمع الحمادي، رصدت مجموعة من الحرف التكاملية ودور الحرفيين في استخراج المعادن من الحرف التكاملية كالجبس و الحجارة و الزنك والرصاص وصناعة **الزجاج والنقود و الصباغة** ، و حرفة **التطبيب**،**والتجارة** و حرف أهل الذمة من اليهود والنصارى و حرف أخرى كحرفة **الخطاطين و المزخرفين** وما إلى ذلك؛ منوها فيها بالتنظيمات و المعاملات الحرفية التي قامت في ذلك العهد؛ و الدور الحقيقي الذي قام به الحرفي في إرساء صناعة حرفية عريقة في المجتمع الحمادي حيث أدت إلى حركة تجارية واسعة داخلية وخارجية في أراضي الدولة الحمادية.

ثم بينت أهمية الصناعات الحرفية الأخرى في تحقيق الرفاهية للمجتمع الحمادي كإنارة الشوارع والطرقات بفعل حرفة الوقادة و صناعة **الشموع.والصناعة الفلاحية**، التي تناولت فيها الأدوات الفلاحية المستعملة في العهد الحمادي، مبرزا دور الحرفي في تقديمها، موضحا أنواع الحرف الفلاحية التي مارسها من غراسة، و مساقاة، و مزارعة.

د- **الفصل الثالث:**

بدأ هذا الفصل بمدخل عن حالة الأسواق في المجتمع الإسلامي كلمحة تاريخية عن الأسواق في المدن الإسلامية منذ بداية الإسلام إلى غاية العصر الحمّادي ، بشيء من الإيجاز . تعرضت فيه لأهم الأسواق في عهد النبي -ﷺ-وما تلاه من أسواق بني أمية وبني العباس، والفاطميين.

ثم تناولت نشاط **أصناف الحرفيين في الأسواق** مبيّنا الضوابط و السلوكات التي كان عليها الصنف الحرفي الذي يبيع سلعته بدكانه ، كما وضحت طبيعة المكاييل والموازين التي كان يستعملها الحرفي في بيع منتوجاته.

كما تناولت توزيع الحرفيين داخل المدن في أحياء سكنية وحول المسجد المركزي للمدينة. حيث أوضحت فيه تخطيط الحماديين لمدنهم وتوزيعهم للورشات الصناعية حول الأسواق والأحياء السكنية، وجعل البعض منها في أرباض خارج المدينة. و لأهمية الباعة في الأسواق، أفردت مبحثا في هذا الفصل، تكلمت فيه عن الباعة المتجولين و الثابتين، وذكرت بعض الأصناف، كباعة **العسل**، و**السمان**، و**الزيات**، و**الجزار**، وأبرزت دور السماسرة و الدلالين، و بينت الفرق بينهما. عن طريق تبيان وظيفة كل من السمسار، والدلال في السوق، و تطرقت إلى مسألة هامة تخص المعاملات في الأسواق من كراء وإجارة، وتتبعت بالدراسة و البحث مسألة الإيجارات على عهد بني حماد، ودللت على ذلك بأمثلة وفتاوى وردت في نوازل[1] الونشريسي، ومصادر تاريخية أخرى مثل عنوان الدراية للغبريني.

وفي موضوع الإيجارات تعرضت للمكس و المكاسين و الجبايات بالمغرب الأوسط في عهد بني حماد، كما أوضحت أنواع الضرائب من خراج، وجوالي وصدقات و أعشار ومراصد، و بينت السياسة الجبائية التي شكلت عنصرا أساسيا في الحرف المتصلة بالسوق التي سلكها الأمراء الحماديون.

و **ختمت** البحث بنتائج نسبية تضمنتها الخاتمة، يمكن أن تكون منطلقا لدراسات مستقبلية لكشف حقائق جديدة عن النشاط الحرفي و الصناعي في المجتمع الحمادي.

وذيلت الرسالة بملاحق ضمت نصوصا مختارة و صورا لآثار **حمّادية** وفهارس تزيد البحث وضوحا و تساعد القارئ على التعمق والإفادة منه .

وفي ختام هذه **المقدمة** أرى لزاما علي التصريح بمكنونات نفسي اتجاه من كان له الفضل الكبير علي، ألا وهو **الأستاذ الفاضل الدكتور إسماعيل سامعي** على ما تحمله معي من معاناة البحث العلمي؛ بالإشراف على بحثي، فكان تشجيعه و توجيهه العلمي السديد، قد أنار لي طريق البحث العلمي و أسهم بقسط كبير في إخراج هذا العمل إلى النور.

[1]- نوازل ج – نازلة بكسر الزاي من نزل ، جمع نوازل ، المصيبة ليست بفعل فاعل – الحادثة التي تحتاج لحكم شرعي .

كما أتوجه بخالص الشكر و الامتنان لجميع الأساتذة الذين أخذت من غزير علمهم، واستشهدت بسديد رأيهم في إنجاز هذه الدراسة.

ولا يفوتني أن أوجه شكري و خالص الثناء لكل من قدم لي يد العون و المساعدة. فجزاهم الله خير الجزاء في الدنيا و الآخرة ، وأثابهم على عملهم الأجر العظيم. وبوأهم الفردوس الأعلى إن شاء الله. نذكر منهم مسؤولي متحف الآثار " سرتا " بقسنطينة على المساعدة التي قدموها لي ، خاصة أثناء تصويري للأدوات والحلي التي قام بصنعها حرفيّو العصر الحمّادي ومتحف القلعة ببلدية المعاضيد ولاية المسيلة ، ومتحف كتامة ببجاية، و مكتبات جامعتي الأمير عبد القادر و منتوري؛ و محمد العيد آل خليفة، و بلدية قسنطينة، و الخروب، و أرشيف ولاية قسنطينة ، ومكتبة بلدية جيجل. و قد تطلب مني إنجاز هذا البحث القيام برحلات إلى بعض دور الكتب منها الجزائر العاصمة ، حيث استفدت كثيرا من مكتبة المعهد القومي للآثار الواقع بحديقة الحريّة بتلملي ، و المكتبة الوطنية.

وأخيرا إن ما بذلته من جهد في إنجاز هذا العمل العلمي المتواضع، و رغم ما أشعر به من نقص في شتى الجوانب فإني ابتغي وجه الله أولا، و إثراء البحث العلمي في بلدي ثانيا. فإن وفقت فمن فضله تعالى و منه، و إن قصرت، فأدعو الله أن يساعدني أو يساعد غيري على إكماله.

(وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)[1]**. و آخر دعوانا أن الحمد الله رب العالمين.**

و الله ولي التوفيق.

[1]- التوبة،105

التمهيد

الحـــرف والمجتمـــع

1- مفهوم الحرفة والصنعة

2- نظرة المجتمع إلى الحـــرف

3- الحرف و الحرفيون في العالم الإسلامـــي

4- الصناعات بالمغرب الأوسط

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1- مفهوم الحرفة والصنعة :

الصناعة في عصرنا تعني تحويل المادة الخام من حالتها الأولى إلى أن تصبح مصنعة أو نصف مصنعة أي جاهزة لاستعمالها.

و عند ابن خلدون الصنعة هي المهارة في كل شيء فصناعة التوليد تعني المهارة و الفن، يقول:" و هي صناعة يعرف بها العمل في استخراج المولود الآدمي من بطن أمه، من الرفق في إخراجه من رحمها و تهيئة أسباب ذلك"[1].

و حاولت هنا أن أوفق بين التعريف الخلدوني و الحديث و لذلك اعتبرت الصنعة هي الحرفة نفسهاو مزجت بين التعريفين في صورة واحدة.

و الحرفة قديمة قدم البشرية ووسيلة لكسب العيش، وفي الحضارة الإسلامية ظهرت الحرفة كمفهوم لتقسيم العمل في العصر العباسي الأول. و قد بدأ بروزها في أواخر القرن الثاني الهجري، وبداية القرن الثالث، لما تعقدت الحياة الاجتماعية بالمدن الإسلامية الكبرى كمدينة بغداد حيث تنوعت الحرف، وكثرت بتوسع عمرانها، فظهر التفاوت الاجتماعي في مختلف الجماعات العاملة. وبذلك تكون قيمة حرفة ما أعلى من غيرها، والنتيجة من مارس تلك المهنة كانت له قيمة أكبر من غيره. وقد عرف العصر الصنهاجي و الحمادي تقسيم العمل الدقيق وأورد الإمام سحنون رواية، يوضح فيها مبلغ التخصص في العمل في مجال الحرفة الواحدة، كالجزارين و الحاكة والفرانين والخياطين[2]، وجاء تعريف هذه الحرف في عدة مواضع في مؤلفات الفقهاء المغاربة الذين عاصروا الفترة الأغلبية .

وقد تحدث الجاحظ عن التخصص في مجال الحرفة الواحدة فقال:" في صناعة السيوف بين مذيب الحديد وصاقله وطابعه"[3].واعتبر ت المصادر الفقهية و كتب النوازل، المؤمن الذي يمارس حرفة ليعيل بها نفسه، وأهله، وولده أفضل درجة من العاطل عن العمل، و أشار أبو الفضل

1- ابن خلون، **المقدمة**،(بيروت: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، 2002)،392

2- سحنون بن سعيد التنوخي،**المدونة الكبرى**، للإمام مالك بن أنس الأصبحي، رواية الإمام سحنون بن سعيد عن الإمام عبد الرحمن بن القاسم ومعها مقدمات ابن رشد لبيان ما اقتضته المدونة من الأحكام للإمام الحافظ، أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد (ت.520هـ/ 1126م)، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت)،201/11

3- الجاحظ، أبو عثمان بن عمر بن بحر ،**الحيوان**،تحقيق،عبد السلام هارون،(القاهرة، دار النهضة العربية،1940)،276/3

الدمشقي لهذا المعنى ، حيث أعتبر حرفة التجارة أفضل المعايش، وأسعدها، وصاحبها موسع عليه وله مروءة. أما من يتصرف مع السلطان فلعل يده تقصر في بعض الأوقات عن نفقته.[1] و المقصود بهذا الكلام الاستقلالية الاقتصادية عن السلطان أو ما يعبر عنه اليوم بالأعمال الحرة، حتى لا يكون العامل في قبضة أي أحد من الناس.

و قسم الفقهاء الناس إلى أصناف من صناع، و تجار، و أغنياء، و فقراء. ويبدو أن هذا التقسيم هو الذي عليه الناس في كل الأزمان و الأمكنة. وعرف إخوان الصفا الصناع، بأنهم هم الذين يعملون بأبدانهم و أدواتهم في مصنوعاتهم والصور، و النقوش، و الأصباغ، و الأشكال، وغرضهم طلب العوض عن مصنوعاتهم لصلح معيشة الحياة الدنيا. وتكشف المهن، عند إخوان الصفا عن ترابطها وتلبيتها لحاجات المجتمع، فبعضها ضروري ومنها ما هي تابعة للأول وخادمة له[2]. حيث يربط الإخوان بين ضرورة اطمئنان الإنسان إلى قوته اليومي حتى يتسنى له الانصراف إلى النفس، بالمعارف الحقيقية، و الأخلاق الجميلة، والآراء الصحيحة، و الأعمال الزكية[3].

وقد ارتبط تصنيف المهن في المجتمعات الإسلامية، بمفاهيم اقتصادية، وبما تقدمه من خدمات، وغالبا ما كانت المهن المحتقرة ترتبط بموقف أخلاقي معين فيما كانت المحترمة ترتبط بمفاهيم إنتاجية أو تحويلية أو سلطوية.[4] وكمثال عن المجموعة المحتقرة، الإسكافي و الأكاف (صانع البرادع)، والدباغ، و الزراد (صانع القصع الكبيرة)، والمشاط، و المساميري، والنجار. وكمثال عن المجموعة المحترمة المهن التي تقدم خدمات مرتبطة بالحياة الراقية المترفة، كالجوهري، وجلاب الأمتعة و الجواليقي[5] وجلاب الألبان والجمال[6].

وكان الكثير من المتصوفة يعملون بأيديهم ولا يمنعهم توكلهم عن الكسب لئلا يسقط المتوكل عن درجة سنته حين سقط عن درجة حاله،فمفهوم التوكل ارتبط عند المتصوفة بالعمل،

1- **الإشارة إلى محاسن التجارة**، تحقيق البشري التوحري، (مصر: مكتبة الكليات الأزهر، 1977)،47

2- رسائل إخوان الصفا، **وخلان الوفاء**، (بيروت:دار بيروت للطباعة والنشر،1983) ،285/1،286

3- **نفسه**، 284/1

4- **فهمي سعد، العامة في بغداد**،(بيروت: مطبعة الفكر، 1982)،96

5- العازف على آلة العود، أنظر، روحي إدريس،**المصدر السابق**، 211/2

6- القشيري أبوا لقاسم عبد الكريم بن هوازن ، **الرسالة القشيرية في علم التصوف**،(بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت)، 78،27،11،8

فقلما تجد عالما متصوفا إلا وهو يحترف حرفة خاصة به . فلا يرضى أبدا أحد منهم أن يكون عالة على غيره. ولأن التوكل فعل القلب فلا ينافي حركة الجوارح، ولو كان كل كسب ليس بمتوكل لكان الأنبياء غير متوكلين[1].

وقد اعتبر الفقهاء حرفة الخياطة من أهم المهن التي يجب أن يتقنها الإنسان، لأنها تتعلق بستر عورته، وركزوا على هذه الحرفة لأن قوام الإنسان اللباس ، فلا يعقل لأحد من الناس أن يمارس نشاطا من الأعمال إن لم يكن مكسوا. ولأن اللباس يعتبر من أهم الضرورات الإنسانية حتى يتسنى للفرد خوض مجالات الحياة، وفق المواهب التي أختص بها وميوله الفطرية في كسبه لقوت يومه. وهي مفضلة عندهم من حرفة الحياكة و الحجامة، فكانوا ينظرون إليهما بشيء من اللامبالاة وعدم الاهتمام[2].

وخلاصة القول أن الحرف بجميع أنواعها قد وجدت في بلاد العالم الإسلامي مشرقا ومغربا، وتعرض لها كثير بالتصنيف منهم الفقهاء، و أصحاب النوازل، والكتاب و الأدباء على اختلاف مللهم ونحلهم، لكنهم لم يخصصوا لهذه الحرف مواضيع مستقلة في كتاباتهم، ربما بمنطلق اهتمامات أخرى كانت في اعتقادهم أولى من الخوض في مسألة الحرف. ولعل أول من أعطى لهذا المجال قيمته الحقيقية بالبحث والتنقيب ابن خلدون، لما أدرك أن العمران البشري وتبدل أحوال الناس والمجتمعات مرتبط بالنشاط الاقتصادي الذي يمارسه الإنسان في حياته اليومية[3].

2- نظرة المجتمع إلى الحرف

من المعروف أن التجارة التي اعتبرت حرفة مارستها الكثير من الشعوب و القبائل، واشتهرت بها قبل الإسلام قريش ، التي اقترن اسمها بالتجارة و المعاملات حيث كانت مفضلة، وهناك من المهن ما هي مذمومة بنتائجها، ولا يجوز تعلمها من " الدهماء" لأن الضرر في استعمالها أعم من النفع، كالسحر و العزائم و الكيمياء، المرتبطة بالتنجيم. في حين ينظر للمهن الشريفة بعين الرضا والقبول، كحرفة الطب، و الأصباغ لأن فوائدها عامة في المجتمع.[4]

1- السلمي، أبو عبد الرحمن، **طبقات الصوفية**، تحقيق نور الدين شربيه،(القاهرة: مطبعة القاهرة،1969) ،9، 25

2- ابن الحاج، أبو عبد الله العبدري الفاسي، المدخل، (بيروت: دار الفكر ، 1981)، 20/2

3- ابن خلدون عبد الرحمن، **المقدمة**، تحقيق، درويش محمد الجويدي، (بيروت: المكتبة العصرية، 2002)، 380، 381

4- السلمي، **طبقات الصوفية**، 9، 25

وقد وردت أقوال في الحط من مهنة الصراف و باعة الحبوب و الطحين، لأن خطر كنز المال وارد في الأول[1].

بينما الاحتكار في الحبوب والطحين يؤدي إلى رفع الأسعار[2]. واختلفت نظرة الناس إلى أصحاب الحرف من عصر إلى آخر، ومن منطقة إلى أخرى، وقد حث أبو حامد الغزالي على الكسب وبين فضل المحترف ذكر فيه جملة من الأحاديث النبوية التي تمجد العمل و تعليم الصنعة[3]. وقد جاء في الأثر " إن الله تعالى يحب العبد المؤمن المحترف"[4]. وغيرها من الأحاديث النبوية التي تمجد العمل.

و بين الجاحظ تعاون فئات الناس بعضهم مع بعض، فكل صاحب حرفة يكمل الآخر، و لا يستطيع أن يستغني الفرد مما لديه من الحرفة، وفي هذا المجال يقول:" لم يخلق الله تعالى أحدا لا يستطيع بلوغ حاجته بنفسه دون الاستعانة ببعض من سخر له. وعلى ذلك أحوج الملوك إلى السوقة في باب، وأحوج السوقة إلى الملوك في باب، وحاجة الناس بعضهم لبعض صفة لازمة في طبائعهم"[5] . وكانت نظرة المجتمع للحاكة نظرة ازدراء واحتقار على الأقل في عصر الجاحظ فقد قال عنهم: " و لم نر أعسر إلا حائكا أو ساقطا نذلا، بل ضربت بهم الأمثال و أطلقت أسماء أدوات النسيج على من يريدون إذلاله و احتقاره، فيسمى بدين القصار و زنبيل القماش أو لبود اليهود"[6].

ويبدو أن المجتمع الإسلامي قد حافظ على هذه النظرة لمدة طويلة، فكانت تسند هذه المهن للغلمان والخصيان في خدمة البيوتات الكبيرة، حيث عمل الكثير منهم كسقائين ينقلون المياه إلى

1- قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (34) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ (35) من سورة التوبة

2- فهمي سعد، المرجع السابق،89

3- الغزالي أبو محمد حامد محمد بن محمد، أحياء علوم الدين، (مصر: مكتبة مصطفى الباجي الحلمي، 1939)،60،63

4- رواه السيوطي، تحقيق الألباني: (ضعيف)، أنظر، حديث رقم: 1704 في ضعيف الجامع

5- الجاحظ، الحيوان،424/4

6- الجاحظ، البيان و التبيين،تحقيق، عبد السلام محمد هارون، (ط، 4، بيروت: مطبعة دار الفكر، 1991)،249/1

دور أسيادهم.[1] في حين استخدم غيرهم في الخياطة، أما العبيد الزنوج فاستعملوا كرقاصين وزمارين وملهين. وكانت الحرفة ملتصقة بالعامة في المجتمعات الإسلامية، حيث قسموا إلى فئتين كبيرتين: الصنف الأول ويضم طائفة التجار و أهل المراتب، الذين كانوا يحصلون على أقواتهم بطرق نظيفة وجليلة، ويكون دخلهم كبيرا يسمح لهم بالعيش في مستوى لائق من الحياة الكريمة، وكانت أخلاق هؤلاء تتصف بالسيرة الحسنة، و الأدب الظاهر والسلوك القويم. في حين أن الطائفة الثانية تضم السوقة وعموم الجمهور يمارسون جميع الحرف الأخرى باعتبارها مهنا ذميمة لاتليق بذوي الشرف من الناس.[2] ويصفهم الجاحظ بأنهم ذوي أخلاق منحطة، و سلوكات غير قويمة، وعقول ضعيفة ليس لهم من حظوظ الحكمة شيء، ويصرح بقوله: " إن قلت لا عقول لهم كنت صادقا، و إن قلت لهم أشياء شبيهة بالعقول كنت صادقا."[3] هذا يبين لنا أن الحرفيين في المجتمع الإسلامي لم يكن يولى إليهم كثير من الاهتمام لرفع مستواهم الثقافي والعلمي، و لم يعط لهم الحكام أي جهد من أجل ترقيتهم المهنية والاجتماعية. وربما هذا يعود إلى أن الأمراء لم تكن لهم ثقافة مهنية تسمح لهم بإدراك خطورة إهمال وضع سياسة اجتماعية تنظر في مصالح الحرفيين الاجتماعية والمدنية، وقد أدت هذه النظرة الخاطئة بالمجتمعات الإسلامية إلى التدهور السريع نتيجة للوضعيات الفكرية التي كانت عليها الطبقة الحاكمة. وهذا الحكم ليس عاما بل توجد استثناءات في مناطق عديدة من العالم الإسلامي كالأندلس وعهد الحماديين موضوع البحث.

وهذا الازدراء لقيمة الحرف ودورها الكبير في بناء المجتمع و النهوض به اقتصاديا قد ذهبت بكثير من المفكرين للوقوع في مخالب هذه التأثيرات، حيث أتهم بعضهم طبقات الحرفيين بالتقصير في أداء الواجبات الدينية، وعجزهم الفطري في إدراك مسائل الفقه.[4] ولعل هذه النظرة للحرفة كانت عامة في بلاد المغرب ، حيث عبر العزيز الجوذري عندما تعرض إلى افتخار الخليفة الأموي الحاكم بمجموعة من الصناعات كانت قائمة في قرطبة. فاندهش المعز لدين الله الفاطمي بهذا السلوك الذي أبداه الخليفة الأموي، واعتبره نتيجة لتدني ذوق الحاكم وهبوط مستواه إلى مرتبة

1- الحيوان، 435/6

2- فهمي سعد، المرجع السابق، 66

3- الحيوان، المصدر السابق، 6/ 37

4- فهمي سعد، المرجع السابق، 66

الرعاع، على الرغم أن الخليفة الفاطمي ، كان معتنيا بتشجيع الإبداعات المهنية التي قام بها غلمانه، وخدامه، و كمثال على ذلك ، القلم البديع الذي أمر المعز بصنعه من الحبر، و يعتبر أول أداة كتابة استعملت وسيلة المداد في نسخ الكتب و الرسائل.[1]

ويعتقد أن الازدهار العمراني الذي عرفه المغرب خلال القرن الثالث الهجري، أي قبل انتصار الدعوة الشيعية، يعود إلى اهتمام الأغالبة بالحرف و إعطائهم المكانة اللازمة لها، فقد نصت جل المصادر الفقهية التي ألفت في هذه الفترة على اعتناء الأمراء الأغالبة بتشجيع الناس على تعلم الحرف، نلمس ذلك في الفتاوى التي أصدرها كل من يحي بن عمر و الإمام سحنون وهما أشهر من عبرا عن الحالة الاجتماعية التي كان عليها طبقات الناس في عصر دولة الأغالبة[2].

وشجع الفقهاء في العصر الأغلبي الطلبة على امتهان الحرف، ليتقووا بها على طلب العلم. وحيث أن هؤلاء الطلبة، لم يكن لهم منحة أو راتب يتقاضونه من الدواوين أو الدولة، ومن ذلك أن أسد بن الفرات انتهر أحد تلامذته لما تقاعس عن حرفته، من أجل طلب العلم، و أمره بأن يجعل واجبه في حرفته، حتى إذا فرغ من عمله تصدى لطلب العلم.[3]

ويبدو أن الصناع قد نما بينهم شعور يربطهم و يوحدهم حتى أصبحوا يمثلون جماعة بارزة في المجتمع، وتطورت الحرفة في بلاد المغرب حتى أن الحرفي فقد انتماءه القبلي، وحمل الانتماء إلى الصنعة، فأصبح الحرفي يدعى بالصفار، أو الصيرفي، أو البزاز وما إلى ذلك.[4] ويرى ابن خلدون أن

1- العزيزي الجوذري، أبو علي المنصور، **كتاب**، سيرة جوذر، تحقيق محمد كامل حسين و محمد عبد الهادي شعيرة، (القاهرة: دار الفكر العربي، 1954)، 121

2- القاضي عياض، **ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تحقيق، أحمد بكير محمود، (بيروت: دار المكتبة الحياة، د.ت)، 256/2

3- كان شاب يختلف إلى أسد بن الفرات يطلب العلم،فبينما هو ذات يوم جالسا معه إذ سأله عن صناعته، فسمي له الشاب حرفته، فقال له أسد قم بانتهار، فقال له الشاب ما قصتي أصلحك الله؟، إن كنت أنكرت صناعتي تركتها، فقال له أسد، ما أنكرها، ولكن أنكرت تعطيلك لحانوتك الذي منه معاشك تقوى به على طلب العلم، وصاحب الحانوت إنما هو بالحرفاء، فإذا جاءك حريفك اليوم و لم يجدك، وغدا فلم يجدك، وبعد غد مثل ذلك استبدل بك غيرك،فضررت بنفسك وبمن تعوله"، أنظر، المالكي، أبو بكر بن عبد الله بن محمد ،**كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية و زهادهم ونساكهم وسيرمن أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**،تحقيق، بشير البكوش،مراجعة محمد العدوسي المطوي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي،1981) ، 185/1

4- جودت عبد الكريم يوسف، **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين**، (بن عكنون/ الجزائر:ديوان المطبوعات الجامعية،1992)، 78

المجتمع لا يحتاج إلا للضروري منها، وفي هذا الصدد يقول: " لا يحتاج من الصنائع إلا البسيط خاصة المستعمل في الضروريات من نجار أو حداد أو خياط أو حائك، ونحو ذلك"[1].

وتتباين نظرة المجتمع إلى الحرف ففي المجتمغات الصغيرة، تكون الصنائع فيها نافقة، حيث لا يوجد إلا البسيط، ويختلف الأمر بالنسبة للمجتمع الحضري، لاتساع العمران وازدياد عدد السكان، وبالتالي فإنهم يتطلعون إلى الكماليات و دواعي الترف، وكلما حصل تقدم في حياة الرفاهية و الترف اتسعت نظرته، وتطلعاته إليها، وفي هذا المجال يقول ابن خلدون: " إذا زخر بحر العمران و طلبت فيه الكماليات كان من جملتها التأنق في الصنائع و استجادتها فكملت بجميع متمماتها، و تزايدت صنائع أخرى معها مما تدعو إليه عوائد الترف و أحواله من جزار ودباغ وخراز وصائغ و أمثال ذلك"[2].

ومعنى ذلك أن هناك علاقة متينة بين التوسع في الحضارة والعمران و بين ازدياد الصنائع والحرف في المجتمع، فكلما تنوعت الحرف في المجتمع المتمدن تولدت عنها حرف أخرى لم تكن موجودة من قبل، مثل الدهان، و الصفار، و الحمامي، والطباخ، و الشماع، و الهراس، و معلم الغناء، و الرقص، وقرع الطبول على التوقيع.[3]

وكانت المراكز الصناعية منتشرة في قرى و مدن بلاد المغرب الأوسط، وهي أكثر تعقيدا من الصناعة الحرفية في المجتمعات البدوية، لأنها وظفت المنتجات الفلاحية و الحيوانية في صناعتها. توزعت هذه المراكز الصناعية في مدن أشير، و جزائر بني مزغنة، والقلعة، و مسيلة وغيرها من الحواضر الحمادية. والجدير بالذكر أن مجتمع المغرب الأوسط قد تطور في هذه الفترة، يدل على ذلك ظهور مدن جديدة، و أحياء صناعية وهذا يعني أن الصناعة قد تطورت وعرفت اختصاصات متنوعة ، وانتقلت من صناعة بدوية وقروية إلى صناعة مدنية.[4] ويمكن الاستنتاج أن نظرة المجتمع إلى الحرف قد عرفت تطورا كبيرا من فترة إلى أخرى، وأن نظرة الناس إليها لم تكن هي نفسها، بين المجتمعات البدوية، والحضرية.

1-ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، 401

2- نفسه، الصفحة نفسها.

3- نفسه، 359

4- جودت عبد الكريم جودت، المرجع السابق، 78،79

3- الحرف والحرفيون في العالم الإسلامي

يبدو أن نظام الطوائف[1] الحرفية في المدن الإسلامية، كان يَضُمُّ بين جوانبه كلّ المشتغلين بالإنتاج الاقتصادي والتوزيع والخدمات.وكان أقدم من تعرَّضَ لأحوال الجماعات المهنية في المدن الإسلاميَّة، رسائل إخوان الصفا فهم من الأوائل الذين سلّطوا الضوء على التنظيم الداخلي للصُّنَّاع والجماعات المهنيـــــة[2] . وكان سكان المدينة ينخرطون في هذه التنظيمات وفقا لحرفهم ومهنهم، ماعدا كبار موظفي الحكومة وضباط الجيش وعلماء الدين.

لم يكن ينتمي إلى هذه التنظيمات الحرفية الصناع والتجار فحسب، بل كانت تضم في صفوفها أيضا من يمارسون أعمالا أخرى أمثال المغنيين، والسماسرة، والدلالين، والموسيقيين، والقصَّاصين، وسائق "الحمير " وينضوي تحت لواء نظام الطوائف أيضا أصحاب النشا[3]، والمدابغ، والمصابغ، والكبريت وغير ذلك من الأعمـــال التي لم تكن تتركز في الأسواق، وإنَّما في أطراف المدينة « بسبب روائحهـــــا الكريهـــة[4].

وهناك الكثير من الدلائل ما يشير إلى وجود طوائف حرفية أخرى خاصة الذين لا يملكون متاجر ودكاكين، وإنما كانوا يعملون في الخلاء أو في بيوتهم. كالنقاشين والسَّباكين، و سائقي الدواب، وبائعي الشراب والحلاقين، والسعاة، وعاملي القناديل، والقابلات، وكذلك بعض موظفي الحكومة، كالعاملين في المذابح، ودور صك العملة[5] .

ويظهر أن القضاة في المغرب الأوسط هم من الذين أسهموا في إرساء أسس التنظيمات الحرفية في المدن الإسلامية ففي هذا المجال عثر علماء الآثار على دلائل أثرية وجنائزية تشير إلى الوظائف الحرفية التي مارسها هؤلاء القضاة. فقد وجد بالمسجد الجامع في تلمسان كتابة أثرية جصية بأعلى القُبَّة فوق المحراب مؤرخة جمادى الآخرة سنة (530هـــ/مارس أبريل 1136 م)،

1- ماسنيون. ل : **الطوائف الحرفية والمدينة الإسلامية – المجلة الدولية للسوسيولوجيا** ، 1920، 489،473

2- الشيخلي، صباح إبراهيم سعيد: **الأصناف في العصر العباسي ،نشأتها وتطورها**، بحث في التنظيمات الحرفية في المجتمع العربي الإسلامي، (دار الحرية للطباعة،1976)، 25.

3-النشا، شيئ يعمل به الفالونج، فارسي معرب، يقال له النشاشج حذف شطره تخفيفا، انظر، ابن منظور، لسان العرب،(مادة، نش)، 4433/6

4- برنارد لويس: **الطوائف الحرفية الإسلامية** ، مجلة تاريخ الإقتصاد ، المجلد الثامن ،نوفمبر1937 ، 37،20

5- ر.ب. سرنت : **المدينة الإسلامية**، تحقيق: محمد أحمد ثعلب، (د.م، اليونسكو،1983)،167

تشتمل على وقفية ونص تشييد الجامع "على يد الفقيه الأجل القاضي الأوحد أبي الحسن علي بن عبد الرحمن ابن علي "[1].

والملاحظ في كتابات هذه الوقفيات (لوحات تدشين)، الإشارة إلى مهنة هؤلاء القضاة الذين اشرفوا على متابعة تشييد الجوامع، وكان هذا العرف متبعا في إفريقية و الأندلس، وما يسترعي الانتباه أن هذا العرف قد وجد في الأندلس ثم انتقل إلى بلاد المغرب، وقد يكون تسجيل مهن الفقهاء على النقائش الجنائزية بدى العمل به في بلاد المغرب منذ عهد الأغالبة، وتفسير ذلك أن القضاة كانت تسند إليهم عدة مهام في تسيير أمور الدولة خاصة وظيفة أمين السوق والحسبة[2].

و يفيدنا الباحث حسين باشا أنه في معهد بلنسية لدون جوان في مدريد لوح رخام من المرية مؤرَّخ سنة (531هـ/1138م)، يتضمن نص تشييد جاء فيه أنّه " حكم بالزيادة في طول صومعة عمّا كانت عليه بأمرِ قاضي الجماعة بحضرة الموجه الفقيه الأجل المشاور الإمام الحافظ أبو محمد عبد الحق ابن عطية[3] بنظر الفقيه الأمين الأجل أبي الفضل الأزدي"[4].

ومما تجدر الإشارة إليه في الكتابة السابقة أن النظر كان من مهمة موظف لقب بالفقيه الأمين، وقد عرفت في الأندلس هذه الوظيفة الأمين، كما عرفت في بلاد المغرب عموما، والأوسط خصوصا في القلعة، وبجاية على عهد بني حماد، وهي الوظيفة التي كان يشغلها عادة الفقهاء ، وكانت مهمة الأمين إدارة أراضي الدولة والأملاك الموقوفة.و من الوظائف التي كان يشغلها الفقهاء أيضا وظيفة صاحب الرد والمظالم، وهو الذي يفصل في الشكاوى، ويوقف الظالم عند حده ، ويرد للمظلوم حقّه[5].

1- المالكي، المصدر السابق،321/2

2- محمود عبد العزيز مرزوق، الفنون الإسلامية، 143، 146

3-أبو محمد عبد الحق بن عطية،هو الوزير الكاتب، أبو جعفر احمد بن محمد بن عطية القاضي المراكشي، (ت553 هـ/1158م، كان من أبلغ أهل زمانه كتابة وشعرا،أنظر، الغبريني، أبي العباس أحمد ،عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق، رابح بونار،(الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1970) 251

4- الفنون الإسلامية و الوظائف على الآثار العربية،(القاهرة: دار النهضة العربية،د.ت)،818/2.

5- نفسه،857/3.

وقد ارتبطت أسماء بعض الفقهاء بتشييد المباني، ومن ذلك مثلا، وكما يقول حسين باشا، فإنه يوجد بمتحف الآثار بالجزائر العاصمة لوح من الخشب يرجع إلى حوالي سنة (500هـ/1107م) تشتمل على نص تشييد على يد الفقيه القاضي أبو محمد عبد الله بن سعيد[1].

وكان القضاة في المغرب والأندلس يجمعون إلى الأحكام أمر الشورى، والإفتاء، والصلاة، والخطبة، والتدريس والمظالم، والحسبة، والمحافظة على بيت المال ، ومراقبة أرباب الحرف، والصناعات لفض ما ينشب من خلاف وكانوا ينيبون عنهم أحيانا من يتولى الإشراف على بعض هذه الخطط[2].

وتقدم لنا المصادر معلومات قيمة عن التنظيمات الحرفية ومراتبها في العصر العباسي في نفس الفترة التاريخية التي ندرسها في موضوعنا.فكانت مدينة بغداد تعج بأصناف الحرف والصنائع كصنف الشيخ والأستاذ و الخلفة والصانع والمبتدئ[3].

ويبدو أن قلعة بني حماد تأثرت بهذا النوع من التنظيم، لا سيما إذا عرفنا أنها "مقصد التجار و بها تحل الرحال من العراق والحجاز ومصر والشام[4]".

وقد اهتم الدارسون المختصون بالمدن الإسلامية في القرون الوسطى اهتماما بالغا بوضعية الورشات الصناعية والحرفية في المدينة، وكذلك بالحوانيت والأسواق، وحسب المؤرخين فإن المدينة الإسلامية قسمت إلى عدة خطط يأتي في المقام الأول الأحياء الصناعية والسكنية، وكانت النشاطات الحرفية تنحصر في أحياء خاصة.

وتأتي في المقام الثاني الصناعات الثقيلة أو الملوثة للبيئة التي تقع في مداخل الطرقات وحول الأودية في حين تتموضع الصناعات النظيفة والأقل تلوثا داخل المدينة وتتشابه جميع المدن الإسلامية

1- أبو محمد عبد الله بن سعيد،فقيه مالكي يدعى ابن زرقون له تصانيف عديدة منها "الأنوار"جمع فيه بين المنتقى والاستذكار،أنظر، ابن قنفذ، أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب، الوفيات، تحقيق، عادل نويهض، (ط، 3، بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1400هـ/ 1980م)، 295.

2- حسين باشا،المرجع السابق،860/3.

3- ابن الجوزي ،أبو الفرج عبد الرحمن ،المنتظم في تاريخ الملوك والأمم- دراسة وتحقيق محمد عطا، مصطفى عطا،مراجعة نعيم زرزور، (بيروت:دار الكتب العلمية،د.ت)، 172/8.

4- البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب و هو جزء من كتاب المسالك والممالك،(بغداد:مكتبة المثنى،1857).49.

في ظاهرة تجمع الصناعات الخفيفة والثمينة في أحياء متخصصة بتلك المهن[1].

وجرت العادة في العصور الوسطى أن يعين لكل حرفة أو مهنة رئيس يسمى الشيخ يكون أكثر أفراد الطائفة خبرة بالصناعة وأكفأهم في تسيير أمور الحرفة، كوظيفة مدنية على رؤساء طوائف الحرف والصناعات[2].

وطبعا إن هذه التسمية قد ظهرت في المشرق من قبل، والراجح أنها بدأت في بداية القرن الثالث الهجري في بلاد المشرق في مدينة بغداد، والتي أشار إليها الكتاب و المؤرخون لتلك الفترة[3].و كمثال فقد أشار ابن خلدون: " إلى إبراهيم بن المهدي كيف كان إمام هذه الصناعة ورزئ المفتين في زمانه؟ فقلت له: يا سبحان الله! و هلا تأسيت بأبيه أو أخيه! أو ما رأيت كيف قصد ذلك في زمانه فصم عن عذلي و أعرض. و الله يهدي من يشاء"[4].

فالفرانون لهم رئاسة على العمال الذين يعملون عندهم، وهم بمثابة الأدلاء[5] واستعمل الخبازون تلامذة لتعلم الصنعة من طحن وعجين، فكانوا يأمرونهم "أن يجعلوا العجين على الكساء"[6]، و أن يصبوه بعد ذلك على الحصير وكان رئيسهم (الشيخ) يسيطر على أصحاب الحرفة، الذي يجيز للصانع مزاولة صناعته بعد اختباره و له معاونين،كما يساعده المحتسب على رقابة الصناع ويرشده إلى أساليب غشهم.

أما في مجال الصناعات الحرفية، فبلاد المغرب مثلها مثل البلاد الإسلامية،كان العرف السائد فيها أن الأجراء والصناع يقومون بأعمالهم اليدوية، في حين يوفر صاحب العمل الوسائل اللازمة للصناعة،كالخيط والحرير وآلية البنيات[7]. وهناك إشارة إلى تفنن الحماديين في صناعة الحلي

1- Maya-Shatz , Miller, L'organisation du travail dans l'Islam Médiéval D'après Les Fat- Was , Le Cas Du Miyar ,p367

2- ناصيف سعيد ،**المدينة الإسلامية،دراسة في نشأة التطور**، (القاهرة: مكتبة دار الشروق،د.ت)،244.

3- **نفسه**، 245

4- ابن خلون، **المقدمة**،(بيروت: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، 2002)، 32

5- البرزلي، أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي، **فتاوى البرزلي،جامع مسائل الأحكام كما نزل من القضايا بالمفتين والحكام**،تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2004)،602/3.

6- القاضي عياض، **مذاهب الحكام في نوازل الأحكام** ،تقديم وتحقيق،الدكتور محمد بن شريفة، عضو أكاديمية المملكة المغربية، (ط،1لبنان،بيروت: دار الغرب الإسلامي،1990)،97

7- البرزلي، المصدر السابق،663/3

والملابس والمخيطات، فكانت أخوات يحي بن العزيز تقسوط وأم ملال،و شبلة يجلسن بين يديه" في زي العرائس من الحلي والملابس"[1] .وكان الأجراء الصناع في البلاط الحمادي يتقاضون أجورهم مباشرة من خزانة بيت المال.

فالمغالاة في الملابس والحلي، التي كانت تقتنيها أخوات يحي بن العزيز، دليل على رواج حرفتي النسيج والخياطة في البلاط الحمادي ببجاية، و على وجود مجموعة من الأجراء الصناع في البلاط الحمادي حيث كانوا يتقاضون أجورهم مباشرة من بيت المال على أن يقدموا خدماتهم ومهاراتهم للبيت الحاكم في بجاية.

وهذه الصناعات والحرف في بلاد المغرب،كانت ترعاها الدولة وتشجعها . بتنظيم أسواقها، ومراقبة التعامل فيها، و الضرب على أيدي المخالفين فيها، و قد عبر ابن خلدون عن هذه الظاهرة بقوله:"أن الدولة هي السوق الأعظم وفيها نفاق كل شيء والقليل والكثير فيها على نسبة واحدة، فما نفق فيها كان أكثره ضرورة و السوقة، ومن طلبوا الصناعة فليس طلبهم بعام ولا سوقهم بنافقة"[2].

4- الصناعات بالمغرب الأوسط:

لا ريب أن الصناعة قديمة في بلاد المغرب، ومن المعلوم أنها تعتمد على تحويل المنتجات الزراعية والحيوانية، وعلى تجفيف الفواكه، ومعالجة الحبوب، أو تصنيع الأعشاب، واستغلال النباتات الصناعية للحصول على النسيج إلى آخره هذا من جهة، ومن جهة أخرى كان الازدهار الفلاحي في بلاد المغرب قد أوجد طبقة ثرية بنت القصور وراحت تطلب الأثاث، والتحف المناسبة لحياتها، وهذا بدوره انعكس على ازدهار الصناعة وميل الصناع للتفنن في صناعاتهم[3].فالأحرار كانوا يزرعون الأرض بمقتضى عقود كانت تربطهم بملاك الأراضي[4].وهناك فئة أخرى من

1- ابن الخطيب، لسان الدين:**تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط**، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، تحقيق أحمد مختار العبادي،محمد إبراهيم الكتاني،(المغرب/ الدار البيضاء: دار الكتاب،1964)،86،85

2- ابن خلدون،عبد الرحمن، **المقدمة**،(بيروت: دار الرائد العربي،1982)،373

3- جودت عبد الكريم جودت، المرجع السابق، 484

4- أبو يوسف، يعقوب ابن إبراهيم،**كتاب الخراج**،(بيروت: دار الكتاب،1302)،65

المزارعين البسطاء، وهم مزيج من الأحرار والعبيد، كانوا يعملون كأجراء يطلق عليهم اسم " الحرَّاثين " اعتبروا فئة من العمال الفقراء[1] وساعدوا في توفير الموارد الأولية للصناعة.

وأشار Claude Cohen إلى وجود تنظيمات مهنية في بلاد المغرب، وأن هناك قواعد ورسوما تتحكم في هذه التنظيمات . وأشار كذلك إلى وجود تدرج في مراتب العمال في المغرب على غرار ما هو سائد بالمشرق كالشروط التي تملى على المبتدئين في تعلم حرفة من الحرف، والتعاليم التي يجب عليهم أن يتقيدوا بها في طريق أخذهم للمهنة التي يحترفونها ؟[2] .

ولم تتطرق المصادر التاريخية العامة، و لا كتب التراجم والجغرافيا للأساليب التي كان يستعملها أرباب العمل في اختيار العمال والصناع للخدمة، وبالتالي فإن أصحاب الورشات الصناعية،كانوا يعتمدون في جلب الصناع والحرفيين لورشاتهم عن طريق وسطاء لهم خبرة كبيرة في هذا المجال كالدلالين والسماسرة وفي حالات كثيرة فإن أصحاب المهارات والخبرات الحرفية،كل في مجال تخصصه، هو الذي يقوم برحلة البحث عن العمل عند أصحاب الورشات الصناعية، وأصحاب المعامل والدكاكين فيعرض خبراته عليهم، ويتم قبول هذا الحرفي عن طريق امتحان خاص يقوم به[3].

وكانت العلاقة الحرفية التي تقوم بين الصانع ورب العمل لها ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: قد يكون الاتفاق مسبقا بين رب المال والصانع، وفي هذه الحالة يكون العمل الذي يقوم به الصانع معلوما وأجرته معلومة.

الوجه الثاني: قد يحدث الاتفاق بين الصانع ورب المال، على الأجرة فقط، أما العمل فيبقى غير محدد، و الوجه الثالث: يكون العمل على اتفاق بينهما، و في هذه الحالة، ورغم الاتفاق فإنه كثيرا ما تحصل الخلافات بين الفريقين وقد أشار المازري فيما نقله عنه الونشريسي: "قد تكون قيمة العمل معلومة وقد لا تعلم إلا بعد التمام"[4].

1- الجاحظ، **المصدر السابق**،29/4

2- **Les peuples Musulmans Dans l' Histoire Médiévale**,(PARIS , 1981),317

3- IBid,369

4- أحمد بن يحي الونشريسي، **المعيار المغرب والجامع المغرب في فتاوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب**، تحقيق، محمد حجي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي،1981)،221/3

5 - فتوى المازري، المعيار، 80/9

وقد تعددت أساليب العمل في الدولة الحمادية، وفي القرون التي تلتها، ونتيجة للمرونة في المعاملات فإن الفقهاء قد تصدوا بقوة لجميع التعسفات التي تقع على العمال، لذلك اهتموا بالنوازل التي تقع في مجال العمل وافردوا لها كثيرا من فتاويهم. وحسب المازري، هناك فلان بين الفقهاء حول من يشتكي من الغير إلى والي جائر، وهو يعلم أن الوالي يتجاوز الحد، و يسلط على صاحب الجنحة غرامة أعلى بكثير من التي يستحقها. ويقول روجي إدريس نقلا عن المازري:" إن أحد أصحابنا" يعني المشتكي من دفع أي تعويض لضحية السلطة، إذا كان هو نفسه قد تعرض للاضطهاد[1].

والظاهر أن الاتفاق الذي كان يحصل بين رب المال والصانع لم يكن شفويا، بل كان يوثق بوثيقة تكتب عند الموثق كما هو متعارف عليه في هذا القرن.من ذلك حالة العامل الذي سافر من القلعة إلى القاهرة بسلع قراضا، وكتب بينهما وثيقة[2]. وتتضمن هذه الوثائق في حالات عديدة سجلا مفصلا عن نوع الحرفة التي يتاجر فيها العامل، وعن المراكب التي تحملها وثمنها عند الشراء وعند البيع.و المدة التي يقضيها العمل في السفر والمكان الذي اتجه إليه وأنواع المبادلات التي تحدث أثناء عملية البيع و الشراء ، و سنتعرض لذلك فيما يأتي من هذا البحث خاصة عند الحديث عن الأسواق. وهذه السجلات تشبه ما هو متعارف عليه اليوم في عالم المال و الأعمال، كعقد الصفقات بين الدولة ورجال الأعمال في إنشاء صناعة من الصناعات، وبناء ورشات و شركات خاصة.

وفي الختام فإن ظهور الحرف في العالم الإسلامي عامة وفي بلاد المغرب خاصة ارتبط بتطور القرى والمدن، نتيجة الازدهار الاقتصادي فيها، أي قبل ظهور الفاطميين على مسرح الأحداث في إفريقية وسيطرتهم على الثروات، والمسالك التجارية الممتدة إلى بلاد السودان ونعني بذلك معدن الذهب، هذه الثروة الاقتصادية الضخمة التي استغلها الفاطميون من أجل تطوير النشاط الاقتصادي في بلاد المغرب، و من ثمة تسهيل نشر دعوتهم وسط الجماهير السنية في كامل بلاد المغرب ويمكن استخلاص بعض النتائج فيما يأتي:

1- روجي إدريس، المرجع السابق،2/ 162

1- ظهور التنظيمات الحرفية مرتبطة أساسا بتطور الصناعة الحرفية في المدن، و القرى على امتداد القرون الثلاثة الأولى من بداية الفتوحات الإسلامية إلى غاية نهاية القرن الثالث الهجري، حيث عرفت بلاد المغرب نشاطا اقتصاديا كبيرا مكن من اتساع العمران، وظهور مدن جديدة ببلاد المغرب فيما بعد، في العهد الفاطمي، كمدينة المهدية، و صبرة المنصورة، وفي العهد الصنهاجي الفاطمي كمدينة أشير،والقلعة والمسيلة.

2- بروز مفاهيم جديدة لتسيير ميدان الحرفة على أسس واضحة، ومنظمة، من بينها بروز فئة الأصناف، والتي على ما يبدو من خلال المصادر التاريخية أنها انتقلت إلى إفريقية، و بلاد المغرب، من بلاد العراق. فقد ذكر ياقوت أهل الحرف و المهن " كصنف الصيارفة " وصنف الصاغة".[1]

3- بداية تكوين النقابات الحرفية في مدن المغرب، منذ القرن الرابع الهجري، القرن العاشر الميلادي، فقد أشار الباحثون إلى وجود مثل هذه النقابات في الدولة الحمادية، كوجود روح النقابة الحرفية في بعض الحرف وهناك الافتخار بالانتماء إلى مهنة عليا، و أيضا اسم الحرفة. وكل ما تقدم ذكره في هذا التمهيد، ولا سيما ما يتصل بموضوع الحرف مباشرة ستزيده توضيحا و شرحا و تحليلا ضمن فصول البحث الثلاثة فيما يأتي.

1- ياقوت، شهاب الدين أبي عبد الله، **معجم البلدان**، تحقيق، فريد عبد العزيز الجندي، (بيروت:دار الكتاب العلمية ،410/4، 411

الفصل الأول

الحرف المعتمدة على الموارد الزراعية والحيوانية

1-توطئـــــة

2- حرفة النسيـــــج

3-حرفة القزازة

4-حرفة الخياطة

5-صناعة الأحذية

6-حرفة الجلود

7-الصناعة الغذائية

8-صناعة الحلويات

9-الصناعة الخشبية

10-حرفة فن النقش على الخشب

11- حرفة البناء و البنائين

12- صناعة الصابون

13- حرفة صنع المطاحن

14- العطارون وأصحاب العقاقير

15- حرفة تكرير السكر

16- حرفة الصباغة

17- حرفة الجزارة

18- الفرانون

19- الحبالون

20- حرفة صنع السلال أو القفف

21- حرفة الرعي

22- حرفة الصيد البحري

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الحرف الزراعية المعتمدة في مواردها على الزراعة و على الحيوان

1-توطئة:

إن الصناعات و الحرف التي سأتعرض لها و المرتبطة بالزراعة تمثل أساس الصناعات والحرف، و يعود هذا إلى الموارد المعتمد عليها من جهة، و إلى أهميتها في حياة المجتمع من جهة أخرى إذ أن هذه الحرف تمثل أساس حياة المجتمع، بدونها لا يمكن للمجتمع أن يستمر في الحركة والعطاء، فلا يمكن مثلا تصور قيام حياة مدنية في المدن أو القرى بدون لباس، ولذلك تحتم الأمر وجود صناعة من خياطة، و حياكة، و صناعة جلود، وقيام صناعة الطبيخ التي تدخل في الحياة اليومية للفرد الحمادي، و تتجلى أهمية هذه الصناعات في أنها تمثل المعيار الحقيقي لما بلغته الحضارة الحمادية، إذ أن الرقي المادي و الروحي، و الفني يمكن قياسه بما أتقنه الحرفي الحمادي في توفير حاجياته اليومية ومن ثمة حاجيات المجتمع من جهة أخرى.

2- حرفة النسيج:

صناعة النسيج إلى جانب الغذاء من أهم الصناعات المقومة لحياة الناس و المجتمعات، وصناعة النسيج تعتمد على الإنتاج الزراعي، والحيواني كمواد أولية وهي المتوفرة بأقاليم بلاد المغرب كالصوف، والحرير، و القطن والكتان، مما يعني إنتاج الصوف بكثرة، خاصة في الهضاب العليا التي تعد من أكبر الأماكن في المغرب إنتاجا لها؛و الذي يمتاز بجودته العالية، ونعومته الكبيرة[1]؛ فكثرة الأغنام في هذه المناطق وفرت المادة الأولية و الأساسية لصناعة النسيج وخاصة البرانس الجميلة،[2] حيث اشتهرت منطقة طبنة و المسيلة وبسكرة، بتربية الماشية، لتوفر الظروف الطبيعية، من مناخ ملائم و كثرة المراعي، في المناطق السهبية، فكانت تجز الأصواف من هذه الأغنام في بداية فصل الصيف، لأن ذلك يزيد من صحة الماشية، ويسهم في زيادة التكاثر لديها.

وتعد صناعة المنسوجات من الملابس، والثياب، والأغطية، وغيرها من الصناعات الاستهلاكية، و من أقدم الصناعات التي نشأت مع الإنسان ، ووليدة حاجته لا سيما وقاية نفسه من العوامل الجوية، وقد تدرج فيها في سلم تصاعدي، فاتخذ بعض أنواع الحشائش والأغصان

1- ابن حوقل، **صورة الأرض**، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي،د.ت)، 95.

2- هذه الصناعة ما زالت تعرف بها المنطقة حتى اليوم إلى جانب لباس القشابية.

سترة له، إلى أن اهتدى إلى عمل الخيط من الصوف،والكتان، والحرير، والقطن، ومنها نسج ما يحتاج إليه من المنسوجات[1] .

و يرى ابن خلدون أنها من الصناعات الأساسية للعمران البشري إذ خصص فصلا كاملا في مقدمته في الحياكة والخياطة. فأشار " أن هاتين الصناعتين (الحياكة و الخياطة) ضروريتين للعمران لما يحتاج إليه البشر من الرفه"[2].

وعدت صناعة المنسوجات من الصناعات المهمة في حياة المجتمع المغربي، وقد تحدث أيضا ابن خلدون عن نشأتها في قوله"....فإنهم لما استحضروا بلغوا فيها المبالغ، لعموم البلوى، وكون هذان أغلب السلع في نظرهم لما هم عليه من حالة البداوة"[3]. كما تعرض ابن حوقل لذكرها عند وصفه لمدينة طرابلس قائلا: "وطبقات الأكسية الفاخرة الزرق والكحل النفوسية والسود والبيض الثمينة[4]".

وفي قلعة بني حماد، قام الحرفيون بصناعة أكسية صفيقة (متينة الصنع) النسيج متقنة الحياكة لا يضاهيها في جودتها أحد من مدن المغرب[5].

و يعتقد أن هذه الثياب و الأكسية قد انتشرت بفضل التجارة في جميع بلاد المغرب؛ ويبدو أن هذا الطريق الذي كان يتبع في جميع أنحاء المغرب من طرف الحرفيين في تسويق إنتاجهم من مراكز التصنيع إلى جميع الأفاق[6].

و كانت الحياكة أهم الصناعات لحاجة الناس إليها، فالناس يعتنون كثيرا بالملابس، و لأنها تدخل كثيرا في أقسام التأثيث المترلي من ستائر، و أنماط و بسط ووسائد في الدولة الحمادية وكمقارنة يذكر" ابن أبي زرع"، في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، توفر مدينة فاس

1- محمود عبد العزيز مرزوق، **الفن الإسلامي، تاريخه و خصائصه**، (بغداد: مطبعة بغداد، 1965)،118،119.

2- المقدمة ،381، نفسه،(لبنان/ بيروت: دار الفكر، 2002)، 391

3- نفسه، 374، نفسه، طبعة دار الفكر، 384

4- ابن حوقل،المصدر السابق، 85

5- ياقوت الحموي،المصدر السابق ،390/1

6- الإدريسي، أبو عبد الله الشريف،**نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**،(القاهرة: مكتبة الآفاق الدينية،2002)، 281/1، 282

على ثلاثة آلاف موضع وأربعة و ستين مكانا خاصا لصناعة الحياكة و تطريزها[1]. وأغلب الظن أن مثل هذه المعامل قد توفرت بكثرة في الحواضر الحمادية الكبرى، مثل القلعة و بجاية. ولكن للأسف أن المصادر التاريخية لم تتعرض لها مما جعل أخبارها لا تصل إلينا.

و إشادة البكري[2] بالمنسوجات لا سيما عندما تعرض للحياكة بسوسة، يدل على انتشارها في مناطق أخرى خاصة صناعة الزرابي والبسط والثياب الصوفية والقطنية والحريرية، وقد وجدت هذه الصناعة في المدن التي تتوفر بكثرة على المواد الأولية من أصواف الغنم والبقر والماعز، منها المسيلة، و طبنة، وبونة لرخص أسعارها وسهولة نقل البضاعة إلى الورشات لقرب المسافة بين المراعي ودور النسيج.

وتتوفر الكثير من المدن على المواد الأولية لصناعة النسيج من صوف وقطن وكتان، حيث كان يزرع الكتان في منطقتي طبنة و القطن في المسيلة[3]، كما يذكر ابن حوقل[4] .

و من مراكز المنسوجات القطنية والكتانية في بلاد المغرب الأوسط بونة وبجاية، و كانت أكثر النواحي المحيطة بمتيجة[5] تزرع كتانا وكذلك طبنة.و أما عن مادة الحرير فإن المصادر لا تشير إلى وجودها في المدن الحمادية؛ و ما يمكن أن نقوله في هذا الصدد هو أنه ربما كان الحماديون يجلبون هذه المادة من قابس وهي المدينة التي اشتهرت بصناعة الحرير في هذا العصر بافريقية حسب ما أفادت به المصادر[6].

ومن المدن التي اشتهرت بصناعة النسيج مدينة بجاية التي كانت متخصصة في بعض المنسوجات منها العمائم، وقلعة بني حماد التي اشتهرت بأكسيتها الفريدة في الجودة والرقة، و إلى

1- ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، (الرباط:دار المنصور للطباعة والوراقة،1973)،48

2- عز الدين أحمد موسى، **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري**، (بيروت، القاهرة: دار الشروق)، 22

3- فاطمة بلهواري، المرجع السابق، 133

4- ابن حوقل، **المصدر السابق**، 85

5- **متيجة**، بلد في أواخر إفريقية من أعمال بني حماد، ويقال إنها متيحة ولها مزارع ومسارح و **هي أكثر** تلك البلاد كتانا ومنها يحمل و فيها عيون سائحة و طواحين، انظر، ياقوت، **المصدر السابق**، 63/5

6- البكري، المصدر السابق، 110

جانب شهرتها بصناعة الألباد[1] والملابس المزركشة[2]. أما عن أنواع الملابس فهي متعددة منها العمائم التي كان الأمراء الحماديون كغيرهم الزيريين يرتدون العمائم المذهبة، والتي تساوي الواحدة منها خمس مائة دينار وستمائة دينار حسب ما أفاد به صاحب الاستبصار، وكانت إذا تعممها مالكها تبدو فوق رأسه كأنها التاج[3].

واستطاع الأستاذ قولفن Golvin[4] أن يعطي تصورا للعمائم الحمادية التي يقول عنها أنها شبيهة بعمائم الفاطميين معتمدا في ذلك على ما كتبه المقريزي وباقي المؤرخين الذين تحدثوا عن الخلفاء الفاطميين وعن النقوش الرائعة التي زينت بها الخزفيات و التحف الخشبية الفاطمية[5].

ومما يؤكد رأي الأستاذ قولفن هو قول المقدسي بأن المغاربة كانوا يرتدون لباس المصريين[6]. وقد تكون الهدايا المتبادلة بين الأمراء الحماديين و الخلفاء الفاطميين بالقاهرة قد أثرت في ذلك إلى جانب أن الصناع المغاربة كانوا يتنقلون بين مدن إفريقية و المغرب فتوسع مجال التأثر و التأثير.

و خلاصة القول أن هذه الحرفة كانت شائعة في جميع مدن المغرب وقراها، ولابد أن حركة تنقل الصناع وخبراتهم، بين هذه المدن كانت قوية، بدليل تشابه الأكسية بين مدن المغرب، كالمهدية و صبرة المنصورة[7]

1- **الألباد**، ج لبود و ألباد، كل شعر أو صوف متلبد، البساط من صوف، ما يوضع تحت السرج على ظهر الفرس، انظر، جبران مسعود، الرائد معجم لغوي عصري، (ط،6، بيروت: دار العلم للملايين، 1990)، 1272/1.

2- البكري، **المصدر السابق**،87

3- مجهول، الاستبصار، **المصدر السابق**، 65

4- اهتم هذا الباحث الفرنسي بدراسة الحفريات في خرائب القلعة و بجاية و أشير في العهد الحمادي، ووضع دراسات عديدة بناء على نتائج الحفريات الأثرية،انظر Le Maghreb central à l'époque des Zirides, éd. Arts et métiers graphiques, Paris, 1954

5- المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي ،**كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط و الآثار**، (ط،2،القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية،1977)،53

6- المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنبا ري ،**أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، (ط،2،ليدن)،20

7- صبرة المنصورة، بلد قريب من القيروان و تسمى المنصورة بناهاإسماعيل بن أبي القاسم بن عبيد الله سنة 337هـ/ 948م واستوطنها، وقال ياقوت الحموي في خبر المهدي: لم تزل المهدية دار ملكهم إلى أن خرج أبو يزيد الخارجي عليهم وولى الأمر إسماعيل بن أبي القاسم بن عبيد الله سنة 334هـ/945م فسار إلى القيروان محاربا لأبي يزيد الخارجي واتخذ مدينة صبرة واستوطنها بعده اسه و ملكها و حلا أكثر أرض مدينة المهدية، انظر، المصدر السابق،444/3.

و القلعة من جهة وبينها وبين حواضر المدن المغربية من جهة أخرى،كفاس و صبرة المغرب وسجلماسة[1] .

3- حرفة القزازة

هذه الحرفة تتمثل في صناعة الخيوط من الصوف أو الكتان أو القطن من أجل غزلها كمادة أساسية للنسج وذلك بمزج المواد الأولية بعضها معْ بعض في شكل خيوط محبوكة و تقديمها للنساجين لتصنع برانس أو ملابس؛ وقد امتهن هذه الحرفة كثير من العلماء، فكان العالم الكبير أبو عبد الله بن جعفر القزاز (ت. 412هـ / 1021م)، صاحب التآليف العديدة يشتغل قزازا و عد الفقهاء القزازة أفضل الصنائع و أعظمها إذ تأتي في مرتبة الثانية بعد الزراعة لأن بها تقع السترة غالبا و السترة كما هو معلوم واجبة.[2] وتكلم عنها صاحب كتاب المدخل لأهميتها كحرفة بين الناس بحيث أنه لا يمكن الاستغناء عنها في أي وقت من الأوقات فقال: " وأما ما يفعله بعضهم من أنهم يأخذون الغزل من هذا و هذا و يخلطون الجميع سواء كان أحدهما مثل الآخر أو أرفع منه أو دونه فينسجون الجميع و يعطون لكل واحد منهم على قدر غزله و هذا لا يجوز و لو كان احد الغزلين، وقد يكون بعضهم لا يلبس إلا الحلال البين. وقد يكون غيره بالعكس و ما بينهما. وكذلك يحذر مما يفعله في الرفع و ذلك حرام لا شك فيه و أحوالهم في هذا لا يأخذها حصر و ما تقدم من أفعالهم، مما هو من باب الغش البين ليس من أمر الصناعة في شيء".[3] و توضيح ذلك أن هذه الحرفة، تقوم مادتها على الخيوط المغزولة، وبمعنى آخر أن القزازين يشترون مادة الصوف أو الكتان أو غيرها عبارة عن خيوط مغزولة، ثم يقومون بخلطها مع بعضها البعض تناسب الغرض من هذه الصناعة.و يستنتج من هذا أن هذه الحرفة قد انتشرت بقوة في الدولة الحمادية، أن الحماديين

1- ياقوت، المصدر السابق، 192/3

2- بونار رابح، المرجع السابق، 211

3- ابن الحاج، المصدر السابق، 66

قد خصصوا العمل في الحرف، وعرفوا الصناعات المحولة إلى نصف مصنعة، ليتم نقلها إلى دكاكين خاصة بحرفة القزازة[1].

4-حرفة الخياطة

الخياطة حرفة قديمة، وقد أوردت المصادر إشارات لهذه الحرفة لا سيما كتب الفقه والنوازل، من ذلك سحنون في المدونة الكبرى[2]. فذكر الخياطين والعمال الذين يسخرونهم في الأسواق بسبب بيع السلع و توزيعها على الدلالين و السماسرة من أجل بيعها في السوق، وعالج سحنون في فتاويه مسألة الشروط والتضمين والأجر في الخياطة. وذكر المالكي رتبة رئيس المهنة عند الخياطين وكان يعرف باسم المعلم، و جاءت على لسان أحد العلماء:" كنت أخيط وأنا غلام حدث السن مع شباب عند معلمنا[3].

و لم تفدنا المصادر عن الحرفة إلا ما تعرضت إليه بعض الفتاوى في المغرب في تقويمها للسلوك الذي يتّبعه الخيّاط في تسويق إنتاجه. فكان الخياط في الغالب لا يعتمد على نفسه في تسويق إنتاجه، فالسمسار أو الدلاّل يقوم بحمل سلع الخياط من دكانه وبيعها في أحد الأسواق[4]. ذكر القاضي عياض أحد الفقهاء المالكيين من مدينة المسيلة كان يحترف مهنة الخياطة يدعى "أبو جعفر الخياط "[5].

وهذا يبين أن حرفة الخياطة كان يشرف عليها رئيس المهنة- المعلم- و هو أرفع الدراجات في نظام الصناع، والكسب من الحرفة يعود إليه، و يساعده في عمله مساعدا له هو الأجير، ويتم تعليم الحرفة بالاتفاق بين المعلم و الصبي في أن يتعلم الحرفة بين الحرفي و المتعلم مقابل أجرة. وعادة ما يكون هؤلاء الصبيان هم أبناء الحرفي. وهذا ما يفسر انتشار توريث الصنعة في أفراد الأسرة.

و كان الصبي في العصر الفاطمي يدفع أجرة مقابل تعليمه، مما أدى إلى نشوب الكثير من النزاعات والخصومات بين المعلم و الصبي، جعلت القاضي" النعمان"، يعالج الأمر بإصداره فتوى

1- ابن حوقل، المصدر السابق، 75، 85

2- المدونة الكبرى، المصدر السابق،11/93 المالكي،المصدر السابق،1/93، المالكي، المصدر السابق، 1/199،366

3- البرزلي، المصدر السابق،3/560

4- المالكي، المصدر السابق،2/560

5- نفسه،2/228

تبيح أخذ الأجرة على تعليم الصنائع للصبيان في حدود الشرع.(الصنائع الحلال)[1]. و قد انتشرت هذه الحرفة في العهد الحمادي، انتشارا واسعا إذ أن الونشريسي قد أشار إلى دفع الصبيان أجرة لمعلم القرآن، مقابل أن يتم تعليمهم إياه. كما يدفع لمعلم الصنائع.

واشتغل عبد الله بن مروان[2] الفقيه المشهور بالتفنن في صناعة الحرير ونسجه،[3] وكان أبو مدين شعيب وهو من المتأخرين قريب عهد بالحماديين، في عهد شبابه وحداثة سنه يشتغل بحرفة النسيج[4]؛ وتحدث العالم الفقيه أبو العباس بن عبد الرحمن الصنهاجي المكنى بالجباب[5] عن نفسه فقال:" وكنت أخيط الجبة بخمسة دراهم فأجيد خياطتها حتى تقوم بعشرة دراهم وأرضى بما ينالني من الغبن مع التحري مني فرأيت النبي ﷺ في النوم فعلمني كيف أخيط وأراني قدر ما يكون بين الفرزتين فكنت أخيط على ذلك المنوال[6]. وهذا يبين أن إتقان حرفة الخياطة، بشكل جيد يزيد في سعرها في السوق إلى الضعف، مما يستنتج أن الثياب المخيطة وجدت في الأسواق حسب مراتبها من الجودة و حسن تفصيلها، يمارس هذه الحرفة الفقهاء في المدن الحمادية مثل عامة حرفي الطبقات الشعبية الأخرى، يقتاتون منها، و يبدو أنهم كانوا يميلون إلى تعلم حرفة الخياطة أكثر من غيرها من الحرف.

1- القاضي النعمان، **دعائم الإسلام**، تحقيق، الحبيب الفقي، و إبراهيم شبوح، محمد اليعلاوي،(ط، 2، بيروت: دار الغرب الإسلامي،1977)، 102.

2- عبد الله بن مروان (ت.440هـ /1048م)، تلميذ القابسي، انظر، روجي إدريس، **حوليات الدراسات الشرقية**،1954، العدد، 25، 193

3- ابن فرحون،**المصدر السابق**، 140.

4- محمد بن أبي شنب، **أبو مدين شعيب**، (دائرة المعارف الإسلامية،نقلها إلى العربية،محمد ثابت الفندي،أحمد الشنشاوي،إبراهيم زكي خورشيد،عبد الحميد يونس،1993)،400،399

5- الجباب، أبو العباس بن عبد الرحمن، الفقيه القاضي الجليل الفاضل الموحه، من مدينة بجاية، ولى قضاء مراكش، كانت له الحضوة عند بني عبد المومن،أنظر، الغبريني، **المصدر السابق**، 213

6- ابن الزيات، أبو يعقوب يوسف التادلي، **التشوف إلى رجال التصوف**، تحقيق أحمد توفيق، (الرباط: دار الفكر المعاصر،1984)،316.

5- حرفة الجلود

إن انتشار ظاهرة الرعي في مناطق عديدة من بلاد المغرب والتي ظلت تمارسها القبائل[1] المغربية منذ القدم ، أوجد وفرة في الجلود حتى غدت من أبرز منتجات تلك القبائل منذ عصور قديمة، و أدى ذلك إلى انتعاش صناعة الجلود فاتخذت منها الأفرشة، و الخيام، والأحذية، والنعال[2].

و تخضع صناعة الجلود إلى عملية التنظيف والتليين بآلة أو بأداة، ومن الطرق المعهودة في صناعة الجلود هي أن ينقع الجلد في الماء مدة معلومة تتزايد بقدم عهد الجلد، وكان النقع إما في حوض أو وادي، ويتكرر النقع والتنظيف عدة مرات، وبعد هذه المرحلة يؤخذ الجلد لدبغه، وتناولت كتب النوازل قضايا تتعلق بالأضرار التي تنجر عن الدباغة[3].

ورغم فقر المعلومات عن هذه الصناعة، فقد توزعت بين مراكز عديدة من بلاد المغرب، حيث ذكر ابن حوقل: " أن مدينة برقة انفردت عن غيرها من المدن المغربية في تجارة القطران، والذي يستخدم في دبغ الجلود"[4]. وأشارت المصادر التاريخية، إلى الرجل الذي يقوم ببيع الأبدان في السوق، فيشتري برأس المال كتانا، والربح يقتات به هو وعياله[5]. و في رواية عن الدباغ، أن القصار اشترى ثوبا قديما وسخا، وبيضه في بيته، وبيع البدن بزيادة قيراط من الدراهم، وعلى ذلك كان حاله في عمله[6]. ويستنتج أن الحرفيين في الأسواق، لم يكونوا أغنياء بل هم أقرب إلى الفقر، فالأجرة التي يتقاضونها تكاد لا تكفي حاجياتهم الضرورية من كسوة وطعام و شراب. أما عن

1- صفر أحمد، **مدينة المغرب العربي عبر التاريخ**، (تونس: دار النشر بوسلامة، 1959)،152

2- الدرجيني، أبو العباس أحمد بن سعيد بن سليمان بن علي، **طبقات المشايخ بالمغرب**، تحقيق إبراهيم طلاي، (قسنطينة : مطبعة البعث،الجزائر، 1978) 368/2

3- "و سألت شيخنا الإمام أبا العباس الغبريني: في خراب أحدثت فيه حواب و جعل لغسل الجلود و اللبود و أحدثت للخراب المذكور ساقية تخلط على ساقية دور الدبغ و يخرج منها من سور البلد إلى مستقرها و أذن في ذلك أرباب دور الدبغ"، انظر، البرزلي، المصدر السابق، 406/4

4- إبراهيم حركات،**النشاط الاقتصادي في العصر الوسيط**، (الدار البيضاء : إفريقيا الشروق ،1996)،1125-55

5- نفسه، 66

6- معالم الإيمان. 105/2

لباس الصناع فإن المصادر التاريخية لا تشير إليها إلا فيما ندر، ويبدو أن كل طائفة من الصناع كان لباسها الخاص الذي تعرف به[1].

ويذكر الغبريني باب الدباغين، كإحدى أبواب بجاية، حيث سمي بهذا الاسم، لقيام حرفة الدباغة في جوار ذلك الباب[2].

وما زالت هذه الحرفة ببجاية قائمة إلى يومنا هذا في أماكن متفرقة من المدينة، وعلى أطرافها، وتشبه طريقة الصنع اليوم الطرق القديمة التي كانت سائدة في العهد الحمادي إذ يأتي الحرفي بالجلد فيغمره في الماء، وبعد أن يتأكد الحرفي من تعطينه جيدا في الماء، يوضع في النخالة ومادة الملح والشب[3]. و تصنع منه عادة أكياس، يوضع فيها الزيت و الحبوب، (القمح والشعير)، ويؤخذ إلى الرحى والمطاحن، ويدهن بالحليب والملح، و يغسل، ويعاود النفخ فيه حتى لا يلتصق.

وهذه الطريقة هي نفسها المستعملة اليوم في دبغ الجلود مع بعض التغييرات التي طرأت على الحرفة، إذ أضيفت إليها المعالجة الكيميائية، واستعمال الآلات الحديثة و إقامة المصانع الضخمة لإنتاج الجلود بكميات كبيرة.

وهذا يعني أن ممارسة هذه الحرفة بقيت مستمرة تتوارث أب عن جد، والملاحظ أن ورشات هذه الحرفة اليوم في مدينة بجاية تقع خارج المدينة بالقرب من الموقع التي كانت عليه على عهد بني حماد[4].

6-صناعة الأحذية :

تقوم هذه الحرفة بتحويل الجلد المدبوغ إلى نعال للرجال و النساء، وعادة ما يكون صاحب هذه الحرفة يتجول في الأسواق، ومنهم من يملك دكاكين يمارس فيها مهنته. ويستعمل الحرفي في عمله قوالب الخشب أو الحديد الذي يأخذ شكل الحذاء بمقاسات مختلفة، حسب طلب الزبون. و يستخدم إبرة غليظة لخياطة الجلد وتثبيته على قاعدة من الخشب، تشبه قدم الرجل.

1- نفسه، 106/2

2- الغبريني، المصدر السابق، 81

3- الشب،وردت في مصادر تاريخية متفرقة، ذكرها البكري ، المصدر السابق، 92 وتعني حجرة بلورية بيضاء ملساء لها رائحة خاصة تشبه البخور، تباع اليوم في دكاكين العطارين .

4- قرب الثكنة العسكرية الفرنسية، بشارع كلوريل، أنظر، بجاية، المرجع السابق، 38

ارتبطت صناعة الأحذية بتوفر الثروة الحيوانية في بلاد المغرب .فجاءت إشارات واضحة لهذه الثروة الحيوانية عند ابن حوقل في قوله: " ولهم الخيل النفيسة من البرادين والبغال الفرد،والإبل والغنم وما لديهم من الأمراء وقواد الجيش وأرباب الدولة لهم أحذية خاصة بهم .وللعامة من الناس أحذية خاصة بهم، وأحذية أهل البادية متينة لكثرة تنقلهم حيث كانوا يخصفون نعالهم ويطبقونه[1]. ماشية البقر وجميع الحيوان الرخيص، فأما أسعارهم على ثنائي منهم وديارهم، فعلى غاية الرخص في الأطعمة والأغذية والأشربة، واللحمان، والأذهان[2] وشكلت تربية الأنعام مادة أولية في صناعة الصوف والجلد [3].

فوفرة المواشي في المدن الحمادية يعني كثرة الجلود، و هي المادة الأولية لصناعة الأحذية في دولة بني حماد، وهو ما يستشف منه ازدهار الصنائع الحرفية المعتمدة على الجلود المدبوغة ومنها صناعة الأحذية.

ولا شك أن الدولة الحمادية قد توفرت على كثير من المعامل و الورشات لصناعة الأحذية، والتفنن فيها، وتصدير إنتاجها إلى أقطار المغرب. وبلاد الأندلس، حيث كانت التجارة في هذه المجال واسعة بين الدولة الحمادية والمدن الأندلسية.

أما عن كيفية الصنع أو عن مراحل التصنيع فإن الحرفي يبدأ في العمل انطلاقا من المواد الأولية المتوفرة لديه ونستأنس هنا بإحدى النوازل[4]؛ التي حدثت في نفس الفترة المدروسة فقد اشترى حرفي كمية من الجلود بستة دنانير دفعها نقدا لأحد السماسرة، ويبدو أن السماسرة كان لهم دور مهم في الوساطة بينهم و بين الحرفيين إذ كانت حرفتهم تقوم على أخذ المنتوجات الحرفية و بيعها كسلع للزبائن، ويكون الاتفاق مسبقا بينهم و بين الحرفيين بأثمان معلومة و هامش الربح بالمزاد يأخذه السمسار. وهذا يستنتج منه أن السماسرة قد سيطروا على هذه التجارة بيع الجلود في

1- ابن حوقل، 79

2- نفسه، 95 .

3- موريس لومبار ،الإسلام في مجده الأول – القرن" 8 ،11م " – " 2، 5هـ " ترجمة وتعليق ، إسماعيل العربي ، (الجزائر:المؤسسة الوطنية للكتاب،1984)،230

4- المالكي، المصدر السابق، 47

الأسواق وكانت تدر عليهم أرباحا و أموالا طائلة.من أجل أن يقوم بتصنيع ثلاثين زوجا من الأحذية.

فظاهرة شراء الجلود لأجل صنع أحذية، كانت منتشرة ببلاد المغرب والأندلس. ويبدو أن عملية الشراء كانت واسعة الانتشار، بدليل أنها تساهم في عملية جمع النقود التي تحتاجها دار السكة[1] .

وأشار صاحب كتاب الاستبصار في القرن (5هـ/ 11م) عند كلامه على بلاد المغرب الأوسط ، أنها كثيرة الغنم والماشية ، طيبة المراعي ومنها تجلب الأغنام إلى بلاد المغرب وبلاد الأندلس لرخصها وطيب لحومها [2].

واشتهرت مدن مثل المسيلة ، وطبنة ، وتنس بوفرة المواشي من الأنعام والبقر وسائر الكراع ، واشتهرت بونة بإنتاج الأبقار والغنم ، أما جزائر بني مزغنة فكانت " أكثر أموالهم المواشي من البقر والغنم السائبة في الجبال وعرفت مدينة وهران بكثرة المواشي ، فازدهرت التجارة فيها مع الجهة المقابلة من الأراضي الأندلسية[3]. وبذلك كانت وفرة المادة الأولية لحرفي الصناعة الجلدية.

ولا شك أن الأحذية لم تكن على نوع واحد ، فالطبقات العليا من الأمراء وقواد الجيش وأرباب الدولة لهم أحذية خاصة بهم. وللعامة من الناس أحذية.

7- الصناعة الغذائية

اعتمدت الصناعة الغذائية في بلاد المغرب أساسا على الموارد الزراعية والرعوية فقد شكلت الثروة الحيوانية والزراعية مادة خامة للقطاع الصناعي، ولذلك بقيت الحرف اليدوية خاضعة لهذه الموارد ويقل إنتاج الصناعة الغذائية أو يزيد، حسب توفر الموارد الأولية الحيوانية و النباتية[4]؛ ونذكر فيما يأتي جملة من هاته الصناعات:

1- القاضي عياض، المصدر السابق، 600/2

2- مجهول ، الاستبصار، 179 .

3- ابن حوقل، المصدر السابق،77،78،79

4- فاطمة لهواري، المرجع السابق،175

أ- حرفة تصبير الزيتون

لقد كانت و لا زالت زراعة الزيتون تنتشر في مناطق تلمسان، ومعسكر، وضواحي سيدي بلعباس، و مستغانم، ووهران، وتنس، وشرشال والجزائر، وتيزي، وبجاية، وسكيكدة، وقالمة، و سوق أهراس[1]. أي أنها تمتد على طول شمال الجزائر في منطقة ما يعرف بالتل و أين يسود المناخ المتوسطي، الذي يساعد على انتشار هذه الزراعة وجل هذه المناطق كانت تابعة للدولة الحمادية، وهي قديمة يعود تاريخها إلى العهود القديمة.و الحرفة هذه نوعان.

الأولى: حرفة خاصة بجمع حبوب الزيتون من أشجارها و نقلها إلى المطاحن، أو بيعها.

الثانية: وهي الحرفة الخاصة بتحويل حبات الزيتون إلى زيوت و التي تستخدم فيها عدة طرق منها أن الحرفي يوضع حبات الزيتون في طنجير[2] مملوء بالماء فوق النار، ويتركه يغلى ثم يوضع في أكياس (شكائر) لمدة تتراوح بين 15-21 يوما. وبعدها يقوم الحرفي بوضع الزيتون المغلي فوق حجر مستطيل، و مسطح يسمى (الفرجة) [3]، وعادة ما يقوم بهذه العملية اثنان من الحرفيين وربما أكثر عندما تكون الكمية كبيرة.ثم يقوم الحرفي بوضع حبات الزيتون في "الفرجة"ويقوم آخر بطحنه بواسطة "(الربراب) وهو حجرة كبيرة مخصصة للطحن. و بعدها يجمع الزيتون المطحون ليطحن مرة أخرى.

و في مرحلة ثانية يوضع في الحوض (مبني بالطين)، ويعجن قبل وضعه في الصلاب (يشبه سلال الخبز مصنوع من القصب)، ثم في قصعة خشبية كبيرة ليقطر منه الزيت طول الليل وفي الصباح يعجن في الحوض، وبعد هذا العمل يقوم الحرفي بوضع العجين في ساقية (الجابية[4]).

وهي حفرة في الأرض طويلة و مستطيلة مبنية بالطين والحجر والجبس. و في أسفل الجابية فتحة تسد بالطين.وتملأ بالماء إلى حدود النصف ثم يضع الحرفي حجما مناسبا من عجين الزيتون

1- سوق أهراس، مدينة وولاية حدودية الآن مع تونس كانت في عهد بني حماد تابعة لبني خزر ملوك زناتة، أنظر ، الإدريسي، المصدر السابق، 86

2- طنجير، قدر كبير الحجم يطهى فيه طعام الولائم عادة، حيران مسعود، المرجع السابق، 459/2

3- الفرجة، قطعة من حجر مسطحة الشكل يوضع فيه حب الزيتون لطحنه، هذا الاسم يلفظ هكذا في جبال البابور اليوم.

4- الجابية،أصله في اللغة الحوض الذي يحبس فيه الماء، انظر ياقوت، المصدر السابق،106/2

ويحرك باليد أو"بالزرزاح"[1]، يصعد اللمش[2] فوق الماء يلم اللمش ويجمع ويوضع في إناء حتى لا يبقى إلا الماء في الجابية ثم يفتح الحرفي الفتحة ليخرج منها الماء المستقر في أسفل الجابية . وهي تقنية دقيقة محسوبة رياضيا تدل على عبقرية الصانع الحمادي، و عمق خبرته، وفنه.وهذه الحرفة قبل أن تكون حمادية هي قديمة أسبق من العهد الحمادي ربما تعود إلى عهد الفنيقيين،و لا زالت تستعمل إلى يومنا هذا في المناطق التي كانت خاضعة للدولة الحمادية، لاسيما في المناطق الريفية إذ شاهدت بأم عيني نفس التقنية مستعملة في إحدى المناطق النائية في ضواحي جيجل، وهذا يدل على التواصل الحضاري الذي لا زال قائما منذ عهد الدولة الحمادية إلى يومنا هذا. وهذا لعمري يترجم عمق التجربة الحمادية و تأثيرها على نفسية الفرد الجزائري بالتصاق الصناعات الحمادية والحرفية بالصناعة التقليدية الجزائرية.

وزيت الزيتون كان وما زال يستعمل إما في تحضير الطعام أو يؤكل بالخبز،كما يستعمل كدواء لعلاج بعض الأمراض ، واستعمل قديما، أيضا للإضاءة ولعل هذا ما أشارت إليه الآية الكريمة قال تعالى:« اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [3] » .

ب- حرفة صناعة الطبيخ وفنونه

ظلت الحرف اليدوية ومنها حرفة الطبيخ مرتبطة بالموارد الزراعية التي تزرع في الدولة الحمادية، وما يوفره المكان من مواد أولية .كالقمح والشعير الضروريان لقيام أية صناعة غذائية، ومنها الطبيخ والمأكولات المتنوعة.وأهم هذه المأكولات التي عرفت في العهد الحمادي التي اهتم بها الحرفيون هي:

1- الزرزاح، عود مصنوع من شجر الزيتون يستعمل في فصل اللمش عن الماء

2- اللمش، قشور الزيتون المطحون، هكذا يسمى في منطقة جيجل و ضواحيها

3- النور، 35

I - حرفة صناعة الثريد:

اهتم الحرفيون الحماديون بكثير من أنواع الطبيخ يأتي على رأس هذه الأنواع الثريد حيث كان السكان يتناولونه بكثرة في جميع المدن و القرى تقريبا، كما انتشر في بلاد المغرب إلى جانب طعام الكسكس المفضل لديهم.

وهذه الأكلة من أهم الأكلات التي أهتم بها الحرفي الطباخ الحمادي، فكان عامة الشعب يستعملونها كغذاء رئيسي في يومهم نظرا لتوفر المادة الأساسية لصنعها وهي مادة الخبز التي كان ينتجها الخبازون في البيوت ثم تؤخذ على ألواح خاصة إلى الأفران.

و الثريد هو الخبز المفتت في المرقة، ويتم تحضيره بتوفير البصل والثوم وقليل من اللحم أو الشحم وفلفل أكحل، ثم تخلط كل هذه العقاقير مع بعضها البعض وتجعل على النار، وعندما تقلى كما يقال في منطقة كتامة، في هذه الحالة يقوم الحرفي بتفويره، أو تقديمه دون فوران.

وهناك نوع آخر من الثريد، يتم تحضيره عن طريق مزج دقيق الشعير أو دقيق القمح، ويتم ذلك بتبليله بالماء،ثم يعجن، بالكنوط"[1] ويسمى كذلك"العود" .

وهناك نوع آخر "يسمى الرشتة"، بعد إحضار عجائن دقيق القمح، يتم تشكيل هذه العجائن ، ثم يقوم بمعالجتها بواسطة الكنوط ، ثم يتم تسويتها على شكل مسطحات وتقص بشكل مسطح.

وهذه العجائن التي استعملها الحرفي الحمادي في إنتاج مأكولاته متنوعة ومشتق بعضها من بعض، والملاحظ أن هذه الحرفة بقيت مستمرة الوجود إلى وقتنا الحالي بدليل أن فن الطبخ في الجزائر اليوم هو نفسه الذي كان سائدا في ذلك الوقت. و أن تسميات هذه الأكلات فيها ألفاظ حمادية بدليل أنها تحمل كلمات بلهجة بربرية من ذلك الزمن.

1- الكنوط، هو آلة تستعمل في تشكيل عجين الحلويات، وهو عود طويل أسطواني يحمل في طرفيه كرتين صغيرتين، يلفظ هكذا في صواحي جيجل والقل اليوم.

فالثريد هو أكلة معروفة في منطقة المغرب الأوسط، وتصنع في جميع حواضره وباديه وله عدة أنواع. ولا شك أن هذه الحرفة كانت ذات قيمة في العصر الحمادي.

II- حرفة صناعة الكسكس :

لم تتحدث المصادر التاريخية في القرن الخامس الهجري عن طعام الكسكس، رغم أن المغاربة قد اشتهروا بهذه الأكلة المفضلة؛ وقد وردت إشارات قليلة لطعام الكسكس عند المتأخرين من المؤرخين، فالمقري التلمساني يشير إلى طعام الكسكس كغذاء يشفي المغاربة. وذلك لما اعتادوا تناوله في غذائهم بكثرة فيقول:" و حكى أبو القاسم بن محمد اليمني الدمشقي و مفتيها قال" نزل بي مغربي فمرض حتى طال علي أمره فدعوت الله أن يفرج عني وعنه بموت أو صحة فرأيت النبي "ﷺ" في المنام فقال أطعمه الكسكسون. قال: يقوله هكذا بالنون، فصنعته له فكأنما جعلت له فيها الشفاء، ثم قال قلت:ووجه هذا من الطلب أن هذا الطعام مما يعتاده المغاربة ويشتهونه، على كثرة استعمالهم له، لا أعدل عن لفظ رسول اللهﷺ"[1] .

و هذا يبين أن المغاربة كانوا راسخين في تناول طعام الكسكس و يدل على أن كثيرا من الناس وخاصة النساء اتخذوا صناعته كحرفة. فإعداد طعام الكسكس كان رائجا في دولة بني حماد بدون شك. كما أن الرواية تثبت أن حرفة إعداد الكسكس كانت واسعة الانتشار بالمغرب الأوسط. لكن السؤال الذي يبقى مطروحا، لماذا أهمل ذكرها جل المؤرخين، و أهل الفتاوى والنوازل و أصحاب الطبقات؟.

ويتم إعداد الكسكس، عن طريق طحن القمح أو الشعير وغربلته بغربال خاص مصنوع من الحلفاء أو الحديد، حيث أن الغربال الحديدي يخرج دقيق رطب أو أحرش. يقوم بأخذ الدقيق الأحرش، وبعد وضع الماء فيه ويفتل بمزجه بالدقيق الرطب.وعندما يصبح عبارة عن حبيبات يتم غربلته بنوع آخر في منطقة القبائل الصغرى يعرف ب"السيار"[2]. وعند ذلك يتم تكوين

1- المقري التلمساني، أحمد بن الطيب، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق،إحسان عباس،(بيروت: دار صادر،1900)،258/5

2- السيار وهو الغربال الذي يستعمل في إعداد طعام الكسكس.

حبيبات الطعام والتي يطلق عليها اسم"النعمة،"ثم يجعل في"إناء الكسكاس"[1] ويوضع على النار. ويعيد الحرفي الكرة مرتين، فيتم الحصول على الطعام. ويبدو أن هذه الحرفة قد رسخ فيها حرفيو بلاد المغرب الأوسط على أيامنا هذه فترى في كل بيت هذه الحرفة قائمة وسط النساء خاصة، ولا يمكن أن يكون أي بيت جزائري في عهدنا إلا و يحتوي على لوازم هذه الحرفة، و تعد كجزء من الكيان الجزائري سواء في الأعراس، و الأفراح، أو المآتم، و الأعياد، فكل الأسر الجزائرية تستعمل في أعيادها و خاصة أيام العيد الأضحى هذا الكسكسْ في غذائها كغذاء مفضل لها.

III-حرفة صناعة الدشيش :

حرفة تأتي ضمن حرف الطبيخ وفنونه اشتهرت بها منطقة المغرب الأوسط على عهد بني حماد، ويعتقد أنه كان حساء أساسيا في وجبة الفرد الحمادي، ولأهميته الكبيرة لاسيما أنه يدخل كثيرا في غذاء الأطفال، باعتباره غذاء كاملا لسهولة هضمه من قبل أمعاء الأطفال من جهة، ولأنه يدخل في الشفاء من كثير من الأمراض، وكمثال على ذلك يكون علاجا لأمراض عسر الهضم وما يصيب الأمعاء الغليظة؛ وهو شربة مصنوعة بالشعير المدشش ويدعى الآن في منطقة بني حماد باللهجة البربرية"حربيط"[2].ويتم صناعة هذا المأكول بإحضار نبات يسمى"سموم"[3] ونبات آخر يدعى "بجوط"[4] و"بيبراس"[5]، وتوضع هذه الحشائش في إناء أو قدر، ويضاف عليه كمية من زيت الزيتون، ويخلط بدقيق الشعير، و يترك يطهى في الدشيش وقبل أكله يدهن بالزبدة الطرية،وهناك نوع آخر من العصيدة، تصنع من دقيق القمح،حيث تخلط كمية من دقيق القمح واللبن وقليل من الماء و تطهى فوق النار مع التحريك.

1- الكسكاس، له في قاعدته ثقوب كبيرة نسبيا. أما عن كيفية طبخه، فيتم إحضار البصل والثوم و الدشيشة و المعدنوس والفلفل الأسود، وشيء قليل من زيت الزيتون والملح،ثم يوضع ما توفر لدينا من اللحم سواء لحم الغنم أو البقر،ثم الحمص في"البرمة.ويجعل كذلك شيئ قليل من الجزر حبة أو حبتين،وتدعى الآن في منطقة بجاية وما جاورها من مناطق صنهاجة وكتامة"السنارية".وتترك تطهى قليلا في القدر،ثم تضيف إليها حبات بطاطا،واللفت، و"القرعة"،وعندما يأتي الطبخ على نهايته من الطهي تضاف إليه الطماطم.ثم يفرغ هذا الطعام"الكسكس"في إناء يدعى "القدوح".

2- حربيط،نبات يستعمل كثيرا كأكلة مفضلة في بلاد كتامة، في ضواحي جيجل و بجاية

3- سموم، حشيشة تستعمل في تحضير طعام حربيط، تنبت في المناطق المذكورة أعلاه

4- بجوط، حشيشة تستعمل في تحضير أكلة حربيط، توجد في جبال البابور

5- بيبراس حشيشة تستعمل في تحضير هذه الأكلة، توجد في جبال بجاية و جيجل

IV- حرفة صناعة البسيسة:

حرفة يقوم العامل فيها أو الصانع بغربلة دقيق القمح، ثم يضعه في الماء، لمدة يوم واحد، ويجفف بواسطة حرارة الشمس، ويقلى في طجين صنعت من الطين، وتصب عليه الزبدة والعسل[1].وهذه الأكلة لا تزال مشهورة حتى اليوم بمنطقة الشمال القسنطيني، حيث أعتادت النساء على صناعة هذه الأكلة في البيوت، خاصة في فصل الشتاء حيث يتناولونها في فطور الصباح، مع الحليب و زيت الزيتون. و يقوم الحرفي الطباخ بصنع هذه المادة بكميات وفيرة و بيعها في الأسواق و لا زال هذا العرف قائما في الحياة اليومية لسكان الجزائر، وهذه الحرفة تعتبر من الحرف الفصلية تقوم في فصل الصيف، وتكمن أهميتها في أنها توفر أرباحا طائلة للقائمين عليها و قد اعتاد أهل الأرياف و القرى و الجبال على استعمالها كمادة غذائية في فصل الشتاء، ولذلك فإن سكان هذه المناطق يحافظون على الصحة البدنية أطول مدة ممكنة.

V- حرفة صناعة الهريسة

كان يقبل على هذه الحرفة العديد من الحرفيين لأهميتها الكبيرة أولا و لأنها تحقق أرباحا كبيرة لكثير من أسر الحرفيين، ثانيا حيث كانت مصدر رزق لهم، لذلك فإن الكثير من الشباب على العهد الحمادي كانوا يتوجهون لتعلم هذه الحرفة باعتبار أسواقها كانت رائجة في المجتمع الحمادي، وتعد أكلة مفضلة لكثير من الأسر ، ولها فوائد كثيرة ومتنوعة لاسيما في أماكن التجارة إذ أنها تطبخ بكميات كبيرة لتباع في الأسواق ومجمعات الفنادق للمسافرين و التجار.

وقد كانت تطبخ بالقمح، واللحم المرحيين ولحم الدجاج مخلوط بزيت الزيتون، وتدعى الآن"الكفتة"[2]، ويتم صنعها عن طريق طهي لحم الدجاج في القدر،وبعد أن يجفف في القدر، يفصص اللحم ويهرس بالمهراس، ثم تضاف بعض التوابل (المعدنوس،الثوم،القرافص،رأس الحانوت الفلفل لكحل) .

وتخلط الكريات الصغيرة من اللحم في مرق فيه جميع التوابل التي ذكرناها سابقا مع شيء من الزيت، وتطهى في الطاجين وعندما تنضج تصبح جاهزة للأكل، وما نلاحظه عن كيفية تحضير

1- روحي إدريس، المرجع السابق، 155/2

2- الكمتة، وهي الهريسة على عهد بني حماد، تلفظ بهذا الاسم اليوم بالشمال القسنطيني.

الحرفي للهريسة هو نفس كيفية تحضيرها اليوم لم يطرأ عليها أي تغيير.و يبدو أن المحلات المختصة بهذه الحرفة قد كثرت في المدن الحمادية نتيجة إقبال الناس عليها إذ أن هذه الأكلة كانت مفضلة لدى الفرد الحمادي، و هذا ما جعل الحرفيون المختصون بها يزدادون يوما بعد يوم في الحواضر الحمادية، لأنها أصبحت تدر الكثير من الأرباح على العاملين فيها وهذا ما أدى إلى رخص أسعارها لأن السلعة كلما زادت كميتها في الأسواق انخفض ثمنها. وزاد الإقبال عليها من طرف الجمهور يقوى و هو ما جعلها تصنف من بين الحرف انتشارا في العهد الحمادي، وقد استمرت في الوجود على عهدنا هذا ، فالمناطق التي كانت تابعة لدولة بني حماد لا زالت هذه الصناعة قائمة فيها؛ حيث يستنتج مما سبق أن التواصل الحضاري ما زال قائما بين معيشة الجزائريين في حياتهم اليوم وبين ما كان عليه الحماديون منذ حوالي ألف سنة.

و قد أشارت المصادر، إلى وجود محلات ، كان يشرب فيها الخمر، على عزف القيان وتذكر المصادر بعض الرجال الذين كانوا يؤمون هذه المحلات، منهم بكر بن علي الصابوني (ت 409هـ/1019م)، و ابن أبي حفص الكاتب[1]. ويتناولون الهريسة ممزوجة بالخمر، وأوراق السلق المطبوخة بالحمص، أو الجزر أو الفول، وتكمن أهمية هذه الحرفة أنها تدر الأموال الطائلة على أصحابها فاتخذوا لها محلات تجارية لبيعها و صنعها و تقديمها للزبون، ويبدو أن زبائن هذه الأكلة كانوا من الأغنياء و أصحاب الأموال و هذا ما يجعل أصحابها ينفقون من أموالهم الكثيرة على تناول هذه الأكلة المفضلة لديهم.

و الملاحظة التي يمكن الخروج بها من هذا العرض، أن سكان بونة وسطيف وقسنطينة وجزائر بني مزغنة والمسيلة وهي حواضر الدولة الحمادية. كانوا يتقنون هذه الحرفة أشد الإتقان، نظرا لتوفر المساحات الواسعة لزراعة الحنطة. و تربية المواشي لا سيما الأبقار التي تنتج كثيرا الألبان و الأدهان و الزبدة الداخلة في صناعة العصيدة. والعسل كذلك، وهو الذي كان في كثير من المناطق، منها جزائر بني مزغنة حسبما ذكره الإدريسي[2].

1- البيدق، المصدر السابق، 104، روحي إدريس، المرجع السابق،118/2

2- ابن حوقل: المصدر السابق، 77

وخلاصة القول أن حرفة الطبيخ و فنونه قد عرفت في دولة بني حماد، وبقيت على حالها حتى يومنا هذا. لم يدخل عليها تغيير كبير لا في إعدادها ولا في طريقة طهيها، حيث يبدو أن الحرفي الحمادي، قد بلغ القمة في إنتاج أكلاته والتنوع في إشباع رغباته و شهواته بطريقة راقية في إنتاج حاجياته اليومية من المأكولات وغيرها.

VI- حرفة تجفيف التين :

اشتهرت منطقة بجاية بإنتاج التين الذي يجفف ويصدر إلى الخارج. كما اشتهرت به أيضا منطقة تنس ومرسى الدجاج، وتين بجاية حجمه صغير يدعى"البجاوي"، يقوم الحرفي بتجفيفه في لشمس، ثم يدهنه بزيت الزيتون ويفور، ثم يعاد تجفيفه بمادة الدقيق،و يوضع في أزيار (تدعى الخابية) من الفخار[1].

وهناك نوع آخر من التين، يقطف من الأشجار، ثم يغسل وينشر فوق حصير من القصب، وعلى ألواح كبيرة من القشر، ويعرض للشمس، فيترك حتى يجف ، ويملح كما يملح الطعام، ويفور و يدهن بالزيت ويحفظ في أواني فخارية أو مصنوعة من الطين[2].و هي حرفة فصلية أو إضافية تمكن الحرفي من دخل إضافي، تساعده في تدبير أمر بيته و أولاده لان جل الممارسين لهذه الحرفة كانوا يقطنون في بجاية و هي موطن هذه الحرفة في العهد الحمادي، ولأن أغلبهم في الأصل فقراء لأنهم اعتادوا على عمل فلاحي بسيط، وربما أن أصحاب الأموال قد استغلوا الكثير من أصحاب هذه الحرفة نساء و رجالا في العمل عندهم ، ولا نعرف عن كيفية تقاضي أجورهم عما يقومون به من أعمال، و كان هذا المنتوج غالبا ما يسوق للخارج بأسعار تكاد تكون خيالية، مثلما عليه تجارته اليوم.

VII- حرفة صناعة الدقيق :

هي حرفة مهمة جدا لأنها تحول المادة الأولية إلى مادة جاهزة للاستعمال حيث يقوم الحرفي بتنقية حبوب الشعير والقمح بالغربال،كي ينقى من الشوائب، وذلك بتبليله بقليل من الماء، قبل

1- Golvin, Recherches archéologiques à la Qual'a des Bani Hammad, Paris,1965;125

2 - لعرج عبد العزيز، المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية،رسالة دوكتوراه، (الجزائر: معهد الآثار،2000) ، 758/2

وضعه في المطحنة ثم يغربل، ليطبخ بعد ذلك كسرة أو خبزا وطعاما[1].و تكمن أهمية هذه الحرفة أنها توفر العمل لكثير من البطالين الذين يبحثون عن لقمة العيش، إذ أن كثرة المطاحن في الدولة الحمادية قد جعل الكثير من الحرفيين يتجهون لامتهان هذه الحرفة وتوفير السميد في المجتمع يؤمن الحياة الضرورية للسكان إذ المعروف أن سكان المغرب الأوسط في عهد بني حماد كانت المادة الأساسية في غذائهم هي مادة السميد المستخرج من طحن الدقيق بنوعيه الشعير و القمح.

8-صناعة الحلويات:

هذه الحرفة مهمة جدا لاسيما في المدن و الحواضر الحمادية، إذ أن الرفاهية التي وصل إليها المجتمع الحمادي قد جعلت أفراده يتطلعون إلى الترف و الرغد من العيش و التفنن فيه كما أخبر عن ذلك ابن خلدون ولهذا الأمر فإن الحرفيين الحماديين قد أبدعوا في صناعة الحلويات في مختلف أنواعها و أسبغوا عليها جمالا و فنا ساحرا، لتلبية بالخصوص أذواق الطبقات المترفة من الناس وخاصة أذواق السيدات الأنيقات اللائي كن يخرجن للأسواق من أجل اقتناء هذه الحلويات، لاسيما أثناء الأعياد و الأفراح من زواج و خطبة وختان و غير ذلك[2].

I-الكعك:

هو نوع من الحلويات ويكون دقيقا رطبا، يضع الحرفي عليه البيض، والسكر وقليل من الزبدة، واللوز المرحيين ثم يعجن قبل وضعه في الفرن لإنضاجه ويستخدم في المناسبات و الأفراح والأعياد.و لا زال هذا النوع إلى يومنا هذا يصنع بنفس الكيفية التي كان عليها في عهد بني حماد. وهذا يبين أن العادات الحياتية لسكان بلاد المغرب الأوسط عميقة الجذور فيهم، وهو إشارة إلى تواصل تقاليدنا عبر العصور؛ كما أنها تذر ربحا سريعا على الحرفي، نظرا لإقبال الناس على شرائها من كل الأصناف فوفرة المواد ورخصها التي تدخل في صناعتها تجعل الحرفي يحقق هامش ربح عال أثناء بيعها، وعادة ما يتمركز هؤلاء الحرفيون في المدن و بالضبط في الشوارع الكبيرة التي تحتوي على كثافة سكانية مرتفعة[3] .

1- بجاية، **سلسلة الفن و الثقافة**، (اسبانيا/ مدريد: ألتا ميترا روتوبريس، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1970) ، 61

2- روحي إدريس، **المرجع السابق**،119/2

3 نفسه. الصفحة نفسها

وانتشر في أسواقهم باعة الإسفنجية بالخبز. وكانت المسمنات و الإسفنجية والشامية تعني في الزيت وتباع في الأسواق، واهتم الصناع بالحريرة المطبوخة[1]. وهي حرف إضافية ولكنها مهمة لأنها تدر الكثير من الأموال على أصحابها و تساهم في توفير ميزانية إضافية للأسرة يستعين بها رب الأسرة على تسيير أموره المالية وعدم تعريض أسرته للحاجة و الفقر، ومن جهة أخرى فان هذه الحرف تساهم في تنميـــة ثروة المجتمع. و تساعد في تحريك عجلة الحركة الاقتصادية فيه. وتحقق فوائد مهمة منها القضاء على الآفات الاجتماعية التي تكون عادة ملتصقة بالمدن بتشغيل شباب هذه الحواضر في تعلم هذه الحرف تكون كمورد اقتصادي لهم في حياتهم المعيشية.

وعموما فقد كان سكان المغرب الأوسط يأكلون الحنطة والشعير والبقول واللحوم والتمور والفواكه والزيت والسمن والعسل، فتدخل هذه الأطعمة في مطبخهم، وكانت الخمور تباع في سوق البحر ببجاية على عهد العزيز[2].

وإذا علمنا أن البرزلي قد أخذ خبر بيع الخمر عن البيدق صاحب المهدي (ابن تومرت)، فتوخى الحذر في هذه الرواية.فمن البديهي أن تكون الخصومات السياسية بين الطرفين، أصحاب الدعوة الموحدية الجديدة و الحماديين مثار الإشاعة، و التشنيع و إزهاد الناس في الحكم الحمادي والتمهيد للإطاحة به و توجد رواية أخرى تعاكس هذه الرواية و التي تقول أن النبيذ (المستخرج من الزبيب) قد صار مهجورا في جميع مدن بلاد المغرب منذ وقت بعيد، وإن صحت رواية بيع الخمر، فيبدو أن الذي كان يتعاطى هذه الحرفة ليسوا من المسلمين، بل من النصارى الذين كانوا يبيعون الخمر للمسلمين من ذوي الأخلاق الفاسدة[3].كما أن الملاحظ في هذه الفترة، أن التهم والقذف كانت شائعة في أوساط الحرفيين و العامة، يلفقونها، لبعضهم البعض من أجل الاستحواذ

1- نفسه،348/3.

2- البرزلي،المصدر السابق،347/3.

3- فتاوى أبي محمد بن أبي زيد و اللخمي والمازري/ المعيار، 415،414/9.

وأنتشر في أسواقهم باعة الإسفنجية بالخبز. وكانت المسمنات و الإسفنجية والشامية تغلي في الزيت وتباع في الأسواق، واهتم الصناع بالحريرة المطبوخة[1]. وهي حرف إضافية ولكنها مهمة لأنها تدر الكثير من الأموال على أصحابها و تساهم في توفير ميزانية إضافية للأسرة يستعين بها رب الأسرة على تسيير أموره المالية وعدم تعريض أسرته للحاجة و الفقر، ومن جهة أخرى فان هذه الحرف تساهم في تنميـــة ثروة المجتمع. و تساعد في تحريك عجلة الحركة الاقتصادية فيه. وتحقق فوائد مهمة منها القضاء على الآفات الاجتماعية التي تكون عادة ملتصقة بالمدن بتشغيل شباب هذه الحواضر في تعلم هذه الحرف تكون كمورد اقتصادي لهم في حياتهم المعيشية.

وعموما فقد كان سكان المغرب الأوسط يأكلون الحنطة والشعير والبقول واللحوم والتمور والفواكه والزيت والسمن والعسل، فتدخل هذه الأطعمة في مطبخهم، وكانت الخمور تباع في سوق البحر ببجاية على عهد العزيز[2].

وإذا علمنا أن البرزلي قد أخذ خبر بيع الخمر عن البيدق صاحب المهدي (ابن تومرت)، فتوخى الحذر في هذه الرواية.فمن البديهي أن تكون الخصومات السياسية بين الطرفين، أصحاب الدعوة الموحدية الجديدة و الحماديين مثار الإشاعة، و التشنيع و إزهاد الناس في الحكم الحمادي والتمهيد للإطاحة به و توجد رواية أخرى تعاكس هذه الرواية و التي تقول أن النبيذ (المستخرج من الزبيب) قد صار مهجورا في جميع مدن بلاد المغرب منذ وقت بعيد، وإن صحت رواية بيع الخمر، فيبدو أن الذي كان يتعاطى هذه الحرفة ليسوا من المسلمين، بل من النصارى الذين كانوا يبيعون الخمر للمسلمين من ذوي الأخلاق الفاسدة[3].كما أن الملاحظ في هذه الفترة، أن التهم والقذف كانت شائعة في أوساط الحرفيين و العامة، يلفقونها، لبعضهم البعض من أجل الاستحواذ

1- نفسه،348/3.

2- البرزلي،المصدر السابق،347/3.

3- فتاوى أبي محمد بن أبي زيد و اللخمي والمازري/ المعيار، 415،414/9.

على مغانم ومنافع ذاتية، فقد تحدث المازري[1]؛ في إحدى الفتاوى عن عطار طلب استرداد ماله من ورثة رجل كان قد اتهمه ببيع الخمر و أشياء أخرى غير أخلاقية[2].

لكن لا يمكن الجزم أن صناعة الخمر وبيعها كانت متوقفة على النصارى واليهود فقط. فيبدو أنه قد انغمس فيها بعض سفلة القوم الذين فسدت أخلاقهم، وقل الوازع الديني عندهم. فقبل 409هـ/1019م، أشارت بعض المصادر، إلى وجود محلات كان يشرب فيها الخمر، على عزف القيان،ومن الذين تذكرهم بكر بن علي الصابوني (ت 409هـ/1019م)، و ابن أبي حفص الكاتب[3].

9- الصناعة الخشبية

كان في بجاية دار لصناعة السفن الخشبية، تستمد خشبها من الغابات المحيطة بالمدينة (جبال الرحمة). بكميات كبيرة يشتريها، من أهل بجاية من جيرانهم الجبليين (منطقة القل)، وهي مليئة بالأشجار المثمرة والأشجار المختلفة حيث كانت تلك المنطقة تصدر الخشب إلى إفريقية والمناطق القريبة منها.[4] وحرفة صناعة الخشب تتفرع إلى مجموعة من الحرف كحرفة قطع الخشب، وصناعة الأثاث كالأبواب و الموائد و الكراسي والخزائن والصناديق الخشبية التي كانت تستعمل لحفظ الأشياء الثمينة من اللباس و المجوهرات والعطور.وهناك تقليد شائع يتمثل في صناعة الصندوق الخشبي المحفور، ذو القفل البرونزي، وهو موجود في كل منطقة القبائل[5] .

وحرفة الحفر على الخشب، عند الحماديين لا نعرف عنها إلا القليل بالرغم من كثرة الخشب في أودية وجبال بجاية.[6] رغم أن المصادر تشير إلى وجود دار صناعة الأساطيل والمراكب

1- المازري، الإمام، كان أشعريا توفي بالمهدية (536هـ/1141م)، انظر، عنوان الدراية، 235.

2- البيدق، أبو بكر بن علي الصنهاجي، كتاب أخبار المهدي بن تومرت، تحقيق عبد الحميد حاجيات، (ط،2 الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب،1986، 95.

3- الدباغ، عبد الرحمن بن محمد الأنصاري، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق، محمد ماضور، (تونس، المكتبة العتيقة، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1978)، 118/2

4- روحي إدريس، المرجع السابق، 2/، 107، 108

5- بجاية، المرجع السابق ، 64

6 - إدريس، المصدر السابق،116

والحرابي[1].فابن خلدون يفيد أن الحماديين اتخذوا مقصورات في مساجدهم كغيرهم من الزيريين وسابقيهم من الفاطميين والعباسيين والأمويين؛ و لم يبق من أعمال الحماديين في فن الحفر على الخشب، سوى أربعة أبواب بالجامع الكبير بقسنطينة بني في سنة(530هـ/1136م). تتشابه زخرفته وشكله مع الإطار الخارجي لباب مسجد سيدي عقبة[2].

و الزخارف و النقوش ما زالت إلى يومنا هذا فوق الإطار الخارجي لمسجد سيدي عقبة ببسكرة. درسها مجموعة من العلماء، منهم غولفن Golvin (و جورج مارسيG. Marçais ، و رشيد بورويبة، الذي ألف في هذه النقوش في العهد الحمادي كتابا وعنونه بالزخارف و الآثار على المحارب في المساجد الجزائرية في العهدين الحمادي والموحدي.[3]

وعلى غرار إفريقية[4] كما نص على ذلك البكري[5]. اشتهرت بلاد المغرب الأوسط بدور صناعة السفن، وخاصة صناعة القوارب الصغيرة التي كانت تستخدم لغرض الملاحة البحرية، نظرا لتوفر مادة الخشب في تيهرت وبعض مدن الإقليم فضلا عن مهارة الصناع الأندلسيين الذين كانوا يؤمون مدن ساحل المغرب الأوسط باستمرار، بل كانوا من مؤسسي هذه الموانئ، وخاصة مدينة تنس، و وهران وهذا ما يدعوا إلى الاعتقاد بوجود دور لصناعة القوارب في هذه المدن الساحلية[6].

و أما استيراد الخشب من البلدان المسيحية الواقعة على الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط (بحر الروم) فقد كان غير متيسر، بسبب الحظر الذي فرضته البندقية في سنة (361هـ/ 971م)، بناء على طلب بيزنطة الخاص بمنع تصدير البضائع ذات القيمة الإستراتيجية، مثل الأسلحة والخشب الذي يستعمل في بناء السفن، إلى البلدان الإسلامية.[7] غير أن تلك الحالة من الحظر قد

1- نفسه،118

2- ابن خلدون(عبد الرحمن)، المصدر السابق، 297/1.

3- Golvin,Op.Cit,205

4- إفريقية،هي تونس الحالية كان يحكمها الزيريين، بنو عمومتهم.

5- أما مدينة المهدية فقد ذكر البكري أن عبيد الله المهدي أنشأ فيها دار صناعة للسفن في غاية الروعة تتسع لأكثر من مائتي مركب. وهذا العدد الكبير في صناعة السفن يدعوا الباحثين إلى التشكك في هذه الرواية إذا قورنت بما رواه صاحب كتاب الاستبصار بثلاثين مركبا فقط. و الظاهر أن هذه الرواية هي أقرب إلى الصحة نظرا لحداثة هذه الدار في عهد هذا الحاكم، أنظر، البكري، المصدر السابق، 34، 35، انظر، مجهول، الاستبصار، المصدر السابق، 135

6- إسماعيل العربي، المرجع السابق، 255

7 نفسه ، 255

تغيرت في العهد الحمادي نتيجة لتحسن العلاقات السياسية مع الدولة الحمادية خاصة في عهد الناصر بن علناس حيث نلمس تبادل الرسائل الودية مع بابا روما[1].

وقد اقتصر الصانع الحمادي في استعمال الخشب العالي الجودة رغم توفر أنواع عديدة من الخشب في مدن وقرى بني حماد.ونذكر فيما يأتي الأنواع الخشبية التي استعملها الحماديون في صناعتهم.[2]

I-خشب القرو:

وهو من أحسن الأنواع التي[3] استخدمها الحرفي الحمادي في صناعته، وهذا النوع يحتاج إلى مهارات خاصة لصلابة أليافه وصعوبة تشكيله.

II- خشب الأبنوس:

و يتميز بالصلابة القوية ولونه الفاتح[4]؛ ويعتقد أن الخشب المصنوعة به الأبواب هو من النوع الجيد وكان يجلب من جبال القلعة (جبال قلعة أبي طويل، كما كانت تسمى في عهد البكري). و من المعروف أن جبال القلعة عارية ليس فيها غطاء نباتي وهذا ما يجعلنا نستنتج أن إرجاع التسمية للقلعة كان تعبيرا مجازيا كأن نقول اليوم مثلا الجزائر، و نقصد بها الجزائر كبلاد ودولة وهذا بين أن الحرفي الحمادي قد عرف عن طريق التجربة أنواع الأخشاب، التي يصلح كل نوع منها لما يناسبه من الصناعات.

III- خشب الجوز:

وينفرد بجمال أليافه وصلابته المرنة؛و هو من أثمن الأخشاب وأصلحها في الحفر لتراكم أليافه واندماجها مع بعضها بسهولة ويسر.[5]

وهذه الأنواع كانت تستخدم كأدوات للطبخ والنسيج والبناء، ولتأثيث المنازل، وصناعة السفن. فكانت الغابات التي تمتد في جنوب وهران. وكذلك غابة الزان التي تقع قريبا من بونة

1- نفسه، 256

2- Bourouiba-R , l'Art Relegieux Musulman en Algérie,(Alger,1974),62

3- حمودة حسن علي،فن الزخرفة، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،1972)،134.

4- نفسه،147.

5- راجع المصدر السابق،1 135. نفسه. كتاب المغرب العربي،126

وغابة جبال القبائل الصغرى، ومن الناحية الخارجية فإن مدينة البندقية كانت تمد المغرب الأوسط بالخشب الخام، والألواح، والخشب المصنوع.[1] وهو دليل على العلاقات التجارية التي كانت قائمة بين بني حماد و الشعوب المجاورة، وكذلك على حجم التطور الاقتصادي في دولة بني حماد.

وخلاصة القول أن الصناعات الخشبية في بلاد المغرب، قد اعتمدت أيضا على الخشب الذي كان يجلب من جزر بحر الروم، وخاصة من جزر سردينيا و صقلية[2].

10- حرفة فنّ النقش على الخشب:

هي حرفة مستقلة بذاتها، يختص فيها حرفيون و هي عملية دقيقة، يقوم بها الحرفي و يستغرق في إتمام عملية النقش جهدا كبيرا وفيرا، و يقضي الحرفي زمنا طويلا في تعلم هذه الحرفة و المهارة فيها.

يرجع تاريخ أوّل نقيشة من الخشب عثر عليها في قلعة بني حماد إلى سنة (413 هـ /1022 م)، وهي عبارة عن مشربيّة مصنوعة كشبابيك من الخشب مكتوبة بالخطّ الكوفي المزخرف على أرضيّة مزيّنة بالزهور؛ ولم تكن الزخارف المحفورة على الخشب بأقل أهميّة من زخارف المواد الأخرى[3].

ومن المعروف أن فن الحفر على الخشب يمر مثل المواد الأخرى بمرحلتين، مرحلة صناعة النجارة مثلما يذكر ابن خلدون،[4] وهو إعدادها لجميع الإستخدمات، ثم مرحلة الزخرفة والفن من

1- إسماعيل العربي، **دولة بني حماد ملوك القلعة و بجاية**، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1980)،227

2- حسن حسني عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، (ط، 1، تونس: مكتبة المنار، 1964)، 30/2. فمن وثيقة تعود إلى العهد الأغلبي، نجد أن الأمراء الأغالبة أمروا بقطع الأخشاب من جهة جرجين بصقلية، وتنص الوثيقة على أن المكلفين بقطع الأخشاب هم قدامى المحاربين ، بشرط أن يمدوهم بالأخشاب اللازمة، انظر،نفسه، الصفحة نفسها

3- روجي إدريس، **فن النقش على الخشب**، (فرنسا/ مركز الدراسات العلمية، ليدن، 1956)، مجلة ارابيكا، العدد،214،215،3

4- **المقدمة**، 378، يقول ابن خلدون:" ومن صنائع البناء عمل السقف بأن تمد الخشب المحكمة النجارة أو الساذجة على حائط البيت، ومن فوقها الألواح كذلك موصولة بالدساتر، و يصب عليها التراب و الكلس، و يبسط بالمراكز حتى تتداخل أجزاؤها ويتحصل من مجموعها الخشب كلها قوي على الحائط"، نفسه، طبعة دار الفكر، 2002، 388

تخريم للزخارف وتجميع وتعشيق[1] لها، أو ترصيع وتطعيم لعناصرها[2]. وكانت طريقة الحفر على الخشب التي يقوم بها الحرفي، هي نفس الطريقة المستعملة في تشكيل الزخارف على الجص، والحجر، والرخام[3].

وقد أشار ابن خلدون لتقنية الحفر على الخشب بعبارة"التخطيط في الأبواب والكراسي". كمظهر من مظاهر الترف وما يصحبه من التأنق وغرائب الصناعة[4].

و قد تطورت الصناعة الخشبية في بلاد بني حماد في صناعة السفن و المراكب في بجاية، والتفنن في استعمال الخشب بكثرة في صناعة أدوات الطبخ و أثاث المنزل، وصناعة أبواب المساجد والحرفي الحمادي استعمل بكثرة فن النقش على الصناديق المزخرفة الشهيرة في المنطقة.

2- صناعة الصابون :

الصبانون هم الذين يقومون بصناعة الصابون، إذ يستخرجون هذه المادة من زيت الزيتون الذي يحتوي على مادة الصابون بإضافة مواد كيمائية أثناء التسخين، والغرض من ذلك فصل مادة لغليسريد المسؤول عن إنتاج مادة الصابون، وهي من الصناعات التي اشتهرت بها بعض مدن المغرب. وقد كانت صناعة الصابون على عهد بني حماد منتشرة على أوسع نطاق؛ وكان يشتغل فيها كثير من الناس من بينهم علماء أجلاء حتى نسبوا بحكم عملهم لهذه الحرفة التي يمارسونها ويلقبون بها كأبي حفص الصابوني رئيس فقهاء أهل القلعة في دولة بني حماد، الذي كان يحترف

1- تقوم هذه الطريقة التي استخدمت في الزخارف الخشبية، على تجميع الحشوات، مختلفة الشكل والحجم داخل أضلاع وإطارات وأشرطة يرتبط كل منها بالآخر عن طريق إدخال لسان أحدهما في الآخر في النقرة الأخرى سواء كان ضلعا أو شريطا أو إطارا، وعملية إدخال اللسان في النقرة تسمى التعشيق، انظر، لعرج عبد العزيز، المرجع السابق،117/2

2- G,MARCAIS,op.,cit ,1957,297

3- Bourouiba-R, **Apports de l'Algérie à l'architecture religieuse Arabo- islamique,** Office de Publications Universitaires ; Alger;1986,156.

4- ابن خلدون،المصدر السابق،731/1

صناعة الصابون الذي أخذ الحرفة عن أبيه[1]. وكانت مادة الصابون تصنع وتستخرج من زيت الزيتون بعد عصره ومعالجته.[2]

ولا توجد إشارات في المصادر التاريخية تبين لنا الطرق التي كانت مستعملة في اشتقاق الصابون من مادة الزيت. ولعل طريقة الصنع تشبه مثيلتها التي تقوم عليها اليوم، وربما أن المؤرخين لم يعطوا أهمية الطريقة لأنها كانت معروفة لدى الجميع.

12- حرفة صنع المطاحن

كانت المطاحن أو الرحى في مدن بلاد المغرب، تصنع من الخشب ومن الحجارة التي تستخرج من مجانة على سبيل المثال و المعادن كالحديد و النحاس، وتوزعت في كثير منها بغرض الطحن والعصر، وسخر لتحريك المطاحن والرحى الحيوانات كالحمير، والبغال، والأحصنة، واستعمل الماء كذلك كطاقة تحريك هذه المطاحن[3].

و لهذه الرحاء أو المطاحن دور اقتصادي واجتماعي كبير، منها المساهمة في حل كثير من مسائل الري،كإيصال المياه إلى البيوت والأراضي الزراعية وسقي البساتين، وذلك برفع المياه من الأودية و العيون و الآبار لتلبية هذه الأغراض. وغالبا ما كانت الأراضي الزراعية، يقطنها حرفيون وصناع مهرة.[4]

وقد أفتى اللخمي في مدينة القلعة في نازلة وقعت بين بعض المشترين والبائعين في أسواق مدينة القلعة:" إذا اطلع المشتري على المطحنة وإذا علـــم البائع بترتيبها (مصنوعة من الحجر المخلوط بالتراب)، و إلا حلف، وكانت كالخشب ويكون المعدن قد علم متربا (مخلوط بالتراب)،

1- القاضي عياض، المدارك،331/2 وعرفت في العهد الفاطمي،بمدينة القيروان،ثم انتقلت إلى جزر بحر الروم فانتشرت صـــناعة الصابون بماووجدت في مدينة فاس في القرون التالية لهذه الدراسة سبعة وأربعين دارا لعمل الصابون في العصر الموحـــدي.وكـــان يشتغل بهذه الحرفة كثير من الناس.أنظر ابن أبي زرع، المصدر السابق، 48

2- البرزلي ،المصدر السابق،63/3 .

3- عزالدين أحمد موسى، المرجع السابق،234

4- الخرجي ،المصدر السابق،49

وإن كانت مشقوقة ردها على كل حال[1].و لأهميتها كان أحد الأبواب بتيهرت يسمى باب المطاحن[2]وكانت لمدينة مليانة[3] أنهار عليها رحى كثيرة[4].

و تعدد المطاحن يدل على ذلك وجود عدة أنواع من الطحين في القلعة منها السميد الذي يصنع منه الخبز العالي الجودة ويباع بثمن أغلى من غيره. وكان هناك نوع آخر من الدقيق الأبيض المستخرج من الحنطة يسمى "الحوارة" أو "الحواري". و آخر يدعى "السويق" وهو الدقيق الغليظ.

و لا تدخل المطاحن في النشاط الاقتصادي و الاجتماعي فقط بل كانت تباع في أسواق القلعة، وتصدر إلى خارج المدينة. و تخبرنا المصادر على كثرة المطاحن بمتيجة.[5] و تعود وفرة المطاحن بهذه المنطقة إلى وجود غلات الزيتون والمناطق الفلاحية التي تنتج القمح و الشعير بوفرة، لأن الأراضي الزراعية خصبة و تنتج هذه المواد بكثرة و الغرض من ذلك إنتاج و طحن القمح والشعير و عصر الزيتون.

وذكر البكري "رحى وضعت على عين غرارة بمدينة الغدير[6] تسمى عين مخلد"[7]. ويعرف العامل على الرحى في المغرب باسم الطحان أو الدقاق، وقد وردت هذه اللفظة في كتابة أثرية جنائزية من حوالي سنة (599هـ/1202م).في مسجد سيدي بومدين بفاس خاص بأبي عبد الله الدقاق السجلماسي أحد أشياخ أبي مدين وهو من كبار الصوفية؛[8] وهذا يوضح أن هذه الحرفة كانت محترمة في العهد الحمادي، ولها قيمتها الاقتصادية والاجتماعية لأهميتها الكبيرة في تطوير المجتمع، وتلبية حاجياته ، وهو دليل على عمق انتشار هذه الحرفة و الدور الكبير الذي يمثله الحرفي

1- البرزلي،المصدر السابق،156/4

2- البكري، المصدر السابق،66

3- مليانة، مدينة في آخر إفريقية بينها وبين مدينة تنس أربعة أيام وهي مدينة رومية قديمة فيها آبار و أنهار تطحن عليها الرحى جددها زيري بن حماد و أسكنها بلكين، انظر، ياقوت، المصدر السابق، 227/5

4-البكري، المصدر السابق ،61

5- المقديسي، المصدر السابق،288

6- مدينة الغدير، تقع على بعد مرحلتين من مدينة مسيلة، وبمدينة الغدير جامع و أسواق عامرة و فواكه كثيرة، وهي رخيصة انظر البكري، المصدر السابق،717

7- البكري، المصدر السابق،60،59

8 A.Bel, Sidi Boumediènne, (ml. René Basset, Paris).I/50

في توفير القوت للناس في المجتمع الحمادي، ولذلك خلدت هذه الحرفة في الوقفيات الجنائزية لأهميتها الكبيرة في تنمية المجتمع وتحقيق الرفاهية للناس و الأمن الغذائي لهم[1].

13- العطارون و أصحاب العقاقير:

هذه الحرفة قديمة وجدت منذ فجر الانسانية و ارتبطت اشد الارتباط بصناعة الأدوية، فمن المعلوم أن العقاقير هي مادة صناعة الأدوية، و أن العقارين الصيادلة اليوم، ويقومون بصناعة الأدوية و صناعة العطارين يمثلون في الدكاكين وبيعها في الأسواق.

كانت العرب في شبه الجزيرة العربية مولعة باستعمال البخور والعطور، فتكونت في الحجاز والعراق والشام أسواق تسمى بأسواق العطارين. و كان للبخور و الصبر[2] فيها شهرة كبيرة معروفة، و كانت الأزهار في المشرق مرغوبا فيها حتى بين الطبقات الدنيا القانعة بالقليل، والمهتمة بالحصول على الضروريات، أما الطبقات الغنية فكانت تقوم على رعاية حدائق ناضرة حتى في المدن الآهلة بالسكان مثل بغداد[3] وانتقلت هذه الحرفة إلى القيروان، فازدهرت في عهد الأغالبة[4].وظهر العطارون والصيادلة كمهرة في معالجة أنواع الأعشاب، وشاركت النساء بقوة في إنتاج أدوات الزينة والطب والتجميل[5].

ووردت أسماء لعلماء في كتب الفقه والنوازل، تنسب لهذه المهنة التي مارسوها، أو عن طريق تعلمها أو وراثتها والاشتهار بها. كابن العطار[6] الذي"قاس المطاحن على ما وقع في المدونة".[7] فجمع بين ممارسة حرفتي العطارة و صناعة المطاحن في آن واحد.

وذكر صاحب كتاب التشوف، أن أحد الفقهاء المؤذنين، واسمه يعقوب العطار،[1]كان يبيع سلعته في مدينة تازة بالمغرب في دكان للعطارة.فإذا تكاثر الناس عليه رمى بالشبكة على حانوته في

4- الصبر، نبات يشبه العلقم في مرارته

3- رسيلد حاك، **الحضارة العربية**-ترجمة غنيم عبدون، مراجعة، أحمد فؤاد الأسواني، (القاهرة: الدار المصرية للترجمة والنشر)، 120

4- نفسه،115

5- فهمي عبد الرزاق سعد، **المرجع السابق**، 151.

6- ابن العطار، هو نفسه أبو حفص العطار الفقيه الشهير صاحب الفتاوى و النوازل، انظر ، الدباغ، **المصدر** السابق، 165/3

7 المازوني، المصدر السابق.3/، 210،211

معالجة عجائنها. فنرى أن هذا الفقيه حرفة العطارة بادية عليه من كنيته التي يكنى بها[2].ولا شك ان هذا النوع من الحوانيت لبيع العطارة قد وجد في الحواضر الحمادية، لا سيما بجاية و القلعة.

وانتقلت صناعة العقاقير إلى بلاد المغرب عن طريق المغاربة الذين تعلموا هذه الحرفة في بلاد العراق، فيذكر حسن حسني عبد الوهاب "فَتَحَيّلَ إسماعيل المبيت في خزانة العقاقير بدعوى الغربة والانفراد، وقد أعد قرسطونا صغيرا (أي ميزانا صغيرا)، فبات ليلته تلك يزن كل عقار هنالك، فلما كان من الغد أخرجت إلى التلاميذ العقاقير للدق والطلاء كالمعتاد فأحضروها، ثم أن إسماعيل رجع من الليلة المقابلة للمبيت في الخزانة، فأعاد وزن عقاقير الخزانة فعرف ما نقص كل عقار منها، وحينئذ علم أنه المأخوذ للاستعمال في ذلك النهار، فكتب ذلك كله، ثم استعمله خفية فقامت له الصناعة[3].

وفي بجاية توجد أشجار وحشائش تفيد في صناعة الأعشاب والأدوية تنبت في جبل أميسون[4].قال عنها الأدريسي"فيه شجر الحضض والبرباريس والقنطوريون الكبير [5]-والزرواند[6] والقسطون[7] والأفسنتين[8].

وكانت الدولة الحمادية تستورد عقاقير الهند، مثل جوز الطيب والقرنفل والراوند والزنجبيل والقرفة وهذه العقاقير كانت تستخدم في صناعة الأدوية، وبيعها في الصيدلية ودكاكين

1- يعقوب العطار، هو أبو الحسن يعقوب ابن الفضل العطار، كان أحد شيوخ أبي عمران الفاسي، عاش في القيروان ، و أحد شيوخ المذهب بالقيروان، انظر القاضي عياض، المصدر السابق، 703/2، ابن قنفذ، الوفيات، 325.

2- البرزلي،المصدر السابق، ، 137، 138

3- ورقات،104/1

4- أميسون،جبل يقع في بجاية،وجبل أميسون سامي العلو صعب المرتقى.وفي أكنافه جمل من النباتات المنتفع بها في صناعة الطب،انظر،الإدريسي،المصدر السابق،91،إسماعيل العربي، المرجع السابق،185.

5- القنطوريون،ذكر في كتاب،قانون الطب لابن سينا،وجامع الأدوية لابن البيطار، المصدر السابق،101، زهر عديد الأنواع يستعمل ضد الحمى، انظر، جيرون مسعود، المرجع السابق،1208/2 .

6- الزراوند،نبات يشبه النعناع،عبارة عن عشبة محمرة كريهة الرائحة،انظر جريدة الرياض السعودية، عدد،12، السنة، 2004، 13170

7- القسطون،استعملها الزمخشري في كتابه الكشاف،104، و لم نعثر على معناها في كتاب القانون لابن سينا.

8- الأفسنتين نبات عشبي ذو رائحة مر الطعم، ورقه كورق الزعتر، انظر، جيران مسعود، المعجم،836/1

العقاريين[1]. وهذه الحرفة تعتمد على اشتقاق الأدوية من هذه العقاقير يقوم الحرفي باستخراج الأدوية منها، وصناعتها و غالبا ما تستعمل في معالجة أمراض المعدة و الأمعاء.

14-حرفة تكرير السكّر :

تبرز أهمية صناعة السكر، كصناعة استهلاكية، من خلال دخولها في كثير من الصناعات، كصناعة الحلويات، والطحين، والمعجنات من القطائف و الرغائف، و الشعرية[2] و الفداويش، وصناعة الألبان، المجففة، والجبن .

اشتهرت بعض مناطق بلاد المغرب في زراعة قصب السكّر كبلاد السوس ، وكان من نتيجة ذلك قيام صناعة السكّر وتكريره في بعض المدن ، لكن المصادر المتوفرة بين أيدينا لا تمدنا بمعلومات تفصيلية عن هذه الصناعة، نظرا لحداثتها في بلاد المغرب، إذ أن أول ذكر لها في المصادر تعود إلى ما نقله " البكري"[3] الذي قال: أن قصب السكر توفر بكثرة في منطقة قابس وجلولاء.

في حين يشير إلى وجود صناعة السكر وتكريره في كل من ترنوط[4]. ومناطق السوس[5] في المغرب الأقصى وفي السياق نفسه فصل " الإدريسي" الحديث حول النوعية التي ميزته عن باقي المناطق، وعن الكمية الهائلة التي كانت تنتجها البلاد من قصب السكر في قوله " كان يعمل بها من السكر المنسوب إليها ما يعم أكثر الأرض وهو يساوي السكر السليماني[6] والشرزديل شيف [1]على جميع أنواع السكر في الطيب والصفاء .وكان يصدّر منها ويحمل إلى سائر أقطار المغرب .[2]

1- إسماعيل العربي، المرجع السابق،246

2- الشعرية،ج شعريات، نوع من الحلوى يشبه شبكة من الأخشاب الدقيقة توضع في النافذة و غيرها لتحجب الذين هم في داخل المكان عن أنظار الذين هم في خارجه و يقال لها أيضا المشربية، أنظر، المنجد في الأعلام، (بيروت: المطبعة الكاثوليكية ش م ل ، 97)، 14701

3- المغرب ، 17 ، 22

4- ترنوط،قرية بين مصر و الإسكندرية كان بها وقعة بين عمرو بن العاص والروم أيام الفتوح، وهي قرية كبيرة حامعة على النيل فيها أسواق و مسجد حامع و كنيسة خراب كبيرة خربتها كتامة مع القاسم بن عبيد الله وبها معاصر للسكر و بساتين، و أكثر فواكه الإسكندرية منها، ياقوت، المصدر السابق،32/2.

5- مناطق السوس، السوس الأقصى، كورة أخرى، كورة مدينتها طنجة، يقول ياقوت، " ومن السوس الأدنى إلى السوس الأقصى مسيرة شهرين و بعده بحر الرمل و ليس وراء ذلك شيئ يعرف"، ياقوت، المصدر السابق، 319/3.

6) السكر السليماني ينسب إلى موضع [illegible]، وهو موضع عند برقة طرابلس، انظر، ياقوت، المصدر السابق، 270/3.

وهذا يبين أن الدولة الحمادية لم تكن تنتج مادة السكر، بل كانت تستورده من المغرب الأقصى، الذي كان تحت حكم الدولة المرابطية. ويبدو من خلال رواية الإدريسي أن مادة السكر كانت تنتج في هذه المناطق بكميات ضخمة. وهذه حتما يجعل سعر السكر في أسواق المغرب رخيصة و في متناول جميع السكان.

15- حرفة الصّباغة

هي حرفة تقوم على صباغة الخيوط و المنسوجات، ويقوم الحرفي باستعمال الصباغة في تلوين الخيوط و المنسوجات من لباس و جلود في ورشات و دكاكين خاصة لهذا الغرض. وقد فصل ابن الأخوّة[3] في مقاييس ومعايير كيفية الصبّغ وأنواع المواد المستعملة بقوله: " أكثر صباغي الحرير الأحمر وغيره من الغزل والثياب يصبغون في حوانيتهم بالحنا عوضا عن الفوّة. فيخرج الصبغ مشرقا فإذا أصابته الشمس تغير لونه وزال إشراقه ومنهم، من يأخذ من الزبون الفضة على أنّه يصبغ كحلي فيدليها في شيء يقال له الجرادة ويخرجها ثمّ يعملها بشيء من رغوة الجابية ثمّ يدفعها له .

الصبّاغون هم الذين حرفتهم صباغة الخيوط والمنسوجات، فكان الواحد منهم يستعمل أولاده وغلمانه في مساعدته على الصّباغة .[4] وتعدد الألوان في الصّباغة يدل على مهارة أهل هذا الفن وإتقانهم لعملهم .[5] فكان قشر الرمان يستخدم في صناعة صبغ أصفر جميل وأدّى خلط الفوة[6] بالدبّاغ لاستخلاص أصباغ يكون لونها مزيج من اللون القرمزي و الثمري في حين يتم إنتاج الأصباغ المركبة بخلط الأصباغ الأولية فيما بينهما،[7] وكانت مادة الصبغ في المغرب تباع بالمثاقيل[8]

1- **الشرزذيل شيف**، قرية قرب واسط بالعراق، اشتهرت بصناعة السكر، انظر، ياقوت، **المصدر السابق**،436/3.

2- الإدريسي، **المصدر السابق** ،227/1

3- **معالم القربة**،193

4- فهمي عبد الرزاق سعد،**العامة في بغداد**، (بيروت: دار الفكر،1982)،137

5- **نفسه**،228

6- **الفوة**، نبات يشبه القرفة،لونه بني غامض يميل إلى الاحمرار، أنظر، ابن البيطار، **المصدر السابق**،203

7- عبد العزيز الدوري،**المرجع السابق**،214

8- **مثقال**،المثقال هو أساس الأوزان،وهو لا يفرق بينه وبين الدينار،وعرف بأنه72 حبة من حبات الشعير التداول،أنظر،ضياء الدين ريس، المرجع السابق،353،351.

وثمنها معلوم يساوي كسوتان ونصف سماوي أو أحمر مقداره مثقال . أمّا ثمن الصبّغ الأخضر فكان أقل ثمنا فثلاث أكياس بمثقال الكسوة[1] ، تساوي أربعة وعشرون[2] ذراعا[3].

وتتّصل الصباغة في بلاد المغرب بالصناعات الجلدية خصوصا. فعرف الصنّاع المغاربة ألوانا مختلفة كالكحلي والأسود والأزرق[4] . وعرفوا كذلك اللون الأحمر والجوزي، والأصفر والأخضر. وعرفوا مواد الصباغ،كالنيلة، والقرمز والزعفران؛ و هذه النبتة التي أصبحت تزرع في مواطن متفرقة من مدن بلاد المغرب. ولا شك أن هذه الحرفة كانت منتشرة في الحواضر الحمادية، و أن الصناع كانوا يمارسونها وفق ما هي عليه من تقنيات في الدولة الزيرية المجاورة لها.

16- حرفة الجزارة :

حرفة الجزارة قديمة في بلاد المغرب والعالم، فالإنسان لا يمكنه الاستغناء عن أكل اللحم، وهو الذي يدخل في تركيب غذائه، وكعنصر أساسي لتنمية جسمه، والحفاظ على صحته؛ لا سيما وأن بلاد المغرب عرفت بثروتها الحيوانية الضخمة لمناخها الملائم لتربية الأنعام بمختلف أنواعها من الإبل و الغنم و الماعز والبقر؛ وفي هذا يشيد صاحب كتاب الاستبصار عند كلامه عن بلاد المغرب الأوسط، أنها كثيرة الخصب،والزرع، كثيرة الغنم والماشية، طيبة المراعي، ومنها تجلب الأغنام إلى بلاد الأندلس لرخصها وطيب لحومها[5].

وجدت دكاكين للجزارين في مدينة بجاية، ويبدو أنها كانت مجاورة لدكاكين القطانين (الذين يبيعون القطن). فقد أشار الغبريني إلى وجود اللحام (الجزار الذي يبيع اللحم)، بقوله على لسان المرأة التي رآها أحد الصالحين في المنام " أن زوجي رجل قطان اسمه فلان بن فلان، فاذهب

1- الكسوة= 24ذراعا، ما مقداره 24(24- 48سم) =(576- 576.2سم)

2- الذراع، هو قياس ذراع رجل معتدل و قدرت ما بين 24إلى 48سم، أنظر، المقدسي، المصدر السابق، 65، حودت عبد الكريم، الموجع السابق، 73

3- البرزلي، المصدر السابق، 541/3

4- ابن الأحوة، المصدر السابق،193

5- مجهول، الاستبصار، المصدر السابق،179

إليه و اسأله أن يغفر لي، فلما أصبحت سألت عن الرجل، فانصرفت عنه مغموما فلما كان الليل رأته في المنام، فقالت لي نفسي أن تذهب إلى عمه فلان اللحام".[1]

والظاهر أن الجزارين كانوا يبيعون اللحم بالرطل، وثمنه درهم واحد على عهد بني حماد في القلعة و بجاية. أخبر القلقشندي بقوله: " و في بجاية كل رطل بدرهم واحد من الدراهم الصغار، وكل طائر من الدجاج بثلاثة دراهم من الصغار"[2]. فهذا النص يبين أن ثمن اللحم أقل بكثير من ثمن لحم طائر من الدجاج، وهذا ما يفسر كثرة اللحم المباعة في أسواق حواضر بلاد المغرب. مما جعل هذه الحرفة تنمو بشكل تصاعدي في المدن لإقبال الناس على ممارستها لسهولتها و للأرباح التي تدرها على أصحابها نظرا لإقبال الزبائن على شرائها. وهو أيضا ما جعل الأسعار رخيصة.

وكان الجزارون في مدينة بجاية يبيعون أصنافا شتى من اللحوم، منها لحوم البقر و الماعز والإبل و الضأن. فالرطل منه يباع بدرهم قديم بينما الرطل من لحم طائر الدجاج يباع بدرهمين، أقل من ثمنه في مدينة تيهرت التي كان يباع فيها الرطل منه بثلاثة دراهم. وهذا يبين أن مدينة تيهرت لم تكن تحتوي على تربية الدواجن بما يرخص ثمنها في الأسواق. ويعتقد أن الجزارين كانوا ينقلونها من مدينة بجاية المشهورة بتربية الدواجن فارتفع الثمن بعد أن يضاف إليه سعر النقل.[3]

ومارس الجزارون حرفتهم في دكاكينهم بطريقتين، الأولى أن المالك هو الذي يبيع اللحم لحسابه الخاص. وأن الأخير هو الذي يمارس هذه الحرفة مقابل أجر يتقاضاه. وهذا الصنف الأخير كان موجود منذ عهد الأغالبة ففي فتوى للإمام سحنون بن سعيد أنه سئل " أرأيت الخياطين والقصارين والجزارين و الصوافين و أهل الصناعات كلها إذا عملوا للناس بالأجرة ألهم أن يحبسوا ما عملوا للناس بالأجرة أم يحبسوا ما عملوا حتى يعطوا أجرهم"[4].

ويستنتج من هذا النص أن حرفة الجزارة كان ثمنها زهيدا ببلاد المغرب، فالجزار غالبا ما يقع ضحية للمحتالين والمخادعين، يأخذون اللحم منه بدون أن يدفعوا ثمنه، لذلك تصدى الفقهاء

1- عنوان الدراية، المصدر السابق، 81

2- القلقشندي أبي العباس أحمد، صبح الأعشى، (القاهرة: دار الكتب، 1922)، 172/5

3- نفسه، 110/1

4- المدونة الكبرى، 110/1

لمثل هذا النصب و الاحتيال على هذه الفئة، التي يبدو أنها كانت مظلومة في المجتمع، وينظر إليها بحقارة و ازدراء؛ و من الحواضر التي انتشرت فيها حرفة الجزارة المسيلة، و طبنة، و تنس وبونة، فكان الجزارون يبيعون لحم الغنم في دكاكينهم بثمن رخيص في مدينة مسيلة، لتوفر الأغنام بمراعي هذه المدينة و يملكون رؤوس أغنام عديدة يقومون بتربيتها ورعيها في ضواحي المسيلة، الطيبة المراعي، وربما وجد صنف من الجزارين يعملون لحساب أصحاب المواشي، يختصون ببيع لحوم الضأن و الماعز و في حوانيتهم المنتشرة بكثرة في أسواق المدينة وأزقتها[1].

وأما الجزارون في مدينة بونة فكانوا يبيعون أكثر لحم الأبقار،[2] يذكونها في مذكاة تقع خارج المدينة ثم يحملونها على دوابهم في قفف كبيرة إلى حوانيتهم، وكانت هذه القفف تصنع من حبال غليظة من الحلفاء، أو القصب، ومنهم من يذكي العجول و الأبقار في بيته، إن كان هذا الجزار لا يملك منها إلا القليل، وغالبا ما كان يساعده في عمله أبنائه وأفراد أسرته، ويقوم بتقطيع اللحم قطعا قطعا يحمله في يده إلى الأسواق أو الدكان ليبيعها، إن كان دكانه يقع في مكان من المدينة لا يسمح للدواب بوطئها، و ثمن اللحم في هذه الدكاكين يكون عادة أغلى منه في الأحياء الشعبية، لصعوبة نقل اللحم إلى هذه الأماكن، إذ لا ينقل إلا بشق الأنفس. ويتم بيعها لعلية القوم وأغنيائهم الذين يملكون من الأموال ما ييسر عليهم شراء اللحوم الطرية بأثمان غالية[3].

وتنوعت حرفة الجزارة (أو القصابة) على عهد بني حماد، فأختص جزارون ببيع لحم الغنم، و اختص آخرون ببيع الأبقار، بينما مارس غيرهم بيع لحم الطيور كالدجاج[4]. ويعود هذا التنوع في ممارسة هذه الحرفة إلى المجال الجغرافي الذي يسود المنطقة ففي التل أين يكون الهواء والأمطار الكافية، تكون المراعي الصالحة لتربية الأبقار.أما في المناطق شبه الصحراوية فتكثر فيها لحوم الماعز و الضأن، ولحوم الإبل، إذ أن الواحد من الملاكين يربي قطيعا كبيرا منها تعد بالمئات

1- ابن حوقل، **المصدر السابق،77،79**

2- **نفسه، 78**

3- **نفسه،79**

4- القلقشندي، المصدر السابق،5/111

والآلاف، يستأجر مجموعة من العمال للقيام برعاية ماشيته، كما يستأجر جزارين يعملون لحسابه الخاص " فكان يذبح في أسواق ريغة[1] أكثر من مائة ثور وألف شاة"[2].

والظاهر من هذا الخبر احتراف أهالي البلد للجزارة، وتمرسهم على فنونها، والعدد الكبير من الثيران والشياه التي تذبح في سوق بلدة واحدة، يعني كثرة ممارسي هذه الحرفة في محلات ودكاكين وجدت لهذا الغرض. كانت تقدر عدد المحلات المختصة في بيع اللحوم في بلدة واحدة بأكثر من خمسين محلا للقصابة (الجزارة)، تباع فيها لحوم الثيران، و بحوالي مائتين و خمسين محلا (دكان) لبيع لحوم الضأن أو الغنم على أكثر تقدير، إذا افترضنا أن كل جزار كان يبيع في يومه ثورين أو شاتين[3].

و لمقارنة هذه الحرفة فقد ازداد عدد رؤوس الأبقار عن عدد الأغنام في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر ميلادي، ولك أن تتخيل اقتناء الجزارين في هذا العصر للأبقار بدل الأغنام لذبحها، بسبب رخص أسعارها. والربح الذي يجنيه الجزارون منها لسرعة نفاذ لحومها، إذ العامة والطبقات الفقيرة تشتري لحوم الأبقار، بدل لحوم الأغنام الباهظة الأثمان.[4]

و تفسير ذلك، قد يكون من تقلب الأحوال الجوية في هذا العصر. فقد يكون المناخ أصبح أكثر ملاءمة في المناطق الشمالية لبلاد المغرب، مما جعل تكاثر الأبقار و الظروف المناسبة لتنمية هذه الثروة الحيوانية، من حيث اعتدال الهواء، ووفرة المياه والكلأ في المراعي الخصبة التي تمتاز بها مناطق التل الشمالي في بلاد المغرب الأوسط.

وبالعكس من ذلك، فقد ازدهرت حرفة الجزارة المعتمدة على الأغنام في المناطق الشبه الصحراوية على امتداد خط مستقيم تقريبا، بدايتها القيروان، و سبيبة، وسوسة، ونهايتها طبنة[5]. ومسيلة[6]. ولا زالت هذه المناطق إلى يومنا هذا تشتهر بممارسة هذه الحرفة في مدنها و أريافها،

1- ريغة، سوق كان يباع بها و يشترى و يقبض منها حوائج، أنظر، الإدريسي، المصدر السابق، 254/1

2- البكري، المصدر السابق،153

3- مجهول، الاستبصار، 169

4- روض القرطاس،50

5- ابن حوقل، المصدر السابق،85

6- البكري، المصدر السابق،34

خاصة في طبنة و مسيلة، فما من مسكن من مساكنها ولا فرد من أفرادها إلا ويمارس حرفة الجزارة التي تتوارث خلفا عن سلف.

و قد انتشرت المذابح في العهد الحمادي منها المذبح الرئيسي في مدينة بجاية الواقع خارج المدينة في منطقة الربض قريبا من البحر، ومن مورد المياه للقيام بعملية التنظيف و الغسل. وأصبح هذا اللفظ يطلق على إحدى الأبواب الغربية لمدينة بجاية في العهد الحمادي، و لكن لا نعرف بالضبط متى أنشئ هذا المذبح، وما هي المقاييس التي اعتمدها الحماديون في اختيار هذا المكان بالذات؟[1].

ومن المعلوم أن هذا المذبح لم يكن موجودا في القرن السابع الهجري في العهد الحفصي الذين ملكوا بجاية، بل أصبح سوقا للنخاسين يبيعون فيه الرقيق الأبيض و الأسود، كما أصبح مكانا للسكن. ربما لبعض الذين انحدروا من أصلاب الجزارين الذين كانوا يمارسون هذه المهنة في المذبح[2].

لم تخبرنا المصادر التاريخية عن الحالة الاجتماعية التي كان عليها الجزارون في العصر الحمادي، إلا أن السلطان كان يسمح لهم ببناء مساكنهم قرب المناطق التي يمارسون فيها أعمالهم. كما أن المصادر سكتت عن الكلام عن العقائد الدينية و المذاهب الفقهية التي كان عليها الجزارون. غير أنه يمكننا أن نستنتج أن الجزارين في المناطق الحمادية التي ينتشر فيها المذهب المالكي، كانوا يذكون الحيوانات وفق منظومة الفقه المالكي في بجاية و القلعة[3].

و في العهد الحمادي، انتشرت هذه الحرفة على طول الطريق الذي يربط بين بجاية و قلعة بني حماد، وكثرت محلات الجزارين في حصن "تاكلات"، وهو حصن منيع مطل على جبل بجاية[4]. ولا يمكن فهم أهمية دور هذه الحرف في المدن إلا في حقل النظرة الشاملة لتطور المدن، و ليس في

1- الغبريني، المصدر السابق،163ن164

2- روحي إدريس، الموجع السابق،110/2

3- البرزلي، المصدر السابق، 539/3

4- مقديش بن سعيد محمود الصفاقصي، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ و الأخبار،18

نطاق النظرة الجانبية أي أن النظرة إلى المدينة و ما تعلق بها من الحرف تعتبر وحدة مستقلة، وذلك بسبب مظهرين أساسيين[1]:

- المظهر الأول و يتمثل في ذلك التطور العمراني و الديمغرافي الذي عرفه العالم الإسلامي عامة، و المغرب الإسلامي خاصة ابتداء من النصف الأخير للقرن الثاني الهجري، ولا سيما خلال القرنين الثالث و الرابع، ويتصل بهذا التطور بروز شبكة من المسالك التجارية، بعضها جديد، وبعضها قديم، ولكنه اكتسب أهمية جديدة خلال عصر الازدهار العمراني في العالم الإسلامي.

-أما المظهر الثاني فهو ارتباط هذا التطور العمراني، و ما يتصل به من قضايا عديدة ومتشعبة بديناميكية اقتصادية في منطقة جغرافية شاسعة و حساسة تمثل عهد ئد قلب مراكز التجارية العالمية و مسالكها[2].

وخلاصة القول أن حرفة الجزارة انتشرت بصورة كبيرة في جميع أنحاء الدولة الحمادية في القرى والمدن، نظرا لتوفر المادة الأولية وهي وفرة الإنتاج من الثروة الحيوانية في البلاد الحمادية، بسبب المجال الجغرافي الملائم ، حيث يسود المناخ المتوسطي في الشمال، و الشبه القاري في الجنوب على تخوم الصحراء.

17- حرفة صناعة الخبز(الفرانون) :

الفران، هو صاحب حرفة إنضاج الخبز خاصة في الفرن، و قد أشارت إليها المصادر من ذلك أن سحنونا بن سعيد أشار في مسألة التضمين و الأجرة و الكراء للأفراد في الأسواق، وأن من ضيع شيء من العجين أثناء حرقه بالنار في الأفران، فإن عليه التغريم'غرامة، يوديها إلى صاحب العجين، لما ألحقه به من ضرر سئل أبو الحفص بن العطار[3] عن الفران هل يغرم أم لا؟. فقال "بأنه يغرم لوح العجين ما دام العجين فيه، فإذا زال العجين فلا ضمان عليه فيه. فإن قالب الحمالة، التي تذهب

1- الحبيب الجنحاني، **المرجع السابق، 76**

2- **نفسه، الصفحة نفسها**

3- سبق الترجمة له في هذا الفصل

بالعجين إلى الخباز ردته و قال أربابه لم ترد علينا شيئا [1]. ويدل هذا على أهمية هذه الحرفة، وكما يستنتج أن النساء عادة هن اللائي كن يحملن فوق رؤوسهن لوح العجين (الحمالات)، ويأتون به إلى صاحب الفرن، حيث يقوم العمال الذين هم تحت تصرفه بشتى أنواع العمل من التنظيف وحفظ العجين، و طهيه، وإخراجه من الفرن وغير ذلك. إلى جانب هؤلاء الملاك للأفران فقد وجد في بلاد المغرب صنف آخر من الخبازين الذين يخبزون للناس في الفرن، أو التنور مقابل أجرة يتقاضونها منهم. فقد أخبر سحنون في فتوى وصلته، لحالة الخباز الذي أهمل مراقبة فرنه حتى احترق الخبز واتلف.[2]

و لا تفيد المصادر كثيرا في هذا البحث في الكشف عن الأفران، ولا عن أسماء هؤلاء الفرانين، الذين كانوا يحترفونها، ولا عن أماكن تواجد هذه الأفران، إلا ما نذر في كتب الفقه و النوازل. فهناك إشارات مقتضبة عن الفرانين في سياق فتاوى التضمين و الكراء و المنازعات.

وتم اكتشاف فرن كان مستعملا لصناعة الزجاج بقلعة بني حماد، وهذا يدل على أن الحماديين وجد عندهم هذه النوع من الأفران. ولا شك أن أصناف الفرانين قد احترفوا صناعة الأطعمة و الزجاج و المعادن الأخرى، التي وجدت في القلعة، كما تدل على ذلك الآثار التي اكتشفت فيها[3].

و يبدو أن الفرانين كانوا يتمركزون قرب الأودية والمجاري، للتزود بالماء، لحاجة الأفران لكميات منه ، أما المدن التي ليس لها وديان أو مجاري كبيرة، فإن أصحاب هذه الحرفة، كانوا يعتمدون على مياه الآبار. أورد البرزلي في فتاويه يقول عن بئر بجوار أفران كثيرة فاستقوا منه ماء كثيرا لعجينهم.

ويدل هذا الخبر على تطور حرفة الفران في العهد الصنهاجي الحمادي، إذ أصبح العجين يتم عجنه عند الفران، بعد ما كان يعجن في البيوت، وكانت تحمله المرأة على رأسها في لوح العجين.

1- المدونة الكبرى، 302/11

2- المدونة الكبرى، 29

3- Golvin, op, cit,235

ووجدت أفران لصناعة الفخار في دولة بني حماد، بالقلعة و بجاية، ويعتقد أن هذه الأفران [1] قد بنيت بأشكال مختلفة عن الشكل المعماري للدور القريبة منها، فهناك نص لابن عرفة يقول فيه " إن كانت آثار الفرن بعرصة غير عامرة ببناء شكله مناف لشكل بناء الفرن، فآثار الفرن باقية للدلالة على الفرن المذكور"[2]. ونستشف من هذا النص، أن المهندسين، كانت لهم تصميمات خاصة في بناء الأفران، ولعل هذه الميزة، التي اتسمت بها هذه الأفران، ربما لإخراج النفايات، والدخان المنبعث منها في قنوات خاصة، حتى لا يؤذي السكان المجاورين لهم، إذ أن الوقود الذي كان يستعمل في عملية الاحتراق هو الحطب والفحم.

وتتمركز الأفران المتعلقة بحرق الخزف و الفخار و القرميد، والأجر، خارج المدينة، وهذا لمنع الأذى عن الناس، وتنظيف أجواء المدينة.[3] و كان الفرانون في مدن المغرب، يقع عليهم العبء الأكبر في تنشيط الحياة العامة للسكان، والظاهر أنهم شاركوا كثيرا في تلبية حاجيات السكان، من حيث طهي الخبز و الحلويات، وتحقيق الرفاهية للناس.

و قد أدرك ابن عذارى المراكشي أهمية هذه الأفران في حياة الناس، لذلك ذكرها من بين ما خسره الناس في المجاعة[4] الشهيرة التي أصابت القيروان.[5]

وكان صنف من الفرانين يقومون بغربلة دقيق القمح، وينقونه من الحجارة، و ما تعلق به من غبار و غيره، قبل طحنه لهذا القمح[6]. و يظن أن عملية الغربلة و التنقية لم تكن تتم باليد، لكثرة طحين القمح الذي يؤتى به إلى الفران لطهيه، وقد يكون الفران يقوم بالطحن والطهي في الوقت

1- الأفران،ج ،فرن، اكتشف ،ح،ح،عبد الوهاب، فرن جير، كاملا بصيرة المنصورة، انظر، Objets kairouanais، روحي إدريس، المرجع السابق،2/371،374

2- البرزلي، المصدر السابق،4/287

3- الونشريسي،المصدر السابق،8/349

4- و في سنة 395هـ/ 1004م ،كانت بافريقية شدة عظيمة، انكشف فيها الستار، وهلك فيها الفقير، وذهب مال الغني، وغلت الأسعار،وعدمت الأقوات، وتجلى أهل البادية عن أوطانهم، وخلت أكثر المنازل فلم يبق لها وارث، فمات من طبقات الناس وأهل العلم و التجار و النساء و الصبيان مالا يحصى عددهم إلا خالقهم تعالى، وخلت المساجد بمدينة القيروان، وتعطلت الأفران والحمامات، وكان الناس يوقدون أبواب بيوتهم و خشب سقوفهم، وجاء خلق من أهل الحاضرة و البادية إلى جزيرة صقلية، وكانت الرمانة بدرهمين للمريض في ذلك الوقت، والفروج بثلاثين درهما، انظر، ابن عذارى، البيان المغرب،(ليدن:1948)، 1/ 137

5- نفسه ،137

6- يحي بن عمر، المصدر السابق،55

نفسه. وفي هذه الحالة، إما أن يكون معه مجموعة من العمال يساعدونه في عمله، وإما أن تكون آلات كالطواحين و الرحى، يستعملها الحرفي في طحن و تنقية وغربلة القمح و الشعير قبل طهيه ليصير خبزا[1].كما يقوم الفرانون ببيع الخبز لأصحاب الحوانيت[2]. وهذه الحرفة لها أهمية كبيرة في نفع المجتمع، إذ توفر المادة الاستهلاكية الأساسية لإطعام الناس، وتوفر الطعام لهم، ولها دور كبير في تغذية المجتمع الحمادي، بشتى أنواع الطحين، ولذلك اهتم الحماديون بتوفير الحاجيات الأساسية لقيام صناعة متكاملة ووفروا لها الوسائل اللازمة لقيامها و ازدهارها في المجتمع، مما ساهم في ازدهار الحياة الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع الحمادي.

18-حرفة صناعة الحبال :

هم الذين يقومون بصناعة الحبال و فتلها،من خيوط تصنع غالبا من الكتان أو القطن، أو الحلفاء، وهي على أنواع كثيرة، منها المتينة، والرقيقة، والغليظة. من ذلك بعض الإشارات التي ذكرها المصادر منها إشارة محمد بن الحسن الشيباني (ت.189هـ/ 804م)، في كتابه(الاكتساب في الرزق المستطاب)، حيث أكد أن في العمل المعاونة على القربى و الطاعات وأن لا فرق بين الصنائع سواء أكان من أربابها فتال الحبال. فتستعمل في شد الأشرعة قبل الإقلاع وبعد الرجوع من الغزو أو الصيد[3].

ولم تشر المصادر الجغرافية، ولا كتب الفقه و النوازل لهذه الحرفة، ويبدو أن الحبالين كانوا يمارسون هذا النشاط ببلاد المغرب في القرن الرابع الهجري، وكانت تصنع من أوراق البردي الذي كان يستورد في بداية الأمر من مصر، لصنع هذه الحبال، وربما بعد سيطرة الأغالبة على صقلية، وهي المشهورة بإنتاج البردي الجيد، استورده الأغالبة و الزيريين من بعدهم لاستعماله في صناعة الحبال المخصصة لربط السفن و المراكب في المراسي، وأشرعة السفن والمراكب بهذه الحبال[4].

1- البرزلي، المصدر السابق، 347/3

2- نفسه، 211/3

3- دلال لواتي، المرجع السابق،83

4- البرزلي، المصدر السابق، الصفحة نفسها

وأغلب الظن أن ورشات صناعة الحبال، كانت تقام على ضفاف الأودية، وسواحل بحر الروم (البحر المتوسط)، المنطقة حيث كانت تصنع فيها المراكب و السفن، كمراسي بجاية و بونة وتدلس، وجيجل، وجزائر بني مزغنة، ومرسى الدجاج.أما بجبال كتامة فكانت تزود صنع الحبال من نبات يسمى الديس. يقوم الحرفي بشق الديسة على ثلاثة أجزاء أو أربعة، ويهرسها وتبلل بالماء، ثم يجعل هذه الأجزاء في أصابع قدميه ويظفر كل ليفين من الديس مع بعضها البعض. أو يظفر ثلاثة ألياف مع بعضها البعض[1].

19- حرفة صنع السلال أو القفف:

هذه الحرفة تقوم برصف الخيوط المغزولة من الديس أو الحلفاء أو السعدى وهي من الحشائش التي توجد بكثرة حول الغدران و المستنقعات وسفوح جبال جيجل و بجاية. يقطعها الحرفي وهي لا تزال خضراء، وتترك في بطحة حتى تجف ويصير لونها أصفر، وتبلل بواسطة الماء، لكنها لا تهرس، بل تظفر و تصنع الحبال الصلبة منها بواسطة مغازل رقيقة تلف عليها الخيوط المقطوعة من هذه المواد على أعواد مع ربطها ببعضها مع بعض على سطح مستوي على الأرض، ثم يقوم الحرفي بنسجها قففا تستعمل في أغراض شتى، حيث يصنع قاعدتها العريضة حتى يصل إلى الأعلى، ثم يقوم الحرفي بصنع ذراعيها، وتتكون من حبل أو إثنين أو ثلاث، ويلحمها مع بعضها البعض ويلفها على شكل ثلاثة أو أربع مرات. و أما المواد الأولية التي تقوم عليها هذه الصناعة، فهي مادة الديس الذي ينبت عادة في المناطق الجبلية، و يتم حصاده في فصل الخريف، يربطه الحرفي في حزم، يأتي بها إلى ورشته، ليشكل منه القفف. ويصنع من نبات السعدى الحبال و السواني وهي غالبا ما تستعمل لجني الزيتون، وتكون صغيرة الحجم، ويكون ذراعها مؤلف من ثلاثة أو أربعة. و يتم لف بعضها ببعض ، وتربط بها الأبقار و البغال و الحمير. كما تصنع بهذه الحبال التزال[2] المخصصة لجني الزيتون في مناطق كتامة.

20- حرفة الرعي :

مارس العرب و البربر جميعا حرفة الرعي على مدى تاريخهم الطويل، باعتبار أن هذين

1- لا زالت هذه الحرفة قائمة حتى اليوم في جبال جيجل

2- التزال، وهي حبال مظفورة من حبال السعدى، تستعمل في جني الزيتون ، تحمل بها القفف في أعلى الشجرة، وغالبا ما يستعمله اللقاط في الأماكن الجبلية الوعرة، يتلفظ بها اليوم في مناطق جيجل و ضواحيها. وتعريفنا هذا مأخوذ مما هو قائم في عصرنا

الجنسين سكنا البادية و القفار، لذلك فإن العرب لما فتحوا بلاد المغرب، وجدوا أقواما و قبائل يشبهونهم في معيشتهم، فكانوا يرتعون ويرعون الأنعام و الإبل، وكان من شأن ذلك أن ساهم في الامتزاج الذي وقع سريعا بين العرب والبربر، فامتزج الجنسان، وأصبحا ابتداء من ظهور الفاطميين خليطا[1]. و الواقع أن كلام إدريس قد جانب الصواب، إذ المعروف أن البربر قد انصهروا مع الفاتحين العرب الأوائل الذين دخلوا إفريقية، لما رأوا من حسن الدين و العقيدة التي جاء بها هؤلاء، وقد شاركوا بقوة في فتح الأندلس في سنة 92هـ/ 711م بقيادة طارق بن زياد البربري والي طنجة من قبل موسى بن نصير، وهذا دليل يفند ما ذهب إليه إدريس.

وما يهمنا هنا هو تسليط الضوء على حرفة الرعي في بلاد المغرب في العهد الحمادي.فقد كان اعتماد السكان على حرفة الرعي، كحرفة أساسية كما ساهمت الظروف الطبيعية من تضاريس و مناخ و غطاء نباتي في تنمية الثروة الحيوانية في بلاد المغرب. وما يلاحظ على التنوع البيئي لجغرافية بلاد المغرب في القرن الخامس الهجري (عصر بني حماد)، ظهور التنوع في تربية الأنعام. وهذا التنوع قال عنه ابن حوقل في قوله" ولهم الخيل النفيسة من البرادين[2] و البغال الفرد، والإبل و الغنم و ما لديهم من ماشية البقر و جميع الحيوان الرخيص، فأما أسعارهم على ثنائي منهم وديارهم، فعلى غاية الرخص في الأطعمة والأغذية و الأشربة واللحمان والأذهان"[3].

وانتشرت حرفة رعي الأغنام و الأبقار في سهول بونة و مسيلة وجزائر بني مزغنة، والإبل والماعز في تيهرت، ومناطق جنوب دولة بني حماد، من حدود ورقلة إلى مناطق الزاب، وميلة وقسنطينة، فالقبائل على اختلافها مارست حرفة الرعي في هذه المناطق. مما جعل بعض الفقهاء يضعون ضوابط في هذا المجال، فكثيرا ما كانت ترد النوازل الفقهية لحل بعض المسائل التي تتعلق بالمرعى و الرعي[4].

1- إدريس،المرجع السابق، 85/2، 86

2- البرادين، جمع بردون، دخل عمر ابن الخطاب بلاد الشام و هو يركب بردونا، أي الحصان المهيأ للرحلة و لم يدرب على الحروب، أنظر، سيرة ابن هشام، 342/2

3- صورة الأرض، 35

4- فاطمة بلهواري، المرجع السابق، 140

ورغم قلة المصادر التي تتكلم عن حرفة الرعي في دولة بني حماد، فإنني أحاول الاقتراب من الواقع، ضمن الإشارات التي خلفها ابن حوقل لما مر على المسيلة وطبنة، وتنس، فاندهش لوفرة المواشي من الدواب و الأنعام والبقر و سائر الكراع في هذه المناطق[1]، وكانت تخصص جزءا من منتو جاتها للتجارة فيه. وهذا يبين كثرة المراعي في هذه المناطق، واتخاذ أهلها حرفة الرعي كحرفة تدر عليهم كثيرا من الأموال، وتهيئ لهم الحياة الرغيدة[2]. واشتهرت قبيلة مزاتة باتخاذ حرفة رعي الغنم والجمال و البغال، كما أشار لذلك الدرجيني.[3]

ويبدو أن بلاد المغرب الأوسط، كانت أوفر حظا في ممارسة حرفة الرعي، واتساع نشاطها. فقد سجل صاحب كتاب" الاستبصار" كثرة المبادلات التجارية في اللحوم و المواشي، التي يتم تصديرها من بلاد المغرب الأوسط (دولة بني حماد)، إلى بلاد الأندلس و المغرب[4]. وهذا يعني أن حرفة الرعي في هذه المناطق قد أصبحت من بين الحرف الأساسية التي يتناولها السكان، ويعتمدون عليها في معيشتهم والإنفاق على أهليهم.

ويعتقد أن حرفة الرعي أصبحت ثقافة اجتماعية وحتمية اقتصادية في بلاد المغرب على عهد بني حماد. فهم قد تأثروا بالحالة الاجتماعية و الاقتصادية، التي كان عليها الرستميون في تيهرت هي أحد معادن الدواب والغنم و البراذين الفراهية، كما أشار لذلك ابن حوقل[5]. فحرفة الرعي كانت تمارس على أوسع نطاق عند أهالي تيهرت، بدليل امتلاك أفراد منهم لعدة آلاف من رؤوس الأغنام و الإبل.

21-حرفة الصيد البحري :

للدولة الحمادية سواحل طويلة مطلة على بحر الروم (البحر المتوسط)، مما وفر لأهلها الاشتغال بحرفة صيد الأسماك، فظهرت مراكز و موانئ ترسو فيها المراكب على اختلاف أنواعها

1- ابن حوقل، المصدر السابق،70

2- نفسه، المصدر السابق،77، 78، 79

3- الدرجيني، أبو العباس أحمد بن سعيد بن سليمان، طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق، إبراهيم طلاي، (الجزائر/قسنطينة: مطبعة البعث، 1974) 130/1

4- مجهول، الاستبصار، 179

5 - صورة الأرض،86

وأحجامها في عدة موانئ على السواحل. كمرسى الخزر، و مرسى الدجاج، و المرسى الكبير بوهران، و عنابة، و جيجل وغيرها.

كما توفرت المدن الحمادية على عدد كبير من الأودية، كانت حرفة صيد الأسماك مزدهرة حولها، كوادي سيبوس و الوادي الكبير ووادي الصومام وادي"سهر" بالمسيلة، ، ووادي الشلف الذي كان يحتوي على عدة أنواع من الأسماك.

و إذا تصورنا خريطة لتوزع ممارسة حرفة الصيد البحري على عهد بني حماد، فيمكن التقاط هذه الإشارات من كتب الجغرافية و الطبقات و الفقه و النوازل.[1] وقد أشاد الإدريسي بوفرة السمك بنهر" سهر" و انه كان يصطاد منه نوع ليس له نظير في بلاد العالم الإسلامي التي زارها الرحالة، يصطاد منه سمك وفير، ينقل لبيعه في أسواق القلعة و غيرها، وهو نوع معين من السمك الكثير، فحمل إلى قلعة بني حماد.[2]

توسع نشاط حرفة الصيد على طول سواحل المغرب الأوسط و حواضره، إلا أن المصادر التاريخية قد شحت في هذا الجانب، ولو بقليل من المعلومات عن كيفية الصيد البحري في هذه المناطق الساحلية قد يكون ناتج عن إهمال الرحالة، و الجغرافيين المعاصرين لدولة بني حماد، لدور هذه الحرفة في تنمية اقتصاديات المدن،والقضاء على البطالة فيها، بتشغيل عدد كبير من الشباب في ممارسة هذه الحرفة. و قد أشاد ابن حوقل بوفرة السمك بمرسى الخزر، مما يعني انتشار حرفة الصيد فيه فيقول: " أن فيها من صيود السمك ما لم أر ببلد مثله سمنا"[3]. وهذا النوع الجيد من الأسماك كان ينقل إلى القلعة وبجاية لبيعه في أسواقها، باعتبارهما قريبين جغرافيا من هذا المرسى، إذ لم يكن ممكنا في تلك الأزمنة نقل كميات ضخمة من الأسماك لبيعها في أماكن بعيدة، خوفا عليها من التلف و الفساد، فلم تكن موجودة الوسائل الحديثة للحفاظ على الأسماك من التلف و الضياع.

فلا شك أن المدن الساحلية بالمغرب الأوسط على عهد الحماديين، كانت تتوفر على أنواع من صيادي الأسماك .

1- فاطمة بلهواري، المرجع السابق،216

2- الإدريسي، المصدر السابق،254/1

3- صورة الأرض،77

و طريقة صيد السمك في ذلك يمكن مقارنتها بما هو جار في يومنا،لعدم توفر أخبار عنها حيث يقوم الحرفي برمي الشباك (ج شبابك)، في الماء، وينتظر حتى إذا امتلأت بالأسماك أخذها بدون مشقة ولا عسر. وهذه الشبابيك كانت تسمى بالحظائر و الزرايب. ومعنا نص للبكري يتطرق لهذا الأسلوب في الصيد البحري بقوله " لهم من الصيود السمك ما يكثر و يعظم تصاد بحظائر قد زربت وعملت في الماء فتؤخذ بأيسر سعي".[1]

واشتهر وادي الشلف على عهد بني حماد، بصيد سمك الشهبوط، إلا أنه كان كثير الشوك ويكثر في النهر لمدة شهرين ويكثر صيدها في هذا الوقت، ويرخص ثمنها ثم ينقطع. فلا يوجد في النهر شيء منه إلى السنة المقبلة.[2] وكانت مدينة دلس على هذا العهد تنتج كثيرا من السمك والحوت، فكان الصيادون يستعملون آلات خاصة في اصطياد الحوت، فقد أخبر الغبريني:" أن أبا محمد عبد الله بن علي بن عبد المعطي بدلس، قال خرجنا مع الشيخ، نفعنا الله ببركاته، و ركبنا البحر، وحملنا آلة الصيد للحوت، ثم صارت ترامى علينا في الزورق حتى امتلأ حوتا"[3] .

فحرفة الصيد كانت تستعمل فيها عدة وسائل، منها الزرايب و الحظائر، وهي عبارة عن شبكات تلقى في الماء و هذه الأدوات تستعمل في صيد السمك، أما الآلات الحادة فكانت تستعمل لاصطياد الحوت الكبير، عن طريق زوارق تمخر عباب البحر في الليل. واستعمل الحرفي للصيد، أنثى الصنف المعروف بالبوري، يرسلها في البحيرة كوسيلة، لجذب الحوت الذكور إلى شبكته، ثم يتبعها بشبكته، فيخرج العد د المتفق عليه " أي اتفاقه مع التجار) لا يكاد يخطئ".[4]

فهذا الأسلوب في ممارسة حرفة الصيد يدل على المهارة الكبيرة التي اكتسبها الحرفي الصياد في بلاد المغرب على عهد بني حماد، نتيجة للممارسة الطويلة لهذه الحرفة، إذ كان الصيادون يتدربون عليها منذ الصغر ولازالت هذه الوسيلة تستعمل إلى اليوم في الجزائر مثلما هو في سواحل مدينة جيجل، أين يستعمل الصيادون لحم البوري في جذب الحوت إلى شبكاتهم بكميات وفيرة، فبمجرد

1- نفسه، 73

2- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، أثار البلاد و أخبار العباد، (بيروت: دار بيروت) ،148،149

3- الغبريني، المصدر السابق،162

4- البكري، المصدر السابق،58

أن يلقي الصياد هذا الحوت في البحر بشرط أن يكون أنثى، فتنجذب إليها الذكور فيصطادها بسهولة ويسر.[1] و أشار الإدريسي إلى نوعية وحجم السمك في جيجل، و إلى وجود أثني عشر نوعا من السمك (وهي البوري و القجوج و المحل و الطلنطة والإشبيلينيلت و الشلبة والقاروص، و اللج و الجوجة و الكعلاء والطنفلوا و القلا).[2] و أمدنا بمعلومات عن السمك في مدينة مسيلة، فقد أكد أن " في المسيلة سمكا صغيرا عليه طرق (خطوط) حمر حسنة و مقداره من شبر فدون، وربما صيد منه الكثير فاحتمل منه إلى قلعة بني حماد".[3]

وقد تناولت كتب الفقه و النوازل بين ثناياها القضايا المتعلقة بعملية الصيد البحري، وتصدت لابتزاز التجار الكبير للصيادين، وهذا الابتزاز أدى إلى ارتفاع أسعار الأسماك.

و قد أشار الإمام المازري[4] إلى المضرة الواقعة على الناس من هذا الصيد، بسبب ارتفاع أسعار السمك، فلا تصل إليه أيدي الناس، خاصة أنه كان ينقل من هذه المصائد عن طريق وسطاء سماسرة، فيزداد ثمنه في أسواق القلعة وغيرها من مدن المغرب، في حين رأي آخرون، ترك الحرية وفي ممارسة هذا النشاط الحرفي (الصيد البحري)، ولا يجوز للملاك الأقوياء وضع أيديهم عليه، لتنظيم عملية الصيد، وجعلها خاضعة لحماية معينة من قبل هؤلاء الملاك.

وربما أن هذا الأسلوب هو الذي كان يمارس في بحيرة تقع غرب مدينة بونة، يصفها وجدت بحيرة فيها سمك جليل.[5]

وخلاصة القول، أن عملية الصيد البحري في دولة بني حماد، قد عرفت نشاطا كبيرا، أدت إلى تنمية الثروة السمكية، التي كانت يصدر جزء منها إلى خارج الدولة، رغم فقر المعلومات التي تخص إنتاج هذه الدولة من الأسماك إشارات خفيفة عن نهر سهر بالمسيلة ووادي شلف.

إن الصناعة الحرفية المعتمدة على تحويل المنتجات الزراعية والحيوانية، قد عرفت في المغرب الأوسط على عهد بني حماد تطورا كبيرا شملت تقريبا جميع الصناعات التي تتعلق بهذه المنتجات

1- نفسه،58

2- الإدريسي، المصدر السابق،1/98،107،114

3- نفسه،86

4- الأمام المازري، سبق الترجمة له

5- صورة الأرض،75،76

الفلاحية و الحيوانية ومن بين هذه الأنواع.الصناعات عموما حيث توجد بالمدن الحمادية مراكز كثيرة، هي عبارة عن دور، أو ورشات مخصصة لهذه الحرف، والتي بدورها قسمت إلى صناعة حرفية تابعة لها كالحياكة و الخياطة و النسيج والغزل، وما يلاحظ في هذا المجال تفوق الحرفيين الحماديين عن غيرهم في صناعة الملابس النسيجية المتقنة الصنع، والتي كان التجار يشترونها من دكاكين القلعة و أسواقها و يوزعونها في مختلف المناطق و الأصقاع لشهرتها التي بلغت الأفاق، وربما يعود هذا التفوق في هذه الصناعات إلى شغف ملوك بني حماد بالظهور أمام الناس بمنظر الأبهة و العظمة والإجلال، وقد يعود ذلك إلى الأموال الضخمة التي كانت ترد إلى القلعة باعتبارها أصبحت أهم مدينة اقتصادية في بلاد المغرب، خاصة بعد أن فقدت المهدية بريقها الاقتصادي الذي كانت تتمتع به من قبل، نتيجة لغزو الأعراب لمناطق إفريقية و الخراب الذي أحدثوه فيها، مما جعل الأمن الداخلي للدولة الزيرية يتعرض للخطر، ومن ثم انتقل قلب التجارة إلى عاصمة بنو حماد، ويعود ذلك أيضا إلى سيطرة الحماديين على المسالك التجارية الكبرى خاصة المسلك الرئيسي الذي يمثل المسيلة، تيهرت، سجلماسة فبلاد السودان وهو الطريق الذي كانت تسلكه القوافل التجارية المحملة بذهب السودان.

وساعدت التضاريس الجغرافية التي يتميز بها المغرب الأوسط من تطوير صناعة غذائية متكاملة، هذه الصناعة التي تميزت بالتنوع في صناعة الطحين و أنواعه من طحين القمح الصلب واللين، وطحين الشعير و غيره ، على الصناعة الغذائية الأخرى خاصة المعتمدة على الزيوت، فالخريطة المناخية في بلاد المغرب الأوسط جعلت شجر الزيتون يغطي كامل المنطقة التلية من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب من القالة إلى تلمسان، هذه الثروة الإنتاجية الكبيرة من الزيوت مكنت من بروز مهن تابعة لهذا الإنتاج و جعلت الحرفي الحمادي يفكر في إيجاد وسائل عملية من أجل تطوير قدراته في إنتاج هذه المادة، من وسائل النقل بتربية الدواب من الحمير و البغال والخيول التي غالبا ما كان يستعملها في إدارة الرحى التي تعمل بالمياه من أجل تحريكها و توليد الطاقة في رفع مياه الأنهار و الآبار التي أنشأت من أجل هذا الغرض، ونقل الزيتون الذي كان ينتج بكميات كبيرة من أماكنه بالجبال إلى الحواضر والقرى من أجل طحنه و إخراج الزيت من حبه بواسطة عصره وغليه

كما دعت الحاجة بالحرفي الحمادي إلى إنتاج مصنوعات جلدية متنوعة، خاصة و أن الصناعة الغذائية تتطلب ذلك؛ كإنتاج البرادع و الشواري التي كان في أمس الحاجة إليها و ما يدعو للانتباه، هو أن الحرفي الحمادي أعتمد في هذه الصناعة على الموارد المحلية من نسج الحبال من الديس الذي يتواجد بكثرة في جبال البابور وبجاية و هي المناطق التي يوجد فيها نبات السعدى و الرافية الذي كان يستعمل في صناعة البرادع و الشواري والحصائر الكبيرة التي استعملها الحرفي الحمادي في أغراض شتى في حياته اليومية، من فراش و جعل طعامه ينشره عليها من أجل حفظه في أكياس و شكائر، التي كانت تصنع من الخيشة[1] و الديس و الحلفاء المتواجد بغزارة في ضواحي القلعة و المسيلة

أما الصناعة الخشبية فقد ازدهرت على عهد بني حماد، من ذلك أن الحرفي الحمادي قد أبدع في النقش على الخشب، يدل على ذلك بقايا هذه النقوش على أبواب الجامع بقسنطينة، وعلى جدران مسجد سيدي عقبة ببسكرة، حيث تأكد علماء الآثار بانتمائها للعصر الحمادي، وأجاد الصناع في صناعة السفن و القوارب التي كانت تستعمل في القتال و الصيد و التجارة، واستعمل الصناع الأخشاب المتوفرة بكثرة في المناطق التابعة لدولة بني حماد، و قد أعطى هذا التنوع في الحرف الدولة الحمادية مكانة اقتصادية كبيرة في منطقة المغرب الإسلامي و أكسبها مهابة واحتراما وسط جيرانها و البلدان الأوروبية المطلة على بحر الروم، إذ أن القوة الاقتصادية التي تتمتع بها الدولة الحمادية جعل منها دولة يحسب لها ألف حساب و تجلى ذلك في سعي كثير من الدول المعاصرة لها لكسب ودها.

1- هي تسمية شائعة في منطقة كتامة اليوم، وتستعمل كثيرا في صنع الأكياس الكبيرة الحجم، المستعملة في حمل الدقيق و النخالة وغيرها

الفصل الثاني

الحرف المعتمدة على الموارد المعدنية وحرف أخرى

أولا: الحرف المعتمدة على المواد الباطنية

1-توطئة

2- حرفة استخراج المعادن

3- حرفة استخراج الطين

4- حرفة الحجارة و المحاجر

أ-الرخام

ب-الجبس

5- حرفة صناعة الحلي

6- حرفة صناعة الدبابيس

7- حرفة صناعة الفخار و البلسميات

8- حرفة صناعة المراكب و السفن

9- حرفتي الزجاج و زخرفته

10- حرفة صناعة الأدوات الفلاحية

11- حرفة صك أو ضرب النقود

ثانيا: الحرف المرتبطة بالزراعة

1- حرفة المزارعة

2- حرفة المغارسة أو الغرس

3- حرفة السقي أو الري

ثالثا: حرف أخرى

1- حرفة صناعة السروج و الأجمة

2- حرفة صناعة الشمع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

3- حرفة صناعة الآلات الموسيقية

4- حرفة التطبيب

5- حرفة الزخرفة

6- حرفة الوقاد بالمساجد

7- الحمالون

8- باعة الطعام

9- الحرفيون من أهل الذمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا: الحرف المعتمدة على المواد الباطنية

1- توطئة

اهتم المسلمون كثيرا بالمعادن وكيفية معالجتها واستخراجها من الأرض؛ وكذلك تنقيتها وغربلتها، فقد أفرد إخوان الصفا فصلا في كيفية نشوء المعادن من نحاس وحديد و زئبق ورصاص وغير ذلك.

فجاء في رسالة المعادن "واعلم أن الجواهر المعدنية ثلاثة أنواع، فمنها ما يتكون في التراب والطين، و الأرض السبخة ويتم نضجه في السنة، و أقل منها كالكبريت والأملاح، والشبوب، والزاجات(مادة صناعة الزجاج)، وما شاكلها، ومنها ما يتكون في قعر البحار وقرار المياه، ولا يتغير إلا في سنين كالذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص وما شابهها، ومنها ما لا يتم نضجه إلا في عدد السنين كالياقوت والزبرجد والعقيق وماشاكلها"[1].

فالمسلمون عرفوا أصناف المعادن وكتبوا عنها، و عرفوا طبيعة كل معدن وما يصلح لكل صنعة وحرفة؛ فالثروات المعدنية توفرت في بلاد المغرب، و شكلت بدورها المواد الأولية أساس الصناعات المعدنية المختلفة و التي سوف نتكلم عنها؛و يبين هذا أن المسلمين قد عرفوا أماكن وجود المعادن، كالذهب الذي يتكون في الجبال الرخوة، والبراري الرملية؛أما الفضة، و النحاس، والرصاص، والحديد، فأماكنهما الأحجار المختلطة مع التراب اللين، و الكبريت،والأملاح تتكون في الأراضي السبخة، وكتب الجغرافيين و الأحكام والنوازل بينت توفر المعادن ببلاد المغرب[2].

و يبدو أن نظريات علماء الإسلام -حول وجود المعادن في أنواع من الأراضي كانت صائبة إلى أبعد حد-؛ فعلى سبيل المثال وجدت مناجم الفضة، والكحل، والحديد، والمرتك، والرصاص، بمدينة مجانة، وهي التي اعتبرت مركزا معدنيا هاما في أفريقية[3]. و يبدو أن منجمي الفضة و الحديد فيها، كانا مستثمرين من قبل الحماديين، الذين جعلوا هذه المنطقة صناعية تعج

1- رسائل إخوان الصفا،91/2

2- الونشريسي، المصدر السابق،60/5،59،ابن أبي زيد القيرواني،النوادر،496/10،498.

3- البكري، المصدر السابق،106،145

بالحرفيين والاختصاصين في استخراج المعادن، وهم قد نقلوا إليها الحرفيين المهرة، المختصين في عملية الحفر، حيث يأخذون أدواتهم معهم في قفف على ظهور الدواب؛ و كان عملهم جماعيا ومقسما، عن طريق التداول في فترات زمنية متباعدة؛و لم يعثر على إشارات واضحة في المصادر، تخبرنا عن قيام ورشات أو مصانع لاستخراج معدني الفضة و الحديد.

و يدل هذا على تطور الصناعة المعدنية في دولة بني حماد، والرخاء الاقتصادي و الرفاهية الاجتماعية، إذ أن معدن الحديد يدخل في كثير من الصناعات و الحرف، كأدوات البناء، حيث تصنع منها قوالب من حديد، لإنتاج لبنات الطوب المستعملة في البناء، واستعمله الحرفي في تصنيع واجهات الأبواب والنوافذ، وفي صناعات كثيرة، منها صناعة السلاح من سيوف و رماح وخناجر و نبال، حيث قام الحرفيون بإنشاء ورشات صناعية في حواضر دولة بني حماد، منها القلعة و بجاية، ومسيلة، و طبنة[1].

2-حرفة استخراج المعادن

كانت بجانة على عهد بني حماد أهم مركز لاستخراج الحديد[2]. ويشير البكري إلى وجود عدد من المعادن فيها فيقول:"و بها معادن كثيرة منها معدن فضة للواتة،يسمى الوريسطي[3] وتعرف بمجانة المعادن"[4]. و بالفعل فأماكن وجود هذه المعادن من الحديد و النحاس و الزنك و الرصاص، أراضيها كلها صخرية، كمنطقة الأربس، حيث تحتوي على مناجم الرصاص، و جيجل حيث تحتوي على النحاس، ولواتة تضم مناجم الفضة، وهي مناطق كلها تابعة للدولة الحمادية، وكانت الأملاح تستخرج من منطقة بسكرة كقطع من أحسن و أجود الأملاح، وهي مناطق سبخة.

وما يؤكد اهتمام الحماديين باستخراج هذه الثروة المعدنية، التي تزخر بها منطقتهم ما ذكرته المصادر الجغرافية، كالإدريسي، و البكري، وصاحب كتاب الاستبصار، حول وجود معادن

1- روحي إدريس، المرجع السابق، 91/2

2- نفسه، 241

3- نفسه، 52، الوريسطي،منجم فضة، ملك لبربر لواتة

4- نفسه،145

الحديد في منطقة أرزاو[1]، وينقل لتصنيعه في بونة. و الفحم والرصاص، و الزنك الموجود حول بجاية، ومعدن اللازورد و النحاس في جيجل، وبني زندوي[2].

و الواقع أن استخراج هذه المعادن من باطن الأرض، يتطلب تقنيات و معارف خاصة، يتزود بها الحرفيون،ملمين بالخبرات الضرورية في استخراج المعادن ومعالجتها، حتى تصير مواد مصنعة، ونصف مصنعة.

ويشير الإدريسي إلى معادن الحديد التي كانت موجودة في عهده منها معادن بونة وبجاية[3]، وكانت جبال كتامة التي يستخرج منها الحديد والنحاس، و الذي يصدر جزء منه إلى إفريقية والمناطق الأخرى كما يستخرج و يصدر اللازوردي أيضا .[4]

ويذكر البكري منجمين للحديد والزئبق في الجبل الذي يقع غير بعيد من مدينة أرزاو (ارزيو)[5]. وكان الحماديون يستجلبون من إيطاليا أسلاك الحديد (كالمادة الأولية) والأبواق النحاسية والأواني المصنوعة من مختلف المعادن[6]؛كما يجلب من مدينة السوس بالمغرب الأقصى معدن النيل الدرعي[7] والنحاس المصبوغ إلى سائر المغرب وإفريقية[8].و هذا يدل على تطور الصناعة المعدنية في دولة بني حماد، و الرخاء الاقتصادي والرفاهية الاجتماعية.

وأشار النويري[9] إلى استخدام الحماديين الحديد في البناء، فبلكين بن زيري بن مناد، لما عزم على بناء مدينة أشير أمر بإحضار البنائين و النجارين من سائر المدن والجهات،وأمر بالبحث عن الصناع المهرة،وأعانه الخليفة الفاطمي"القائم بأمر الله بمجموعة من الصناع المهرة وكانت بعض

1- ارزاو، هي ارزيو الحالية قرب وهران

2- البكري، المصدر السابق، 33، 83، الإدريسي، المصدر السابق، 97

3- الإدريسي،المصدر السابق،227

4- روحي إدريس، المرجع السابق، 104/2

5- البكري،المصدر السابق،151

6- إسماعيل العربي،المرجع السابق،246

7- نسبة إلى درعة، مدينة بالمغرب الأقصى، البكري، المصدر السابق،71

8- الأزهري،المصدر السابق،117

9- شهاب الدين النويري،عالم باحث،غزير الاطلاع،وكان ذكي الفطرة حسن الشكل توفي في القاهرة ،انظر خير الدين الزركلي، الأعلام، قاموس و تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربين و المستشرقين، عبد السلام علي، (ط،5، بيروت: دار العلم للملايين، 1980) ،165/1

مدن بني حماد تعتبر أهم مراكز لإنتاج الحديد ومن ثمة تسويقه إلى أقطار عديدة فيذكر ابن حوقل الذي سبق أن أوردنا شهادته يقول:" أن الحديد كان يستخرج في كل من الأربس، وعين زياد[1] وبونة و يقول عن هذه الأخيرة:" بها معادن حديد كثيرة ويحمل منه إلى الأقطار الغزيرة الكثير"[2]. ويدل هذا على وجود صناعة الحديد ببونة (عنابة) حيث كانت تشكل أهم الحرف في المنطقة وهو ما يميز عنابة اليوم حيث تحتوي على أكبر مصنع للحديد[3].

يخبرنا القزويني عن الأماكن الصالحة لوجود المعادن، فيقول: " إن الفضة والنحاس والرصاص والحديد فلا تنشأ إلا في الأحجار المختلطة مع التراب اللين، في حين أن الكبريت يتكون في الأراضي النارية، أما الأملاح فلا تكون إلا في الأراضي السبخة[4]". وبالفعل فإن أماكن وجود هذه المعادن من الحديد و النحاس و الزنك و الرصاص، أراضيها كلها صخرية، كمنطقة جيجل، حيث تحتوي على مناجم الرصاص، و النحاس، و لواتة تضم مناجم الفضة وهي مناطق كلها تابعة للدولة الحمادية.

و إذا تتبعنا خريطة توزيع المعادن في بلاد المغرب، نجد أنها تغيرت في أقل من قرن، فابن حوقل يتكلم عن توفر الحديد في منطقة الأربس[5]. وعين زيادة[6] ، و بونة[8]، وعلى كثرته كان يصدر إلى مدن أخرى، مما يبين غنى منطقة بونة بمادة الحديد. بينما البكري الذي جاء بعده، لم يشر إلى كثرة تواجد هذه المادة بمدن المغرب، و اكتفى بالإشارة إلى وجود معدن الحديد و الزئبق في مدينة أرزاو[9].

1- ابن حوقل،المصدر السابق،86

2- نفسه، 77

3- مركب الحجار الذي يتزود بحديد الونزة، ويقوم بتصنيع صفائح الحديد المستعمل في صناعات كثيرة منها، حرفة البناء، والصناعات الفلاحية وغيرها، دشن سنة 1969

4 - القزويني، المصدر السابق،10

5- ابن حوقل، المصدر السابق،86

6- نفسه، 77

7- نفسه، 78

8- المغرب،70

فهل سكوت البكري عن ذكر هذه الأماكن، كان بسبب نضوبها،أم بسبب الخراب الذي أصابها نتيجة الغزو الهلالي الذي أكتسح المنطقة؟ أو أن الأخبار لم تصله عنها في وقتها حيث أنه لم يزر بلاد المغرب؟.

و قد أشارت المصادر منها اليعقوبي إلى وجود مناجم الفضة والكحل والحديد، و المرتك، والرصاص في أراضي دولة بني حماد، و لا سيما في مدينة مجانة.[1] حيث كانت هذه المدينة مركزا معدنيا هاما بالنسبة لجميع أنحاء إفريقية[2].

3- حرفة استخراج الطين

كان الحرفيون الحماديون يقومون بتعيين أماكن الطين، حيث تنقل منها كميات على شكل كتل إلى ورشات صناعية، أين يتم تحويلها بتفتيت تلك الكتل بواسطة هراوات بصيلية الشكل عند أحد أطرافها، ثم تنقى من كل الشوائب كالحجارة والحشيش والجذور ثم تخرج من تلك الأحواض وتوضع في أماكن مستوية على شكل أكوام[3]. مما يدل على مهارة العامل في العصر الحمادي، ووجود صناعة نشطة، وحركة تجارية واسعة. ثم تباع للصناع بأثمان معقولة من أجل استعمالها في عملية البناء، و يتم نقلها على ظهور الدواب و البغال إلى أماكن العمل، من أجل تشكيلها كلبنات و معالجتها حتى تصير مهيأة للبناء.

4- حرفة الحجارة والمحاجر

كانت حجارة المطاحن التي اشتهرت بها مجانة تصدر إلى مختلف مدن المغرب لاستعمالها في صناعة الرحى و قصور الأمراء والطبقة العليا؛ إذ يقوم العمال المهرة باستخراج أحسن الصخور في العالم.

1- اليعقوبي، المصدر السابق ، 106

2- حوريح إدريس، المرجع السابق، 81/2، 83

3- Golvin,op .cit.p216

أ-الرخام:

توفرت مادة الرخام في بلاد المغرب بكثرة، واستعمل كثير منها في البناء،كما كان تصدير كميات منه إلى مدن الأندلس[1]. و يصف صاحب كتاب الاستبصار قصر البحر بقلعة بني حماد فيقول:"وفيه من الرخام والسواري ما يقصر عنه الوصف وفيه قصور غير هذا ومبان عجيبة،وفيها آثار للأول عجيبة[2]" .وتدل الآثار التي اكتشفت في القلعة على تطور النقش على الحجارة والرخام حيث اكتسى النقش على الجص المطلي بالدهن أهمية خاصة في دولة بني حماد. ولا ريب أن هذه الحرفة كانت تستقطب الكثير من اليد العاملة المهرة، لا سيما في فن النقش على الطلاء الذي يغلف الرخام بغرض تزيين قصور الأمراء والمساجد. ولاهتمام الحماديين بهذه الحرفة، خصصوا لها الكثير من الأموال و الجهود، في سبيل تنميتها ، والرقي بها إلى مستوى عال من الإجادة و الإتقان، فجميع الآثار الحمادية تدل على تفوقهم في هذه الحرفة؛ فالعمال كانوا متخصصين وماهرين في إتقانها. ربما لأن الإقبال على توظيفهم كان متوفرا، وهم يقبضون أثمانا مرتفعة على الأعمال التي يقومون بها[3].

و يظهر أن سكوت المصادر التاريخية، التي أرخت لدولة بني حماد عن هذه الحرفة، حيث لم تقدم لنا تفاصيل عن معيشة هؤلاء الحرفيين، و أين كانوا يقطنون في خيام أو في دور قريبة من أماكن عملهم، أم أن الأمراء وكبراء القوم من الأغنياء كانوا يتكفلون بإعطائهم سكنات خاصة، تكون مأوى لأهلهم وذرا ريهم[4]؟.

للإجابة على هذه التساؤلات، نحاول إجراء مقاربة بما كان قائما في القيروان في نفس الفترة المدروسة في هذا البحث، إذ أن جو الحياة العامة للحرفيين كان متقاربا بين الدولتين المتجاورتين، من ذلك ما أورده القاضي عياض عن الفقيه "الجبنياني"[5] الذي كان مأجورا على حرفته، و بالمقابل فقد وفر له صاحب المال، مأوى، يأوي إليه في ليلته. وهذا يجعلنا نعتقد، أن الحرفيين في القلعة

1- فاطمة بلهواري،المرجع السابق،201

2- مجهول، الاستبصار،المصدر السابق،168

3- ابن حوقل، المصدر السابق،4 7

4- روجي إدريس، المرجع السابق، 113/2

5- القاضي عياض، المصدر السابق،516/2، الونشريسي، المصدر السابق، 138/8، 139

وبجاية، كان لهم نفس الأساليب في حياتهم الاجتماعية، إذ أن أغلبهم كان يأتي بأبنائه و أهله، ليتفرغ إلى العمل الذي يقوم به، أما العزاب منهم، فإنهم كانوا يكترون بيوتا و غرفا، يأوون إليها عند فراغهم من أعمالهم. و على هذا الأساس فقد وفر الحماديون تسهيلات كبيرة، تمس الحياة الاجتماعية، لهؤلاء الحرفيين، مما ساهم بقوة في استقطاب أكبر عدد منهم[1].

ب-الجبس:

هي حرفة تقوم على استخراج معدن الجص من باطن الأرض يقوم بها عمال مهرة، ويقطعون أحجارها قطعا متناسقة و متساوية، ثم يبيعونها للبناءين لاستعمالها في تزيين جدران القصور والمساجد، وازدهرت هذه الحرفة ازدهارا كبيرا في العهد الحمادي بسبب نشاط الحماديين الكبير في العمران و تشييد القصور.

يتحدث ابن خلدون عن هذه الحرف عن عملية حفر الزخارف على الجص بقوله:"يصنع من فوق الحيطان الأشكال المجسمة من الجص يخمر بالماء،ثم يرجع جسدا وفيه بقية البلل.فيشكل على التناسب تخريما بمثاقب الحديد إلى أن يبقى له رونق ورواء" [2]. وكانت متوسة[3] غنية بمعادن الجص ومنها يحمل إلى بجاية.[4] فمادة الجص قد استعملها الحرفي الحمادي على جدران القلعة وعلى نوافذ وحيطان قصورها، وأبوابها وطلاها بطلاءات مختلفة وبألوان مشهورة كالأخضر، والأحمر، والأصفر واستعمل الطلاء ذي البريق المعدني في تزيين الجص الذي كان يغطي جدران القلعة، كقصر المنار واللؤلؤة، و قصر البحر الذي كان عبارة عن مجمع ضخم من المرافق العامة، وسكنات الجنود، والقواد، وأرباب الدولة[5].

1- المقدسي، أحسن التقاسيم، 239

2- ابن خلدون، عبد الرحمن، كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر، (بيروت: دار الكتاب اللبناني: 1986)، 727/6

3- متوسة، تبعد عن بجاية اثني عشر ميلا و تقع على الساحل أو بالقرب منه وهي قرية عامرة و بها معادن الجص ومنها يحمل إلى بجاية، أنظر الإدريسي، المصدر السابق، 98

4- نفسه، 134

5- روحي إدريس، المرجع السابق، 109/2

وخلاصة القول أن الحرفي الحمادي قد عرف فن النقش على الجص و تعمق في الزخرفة عليه وفق رغباته و ما يريد تجسيده من مشاعر و أفكار على الجدران و المرافق العامة.

5- حرفة صناعة الحلي

الحلي هو كل ما ينقش من مصنوع المعدنيات كالذهب، والفضة، والنحاس، والأحجار الكريمة كالياقوت والمرجان والعقيق بمختلف أنواعه.[1] ومن أنواعه ما يعرف بالظفائر (الظفائر له شكل شعر المرأة عند ظفره). والنظم التي تزين الظفائر والتيجان المكللة، بالجواهر و العصائب، والدنانير والأقراط والشفوف التي تزين بها الأذن والقلائد التي تزين العنق،والخواتم وهي من حلي اليدين، و الأسورة التي هي من حلي الذراع وغيره[2] .

يقوم الحرفي فيها بتشكيل نماذج من الأقراص والحلي على شكل أقراط كانت تستعمل في الزينة عند المرأة في حياتها العادية، أو في المناسبات كالأعياد و الأفراح وختان الأولاد.

و كان من عادة المرأة الحمادية، أن تستعمل هذه الأنواع في حياتها اليومية، منذ أن تكون طفلة حتى تصير عجوزا. و لعل ما نشاهده اليوم من عادات و تقاليد في وسط النساء في المناطق التي كانت خاضعة للدولة الحمادية، خاصة في المسيلة، و نواحي الحضنة، أو في منطقة القبائل الكبرى كبجاية وتيزي، أو في مناطق القبائل الصغرى كجيجل و القل، وغيرها من المدن الكتامية كقسنطينة وميلة[3]؛ امتداد للتقاليد الموروثة.

و يعتقد أن هذه الأقراط اليوم تشبه تلك التي كانت سائدة في العصر الحمادي في بجاية والقلعة. فقد كان الحرفي يقوم فيها بتشكيل نماذج من الأخراص و الحلي على شكل أقراط تستعمل في أذن المرأة وقد عثر المنقبون على مجموعة منها، وهي محفوظة بمتحف سيرتا، وعددها أربعة.

وكان الحلي على عهد بني حماد في القلعة وبجاية تصنع من معادن الذهب، والفضة، والنحاس، والأحجار الكريمة كالياقوت، و المرجان، و العقيق بمختلف أنواعه . وكان الحرفي يذيب الفضة والذهب ، وتوضع في قالب مصنوع من النحاس، له أشكال مختلفة، صنع خصيصا

1ـ عمر علي زكية،**الزينة عند المرأة في العصر العباسي**،(بغداد،دار الحرية للطباعة،1976)

2ـ نفسه،104

3- البرزلي، المصدر السابق،348/3

لتحقيق رغبات الزبائن في تشكيل حليهم على ما يرغبون من أشكال ويتذوقون. مراعيا في ذلك ميول الناس[1].

يذيب الحرفي الفضة وتوضع في القالب على أشكال مختلفة منها "المعقن[2]". المصنوع من الذهب، وتستخرج عندئذ المشرشفة[3]، والروافد، والخلال، والمكياس، (رأسه يشبه حبة الثوم). ونوع يسمى "الرحى عديم الرأس ليس عليه هذه الحبة ويكون عريض الحجم.و المسياس الذي يوضع في اليدين لا يحمل حبة الثوم بل عليه نقش صغير الحجم[4].

وهناك أنواع أخرى منها الدمالج، الجاموس (الدمليجة تكون دائرية الشكل)، (العكوش، المرجان)، و العكوش، وهو أنواع أيضا منه الجواهر، و المذبح، مصنوع من الفضة ، و المصنوع من المرجان. والخلالة (أبزيم)، وهي في شكلها تشبه الكف لها حزامين متدليين منها ، ومنها السلاسل، والإبرة و على رأسها دائرة[5]. وهذا يبين أن الحرفي الحمادي قد عرف جميع الأشكال الفنية في صناعة الحلي التي تتزين بها المرأة، ووضع الحرفي بخياله الخصب كل ما يلزم من حاجيات المرأة الحمادية، مبدعا و مجددا في تحقيق ذوق، و رغبات النساء، خاصة اللواتي تنتمين للبيوتات الكبيرة من الأميرات و السيدات.و منها القطينة (توضع فوق صدر المرأة ، وتعلق على الرأس[6]).

القريعات((الخامسات)، وتوضع على جبين المرأة . الشركة تصنع من الذهب و الفضة و تغطي عنق المرأة وصدرها و جزءا من بطنها.

حلي الذراع تصنع من الذهب و الفضة وتستعمل كاملة منها، مسياس رقيق وخواتم في الأصابع والمكياس في الذراعين والخلخال والرديف في الساقين.

و يبدو أن الحرفي الحمادي، قد ساير في ذلك العصر الموضات - إن صح هذا التعبير- التي كانت سائدة في عصره، فسار في ذلك الاتجاه، و تفنن في الصناعة و في إبداع أشكال جديدة

1- بجاية، المرجع السابق، 75

2- المعقن، يوضع على الصدر، لا زال هكذا يستعمل في منطقة جيجل و ضواحيها

3- المشرشفة، حلي توضع في الأذن، تكون حافتها محززة على شكل مثلثات صغيرة

4- تدعى هكذا في منطقة كتامة، وهي نوع من أخراص، تستعمل في الأذن

5- الدمالج، مادة صنعها الجاموس، وهذا الأخير نوعية من المعادن

6- الزبن، المصدر السابق. 347/3

و مثيرة، في نفوس النساء الحماديات. و هذه الأشكال من الحلي التي وصلت إلينا، عن طريق الحفريات و المحفوظة بعضها في المتاحف- وهي شيء قليل- إنما تعبر هذه القطع، لا سيما إذا ما لاحظنا أشكالها الجميلة، ونقوشها الخلابة، عن الذوق الفني الرفيع الذي وصل إليه المجتمع الحمادي في أزهى عصور المغرب الأوسط، حضارة و عمقا، في إنتاج الحرف[1].

و تتجلى مظاهر تفوق الحرفي الحمادي، في تلك الأشكال المبدعة و الجميلة، و عكس عليها مشاعره كحبه للحياة، و عشقه للطبيعة، إذ جسد فيها أشكالا حيوانية، كالأسود من جهة، والتي ترمز للقوة، و الطيور المعلقة على هذه الجواهر، كإيحاء بحبه للحرية و الأمن، وهذا ما يعرف عن الإنسان البربري في جميع مراحله التاريخية.[2]

6- حرفة صناعة الدبابيس:

صناعة الدبابيس هي حرفة أخرى من الحرف وهي عبارة عن سيقان رشيقة زخرفتها مجدولة وأحيانا ملساء، و أطرافها مستعرضة من المحتمل أنها كانت تثبت على أجزاء من لباس النساء، أو على رؤوسهن، ويعود هذا النوع من الحلي إلى العصور القديمة، حيث عثر على نوع منه يعود إلى القرن 6ق.م[3]. فحرفة صناعة الدبابيس، حسب هذا الخبر لم تكن وليدة اختراع العهد الصنهاجي الحمادي ، بل أن جذورها امتدت إلى ما قبل دخول الإسلام(ق.6.ق.م) أي في العهد الفينيقي (بالخصوص قرطا جنة)، لكن ليس بين أيدينا مصادر تاريخية تبين أن هذه الحرفة تطورت عبر القرون حتى وصلت إلى ما هي عليه في عصرنا الحاضر[4].

وهناك من الحلي الحمادية الذي تم العثور عليه بالقلعة، منه ذلك المعروض في متحف قسنطينة، وهو يشتمل على أقراط و أبازيم وقطعة من سوار وصفيحة مثلثة وأحجار وأخرى زجاجية[5]. و كانت حالة الصانع أو الحرفي في المجتمع الحمادي جيدة في مستوى المعيشة بفضل

1- نفسه،322/3

2- Golvin ; op.cit, 234

3- IBID,261

4- G . Marçais.,et Poissot., **l'objet kairouanais ; Notes et Documents, xl, fasc. Tunis,1948 au III siècle,verrérie,cuivres**,Paris, p115

5- الخلال بقي يحافظ على نفس الاسم في منطقة كتامة اليوم يوضع في ساق المرأة.

الأرباح التي يحققها من مدا خيل هذه الحرفة، فكان الحرفي الصائغ ينظر إليه كأحد الأغنياء الـذين يتمتعون بأموال كثيرة بفضل ممارسته لهذه الحرفة، إذ أن الطبقة الغنية و المترفة في المجتمع هي الـتي تتعامل معه في اقتناء الحلي و الجواهر من قبل النساء،وصناعة الأقراط نوعان:

I- النوع الأول

الأبازيم الفضية ما تزال تصنع إلى اليوم و تسمى "**الخلخال**" تلبسها المرأة في رجلها، ويقوم الحرفي بتصميم هذه الخلاخل بنفس الكيفية التي نشاهدها في المتاحف، فهل أن هذه الحرفة انتقلت من ذلك الزمن السحيق عن طريق التوريث أبا عن جد؟ هذا ما نميـل إلى ترجيحـه، فالحرفـة استمرت تتوارث في هذه المناطق أبا عن جد، وفق التنظيم الحرفي الذي كـان سـائدا في العصـر الحمادي وهي حرفة ثمينة، اختصت بها أسر معينة، لا سيما في حواضر قسنطينة والمسيلة و بجايـة، التي لا زالت هذه الحرفة متجذرة فيها، أصالة و عمقا. و السبب في ذلك يعود إلى محافظة أهـل هذه المناطق على الثقافة الراسخة فيهم، و إلى التأثير الكبير الذي أحدثتـه الحضـارة في العهـد الحمادي، على مجموع السكان في هذه الحواضر[1].

II-النوع الثاني:

و هو كما وصفه قولفان (Golvin)، يمثله إبزيم مسطح ينتهي برأسي طائرين متقـابلين وهو مزخرف بخطوط، ونقاط، وله مشبك شبيه بمشابك الأبازيم السابقة.وما يلفت الانتباه في هذا الإبزيم هو نهايتيه اللتان اتخذتا شكل رأسي طيرين، وهذا يعني أن الحماديين قـد تـأثروا بـالفن الفاطمي خاصة لاشتهاره بهذا النوع من الزخرفة النباتية[2].

فقد عثر على نماذج منها سوار حلي تحمل رؤوس حيوانات و طيور في صبرة المنصـورية، أرجعها المختصون إلى عهد الخلفاء الفاطميين في بلاد المغرب، وخاصة على عهد الخليفة الفـاطمي المعز لدين الله الفاطمي، حيث ارتقت في عهده الصناعات و الحرف، و التفنن فيها، كمـا ذكـر القاضي النعمان، الذي قال عنه أنه كان عالما و أميرا شغوفا بالابتكارات والإبداعات الجديـدة[3].

1- Golvin, op-cit;263

2- IBID,266

3- IBiD,215

وفي هذا السياق تحدث الأستاذ جوذر عن فئة من العبيد كانت تتقن فن النقش و الزخرفة على الذهب والفضة، ويشكلون مجموعة من الحلي مزخرفة بزخرفة حيوانية أو نباتية[1].

فإذا قارنا هذه بالحلي المكتشفة في خرائب القلعة وبجاية، ومثيلتها المكتشفة في صبرة المنصورية والمهدية، فهي متشابهة تشابها كبيرا خاصة في الأشكال الحيوانية، و النباتية، وهذا يبين انتقال أصحاب الحرف و الصناعات بأعداد كبيرة، وقد أخذوا معهم لوازمهم، ومعارفهم، وصناعاتهم، ليستقروا في أحياء مدينة القلعة وبجاية.

وعلى هذا الأساس فإن الحرفي الحمادي، استغل جميع خبراته المهنية، وجعل منها منطلقا له في توليد إبداعات جديدة في حرفة صناعة الحلي.

7- حرفة صناعة الفخار و البلسميات

أ- حرفة صناعة الفخار

تصنع الفخاريات والخزفيات من مادة الطين، التي تتكون جيولوجيا في باطن الأرض من تفتت مواد صلبة كالجرانيت، بفضل المياه أو الجليد، بتأثير المدى الحراري الأعلى والأدنى وتفاعل ذلك كله عن طريق تأكسد المواد وتفحمها بواسطة ثاني أكسيد الكربون[2]. ومادة الطين تختلف من حيث مركباتها من منطقة لأخرى، وذلك حسب التكوين الجيولوجي لكل منطقة .وهو ما يجعل لونها متنوعا ومختلفا.مثل ما نلاحظ من فروق بين مادة الطين التي تؤخذ من الجبال، فلونها يكون أحمر، بينما مادة الطين التي تؤخذ من السهول يكون لونها أصفر.

والفخار هو كل عمل من طين مشوي بالنار[3].و يعرفه الباحث"محمود عبد العزيز مرزوق" بأنه ما كان مصنوعا من الطين فقط، دون أن يزجج، وهو أقدم من الخزف، الذي هو عبارة عن مزج الطين المشوي بالزجاج الذائب[4].

1- العزيز الجو دري، المصدر السابق، 175

2- لعرج عبد العزيز، المرجع السابق ،754/2

3- ابن منظور،لسان العرب،(مادة الخزف)،طبعة جديدة محققة و مشكولة شكلا كاملا ومذيلا بفهارس مفصلة،دار المعارف.

4- الفنون الزخرفية،100.

و قد كان الحرفي الحمادي يستعمل في صناعة الأواني الفخارية و الخزفية مادة الطين المستخرجة من الجبال، يكون لونها أحمر، و أصلح لهذه الصناعة، لمتانتها و صلابتها. نلمس ذلك جيدا في بقايا الشقوف الفخارية و الخزفية التي عثر عليها المنقبون. وتتمثل الصناعات الفخارية في الأواني المترلية من صحون وأطباق و أقداح و قدور وأباريق، وقلل و جرار وجباب و أزيار ومصابيح وغيرها.[1]

طريقة تشكيل الأواني الفخارية

بينت مختلف الدراسات التي قام بها علماء الآثار على الشقف الخزفية، والفخارية، في العهد الفاطمي، والزيري والحمادي من خلال الحفريات التي تمت في المنصورة، وتلك التي تمت في القلعة أنها شكلت بطريقتين[2].

أولا:التشكيل باليد

تعود عملية تشكيل الخزف باليد إلى وسائل عديدة معدنية، أو حجرية، أو خشبية تساعد الفنان في الضغط والكشط وتمليس الأبدان والأجزاء، فالنساء والرجال منذ عصور موغلة في القدم كانوا يصنعون فخارا.[3]

وبعد إتمام عملية تشكيل الأدوات الخزفية يقوم الحرفي بوضعها في مكان ظليل لا تقربه الشمس، وبعد أن تجف يعاد كيها بحذر، و زخرفتها،وقد يكتفي الفنان بطلاءات معدنية ومن ثمة إحراقها داخل الفرن المخصص لها. هذا وتتمائل" التقنيات المستعملة في إعداد الطين ومعالجة العجينة وطرق الحرق وأساليبه في مادة الخزف والقرميد و الأجر والأدوات الفخارية والزليج[4] . و قد قام الحرفي بدور كبير في إنتاج و تصنيع الأواني الفخارية، في القلعة و بجاية، بطريقة فنية، أبهرت الدارسين المعاصرين، وهذه الأواني الفخارية، بلغت مستوى فنيا رفيعا و إتقانا في صنعها، وهذا يبين الدور الكبير الذي قام به الحرفي الحمادي، في تطوير هذه الحرفة، (صناعة

1- عقاب محمد الطيب، **الأواني الفخارية الإسلامية، دراسة تاريخية شبه مقارنة**،(الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية،1984)، 75

2- GOLVIN, ,op-cit,192

3- لعرج عبد العزيز،المرجع السابق،2/ 763

4- نفسه،2/754

الفخاريات) وما قدمه للمجتمع الحمادي في تنميته الحضارية الشاملة، إذ أن هذه الأواني الفخارية، هي جزء من حياته اليومية، مما يخبرنا عن المساهمة الكبيرة التي قدمها الحرفي الحمادي في تحسين المستوى المعيشي للناس، ورفع ذوقهم الحضاري، وتحقيق الرفاهية الاجتماعية لعامة الناس، فضلا عن الخاصة و أرباب الدولة.

ثانيا: التشكيل بالدولاب

تستعمل هذه الطريقة غالبا في إنتاج كمية كبيرة من الخزف، وهي من خصائص المصانع والورشات التي تقوم بإنتاج الأواني الفخارية وغيرها وتسويقها من ثمة في الأسواق الداخلية للدولة، أو في الأسواق الخارجية، خاصة الدول المجاورة لها، أو الدول الأوربية التي كانت الدولة الحمادية على علاقة تجارية معها كمدينتي بيزا وجنوة والبندقية يلمح ذلك خصوصا في الوثائق، والرسائل التي كانت متبادلة بين ملك جنوة و الناصر بن علناس أو المنصور والبابا غرغوار السابع[1]، بابا روما.ويخدم تشكيل الخزف بالدولاب والفخار عدة أهداف، فهو يسهل العمل ويسرع فيه ويمتاز بالدقة والجمال، ومن جهة أخرى "فإن قدرة الدولاب لا تستوعب جميع الأدوات"[2]. و هذا ما يوضح أن الحرفي استعمل الدولاب كتقنية صناعية، لإنتاج أكبر عدد من الأواني الخزفية والفخارية، كالأباريق و البلسميات، وغيرها من الأدوات الفخارية الصغيرة الحجم والمتوسطة، وقد وفرت عليه هذه التقنية الجهد الكبير الذي كان يقضيه في التشكيل باليد، إلا أن المشكلة التي اعترضت الحرفي الحمادي في هذا المجال، أن الدواليب لم تستطع إنشاء الأواني الفخارية الكبيرة الحجم، كالأزيار، و الجرار، و القلال، والتي بقيت حكرا على الحرفي الذي يستعمل اليد[3].

و لعل هذا ما يفسر أن المنتجات الحمادية في الفخاريات و الخزفيات كانت عظيمة، لا سيما في الأواني و الأدوات الصغيرة و المتوسطة الحجم.

1- يعتبر البابا غريغوار السابع الذي ولد في توسكان، (1020/1085م)، واحدا من أعظم البابوات في تاريخ الكنيسة، وقد تولى البابوية خلال الفترة بين (1073/1085)، واشتهر خصوصا بنضاله ضد الإمبراطور هنري الرابع وبعدد من الإجراءات التي تتصل بالنظام الكليري، مثل فرض العزوبة على القساوسة، انظر،إسماعيل العربي، المرجع السابق، 176

2ـ لعرج عبد العزيز، المرجع السابق،763/2

3- حوريحي إدريس، مجلة أرابيكا، 214، 215

والحرفي الحمادي قد أبدع في صناعة الفخار و الخزف، ودفع بهذه الصناعة قدما خاصة في مدينة القلعة وبجاية. تشهد على ذلك القطع التي اكتشفت في القلعة و بجاية ويحتفظ بها في متاحف الجزائر.

وكانت القلعة وبجابة الحماديتين قد عرفتا تقنية الزخرفة بالحز[1]. في جسم الإناء من الخارج وتقنية الصقل[2]، وتقنية التلوين[3]. وتفنن الفخارون الحماديون في إبداع جملة من الأشكال الفخارية المتنوعة والمتعددة منها:القلال[4] و الجرار[5].

وقد أبدع الحرفي الحمادي في صنع الأزيار وأتقن صنعتها، بدليل أن نماذج منها لا زالـــت إلى يومنا، وهذا يبين صلابة المادة التي صنعت منها، وبلوغ الحرفي الحمادي، مستويات عليا في إتقـــان صناعة الفخار، منها القلال و الجرار، و الأزيار[6].

إذ تبلغ أهميتها في حفظ الحبوب و الزيوت و المواد الغذائية الأخرى، التي يحتاجها الناس لمعيشتهم أطول مدة ممكنة، ويبدو أن هذه الأدوات الفخارية لأهميتها و دورها الكبير في الحياة الاجتماعية للسكان في القلعة و بجاية، أنها كانت تخبأ في مطامير تحت الأرض، لحفظها من الكسر و الاندثار، وهذا ما يفسر لنا أن استمرارها إلى يومنا هذا، يدل على أن هذه الحرفة متجذرة منذ

1ـــ الحز،تقنية تستعمل تحت الطلاء،وجدت في قطع عديدة من خزف المنصورة، يقوم الحرفي بإحداث رسوم في قواعد الأواني أو في الرقاب أو الأبدان من الداخل أو الخارج وهذه التقنية لا تتطلب إلا آلة صلبة واحدة من الخشب،انظر لعرج عبد العزيز،**الموجع نفسه**،802/2

2- بفضل هذه التقنية يكتسب الإناء الفخاري أو الخزفي سطحا ناعما خاليا من أي تقوس أو انحناء تشوه صورته كما تجعله منسجم الجدران و الزخارف،أنظر،لعرج عبد العزيز، المرجع السابق،780/2

3- تتم هذه التقنية بإحدى الوسائل إما بالغمس أو غطس الإناء في حوض مملوء بالألوان المراد استعمالها أو باستعمال فرشاة ناعمة أو بوسائل أخرى كالإسفنج أو الصوف أو القطن،أنظر ، نفسه، 782/2

4- تمتاز **القلال** الحمادية بصغر حجمها و ضخامة الرقاب التي تفصل بينهما مصفاة، بعضها ذات عرى مستديرة تمام الاستدارة، ثبتت فوق كتفها و بدون أسفل الرقبة يعلوها نتوء مقبب، في حين الجزء من العروة الموالي لبدن الرقبة مخرم، ووجدت قلال حمادية أخرى لها عرى كبيرة مثبتة بين أسفل بدنها و أسفل حافة الرقبة، أنظر، عقاب محمد الطيب، **الأواني الفخارية الإسلامية في العصور الوسطى**، إشراف، رشيد بورويبة، (الجزائر: جامعة ابن عكنون، السنة الدراسية، 1978، 1979)،70

5- **الجرار** يحتفظ متحف الآثار بالجزائر العاصمة على جرة كبيرة تعود إلى العصر الحمادي وتتصف بالفم الواسع و البطن الكبير و لها عروتان، زخرفت هذه الجرة بأنماط تشبه نظيرتها الغرناطية، عثر عليها في قلعة بني حماد، **نفسه**، 72

6- روحي إدريس، المرجع السابق، 2/ 435

القدم، و ممتدة في جذورها الثقافية للأمة الجزائرية اليوم، وهذا ما نلاحظه في استمرار صنع هذه الأواني و الفخاريات بنفس الهيئة الشكل الذي كانت عليه في عصر الدولة الحمادية[1].

ب- حرفة البلسميات:

وهي تشبه ما نسميه اليوم (البوقال)، مصنوعة من الطين الأحمر، ومزخرفة بزخارف تحمل خطوطا سوداء على عنقها أو على جنبيها، وهذه البلسميات كانت تستعمل كثيرا في حفظ الماء وتبريده، خاصة في فصل الصيف، أما البلسميات المصنوعة من الزجاج وهي عادة صغيرة الحجم، فكانت تستعمل لحفظ العطر خاصة، واستعمالها في البيوت من قبل الرجال و النساء، خاصة حديثي العهد بالزواج. [2]

والبلسميات الحمادية تمتاز بقاعدة مقعرة، وبدن منفوخ يضيق في الأعلى، وعنق طويل وضيق، وهو معقوف في النهاية إلى الخارج، تشبه هذه، البلسميات الزيرية.

8- حرفة صناعة المراكب و السفن

وجدت صناعة السفن في إفريقية و بلاد المغرب ابتداء من ولاية حسان بن النعمان (74-85هـ/ 683، 704م)، حيث انتقل من مصر إلى بلاد مدينة تونس ألف قبطي بأهلهم وولدهم، من أجل إقامة دور صناعة للسفن بإفريقية.[3] وانتقلت بعد ذلك هذه الصناعة إلى سائر المدن الساحلية الواقعة على بحر الروم حتى طنجة غربا.

ونظرا لتوفر المواد الأولية من الأخشاب بالمغرب الأوسط، خاصة في جبال الرحمة ببجاية. وغابات الزان في بونة، فقد سهلت الأمر بقيام صناعة المراكب و السفن في دور لها تقع بالقرب من موانئ المدن الساحلية. و أشار الإدريسي لقيام هذه الصناعة ببجاية بقوله توجد " دار صناعة لإنشاء الأساطيل للقتال و لإنشاء السفن الحمالة، و المراكب النقالة، لأن الخشب في جبالها

1- الإدريسي، المصدر السابق، 91، كتاب المغرب العربي، 121

2- نفسه، 191/2

3- البكري، المصدر السابق، 380

وأوديتها كثير موجود، ويجلب إليها من أقاليمها الزفت البالغ الجودة و القطران، و بها معادن الحديد الطيب ".[1]

فكل المواد الأساسية التي تدخل في صناعة السفن، متوفرة بإقليم بجاية من خشب جيد وزفت وقطران، وحديد، أي أن بجاية حققت الاكتفاء الذاتي من المواد الأولية التي تدخل في صناعة المراكب والسفن.

و يبدو أن الحرفيين، قد أبدعوا في إيجاد أشكال و أصناف مختلفة للسفن و المراكب، وأعطوا لها أسماء، تميز السفن الحربية عن السفن التجارية، ومراكب الصيد و الزوارق، كالسفن الحمالة، التي تحمل البضائع و السلع. و المراكب النقالة، وهي التي تنقل الأشخاص و الجند.

ويكفي أن مدينة بجاية كانت تملك بباب البحر ذي الأقواس القوطية، مدرجا ضخما لرسو السفن والمراكب، يشبه في شكله و ضخامته، مدرج المهدية بإفريقية.[2] و يبدو أن الحماديين في بجاية، قد اتبعوا نفس النظم البحرية، التي أوجدها الفاطميون بالمهدية، فهم قد أنشأوا مصلحة تعرف بخزائن البحر[3]، وظيفتها النظر في متطلبات هذه الصناعة، والسهر على تلبية كل ما ينقص من المواد الأولية والأموال، والحرفيين المتخصصين في هذه الصناعة. فغالبا ما كان يتحتم الأمر، في جلب الحرفيين المهرة من أصقاع بعيدة.[4] وهذا قد ينطبق على بجاية الحمادية؟

و الواقع أن صناعة السفن تتطلب تقنيات خاصة و مهارات عالية، يكلف الخزان جهدا كبيرا في ترتيب أمور هذه الصناعة. و يبدو أن مدينة بجاية الناصرية، قد تطورت فيها صناعة السفن التجارية الكبيرة و الاعتناء بها، بينما وزعت دور صناعات المراكب على مدن ساحلية أخرى، أقل شأنا من بجاية. كجزائر بني مزغنة، حيث كانت تشحن منها السمن والعسل، إلى سائر الآفاق والأقطار.[5]

1- الإدريسي، المصدر السابق، 90،91، كتاب المغرب العربي،116

2- روحي إدريس، المرجع السابق، 109/2

3- العزيز الجوذري، المصدر السابق، 116، 102

4- نفسه، 87

5- الإدريسي، المصدر السابق، 9، روحي إدريس، المرجع السابق، 114/2

إن الفضل يعود إلى الحرفيين الحماديين في مزج المهارات الفنية الأندلسية، بالمهارات الفاطمية والشرقية، في بناء وصناعة السفن الحربية، و التجارية، والقوارب، لا سيما الحرفيون الأندلسيون الذين كانوا باستمرار يتزلون بمراكبهم التجارية في موانئ المدن الساحلية للدولة الفاطمية، كمدينتي تنس ووهران، وجزائر بني مزغنة و بجاية و بونة و شرشال، وهم كما أخبرتنا المصادر التاريخية[1] كانوا من رواد، تطوير هذه الحرفة في بلاد المغرب الأوسط على عهد بني حماد. ويبدو أن ورشات الصناعة كانت تقام قرب البحار و الأودية لاسيما على ساحل البحر في بجاية وبونة و هما المنطقتان المشهورتان بإنتاج السفن في العهد الحمادي وهذا في اعتقادي راجع للنظرة الاستراتيجية للسلطة الحمادية في اقتصاد المال و الوقت، إذ لا يعقل أن تجعل ورشات الصناعة في أماكن بعيدة عن البحر لأن ذلك يتطلب الكثير من الأموال والجهد و النقل. وكانت حالة الحرفيين في هذا العهد تبعث على الرضا نظرا لتوفر الوسائل اللازمة من أجل قيام هذه الصناعة من مادة أولية متوفرة في هذه المناطق، نظرا لتواجد الأشجار بكثافة حول منطقة بجاية و بونة، مما سهل العمل على الحرفيين و السبب الثاني المساعدات الكبيرة التي كان يتلقاها الحرفيون من الدولة الحمادية الساهرة على راحة الحرفيين من توفير مساكن خاصة لهم في الأحياء القريبة من دور الصناعة، والأجر المرتفع الذي كان يتقاضاه الحرفي سواء من أرباب الصناعة أو من الدولة مباشرة لا سيما للحرفيين القائمين على صناعة السفن الحربية و التجارية الضخمة، نظرا لحاجة الدولة لهذه الوسائل الضرورية للقيام بغزوات بحرية ضرورية لصد الأعداء المتربصين بها ، أو لنقل البضائع والسلع لدول أخرى كانت لها علاقات تجارية كبيرة كجنوة و بيزا و البندقية من جهة، وبلاد مصر و الأندلس من جهة أخرى.

9- حرفي الزجاج وزخرفته

يبدو أن صناعة الزجاج عرفت توسعا ابتداء من القرن الرابع الهجري بمدن المغرب، فذكرت كتب التراجم والطبقات ظهور مسميات لأحياء سكنية بمدن المغرب، تعرف بحي

1- المقدسي، المصدر السابق، 246

الزجاجين[1] وكانت الصنوج[2] التي استعملها الفاطميون[3]، والزيريون والحماديون مصنوعة من مادة الزجاج[4].هذا وراجت في مدن بلاد المغرب، صناعة المشكوات[5] والقناديل وقنينات العطور والأدوية من مادة الزجاج[6].

وعرف الزيريون و الحماديون صناعة هذه المادة، فقد أثبتت الحفريات وجود أفران خاصة بالزجاج، في قلعة بني حماد، وهذا يعني توفر المادة الأولية في السهل المجاور للقلعة وبالضبط في منطقة طبنة " بريكة" كما تسمى اليوم، حيث توجد كميات من السليكيت، و المواد الأولية الأساسية الأخرى التي تدخل في تركيب مادة الزجاج[7]، وتم اكتشاف فرن كان مستعملا لصناعة الزجاج بقلعة بني حماد، إلى جانب قطع زجاجية عبارة عن شقوق متنوعة و متعددة منها الأعناق والمصبات و المقابض و غيرها[8].

و استعمل الزجاج في صنع الكثير من المنتجات المترلية و غيرها كالقوارير و الزهريات والأكواب والمصابيح، واستعمله الزيريون في إنتاج أواني مختلفة الأغراض و الأشكال و الزخارف، من القنيات والكؤوس و القوارير و الأقداح والبلسميات و المصابيح[9] . و أما ما وصل إلينا من العهد الحمادي فلا يتعدى قواعد و أعناق ومقابض[10].واعتبر الونشريسي أن صناعة الزجاج كانت تنتج انطلاقا من نوى التمر، الذي كان يستهلك من قبل الحرفيين[11].

1- أبو العرب،محمد تميم القيرواني،**طبقات علماء إفريقية و المغرب**، تقديم وتحقيق علي الشابي، نعيم حسن، (ط،2،تونس:الدار التونسية،1985)،158

2- الصنوج، عبارات لوزن الدراهم و الدنانير، ومادتها من الزجاج، انظر، المقدسي، **المصدر السابق**، 158

3- المقدسي،**المصدر السابق**،240

4- روحي إدريس، **المرجع السابق**،440

5- المشكوات، عبارة عن مصابيح كانت توقد بواسطة الزيت، انظر، حسن حسني عبد الوهاب، **المرجع السابق**، 370/3، 371

6- حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق ،370/3،371

7- المهدي عينيات، **فن صناعة الزجاج الملون و المعشق باستعمال رقائق النحاس الأحمر**، (القاهرة: مكتبة ابن سينا)، 7

8- Golvin, **op, cit**,235

9- Golvin,**op,cit**,373

10- **Ibid**,238

11- الونشريسي، المصدر السابق، 440/8

وهذا يعني أن الحرفي الحمادي قد استعمل نفس التقنيات العلمية في إنتاج الزجاج مثل ما نعرفها اليوم.وتعرف على العناصر الأولية من المواد التي تدخل في صناعة الزجاج، ويبدو أن صناعة الزجاج و تركيبه في القلعة وبجاية، قد بلغت مستوى من الجودة يشبه مثيلتها في مدن إفريقية الزيرية فقد عثر في موقع أثري بصبرة المنصورة على مجموعة من الأواني المصنوعة من الزجاج المنقوش، هي عبارة عن قوارير وعطور وأقداح تشبه تلك التي عثر عليها بالديار المصرية[1]. وهذا يعني توسع هذه الحرفة في دول العالم الإسلامي مشرقا و مغربا، و اهتدوا إلى تبادل الخبرات الفنية لا سيما في مجال صناعة الزجاج و تشكيله، ويستنتج من هذا أن العلاقات الاقتصادية كانت قائمة بين دول المغرب و مصر، في العهد الحمادي، رغم التوترات السياسية التي أحدثها الغزو الهلالي للمنطقة. فالحرفيون كانوا يشتغلون بكل حرية و يتنقلون بين مناطق و مدن المغرب و مصر.

كما عثر في القلعة ، على قطعة من الكؤوس، مكونة من قاعدة مقعرة، وجزء من البدن، وتشبه كثيرا الكؤوس الزيرية المكتشفة في صبرة المنصورة.[2]

وهذا ما يبين أن هذه الحرفة قد انتقلت من القيروان وصبرة و المهدية، باتجاه القلعة و بجاية فيما بعد. وربما أن الحماديين قد استقدموا صناعها وبعد ذلك قاموا بإنشاء صناعة حرفية في القلعة و بجاية عن طريق تعليم الصبيان[3].

10- حرفة صناعة الأدوات الفلاحية:

الفلاحة هي أساس الحياة في المجتمع المغربي منذ القديم، فقد كانت الزراعة هي عماد الحياة الاقتصادية، والمصدر الرئيسي للرزق في العصر الوسيط في بلاد المغرب، واتخذها كحرفة الكثير من الناس.خاصة وأن الظروف المناخية قد ساعدتهم في ذلك إلى جانب وفرة السهول والأمطار في هذه المنطقة، حيث شجعت الفلاحين على الزراعة والتوسع فيها.[4]

1- روحي إدريس، المرجع السابق،439/2

2- Golvin,op,cit ,243

3- Ibid,215

4- فاطمة بلهواري،المرجع السابق،60

وتنظيمها[1] وكانت التنظيمات الفلاحية في بلاد المغرب متشابهة، فقد أصطلح كتاب النوازل على مفاهيم خاصة بالصناعة الفلاحية ونحوها[2]. و منهما ترجم الحرفي الحمادي صناعة الأدوات الفلاحية إذ وفرت موارد منطقة الحماديين المعدنية و الخشبية المادة الأولية لهذه الصناعة،منها:

1- المحراث:

يصنعه الحدادون من الحديد ، وله ذراعان من الخشب في ورشات الحدادة، ويحرث به بالتداول بين الشريطين.و قد أبدع في صنعه الحرفي الحمادي، كما وفر كمية هامة منه نظرا لضرورته.

2- الكراشة:

(تسمى الكركارة) تصنع من الحديد، وتربط إلى البغل أو الثور، ولها أسنان تعمل على جعل التربة صالحة للزرع.

3- المنجل:

يصنع من الحديد، له ذراع خشبية، يحصد به القمح و الشعير.

4- الشريط:

و يستعمل لتخطيط التربة، و يصنع من الحديد، ويربط إلى البغل، أو الثور.

5-المذراة:

تصنع من الحديد، ويكون ذراعها من الخشب، تستعمل في الدرس و تصفية المحصول[3]. وهذه الأدوات استعملت في العمل الزراعي و الفلاحي، و ساهمت بقسط وافر في عملية تطوير الزراعة على عهد بني حماد.

1- ومنذ بداية القرن الثالث الهجري /الثامن الميلادي والتاسع الميلادي،تشكلت النظم لاستصلاح أراضي المغرب وفق منظومة الفقه المالكي، متمثلة في المدونة الكبرى للإمام"مالك بن انس" برواية الفقيه المغربي"سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي". البرزلي،المصدر السابق،370/3 المدونة الكبرى،المصدر السابق، 1908/11،1951

2 ــ الونشريسي، المصدر السابق، 8/ 5، 37، 41، 44، البرزلي، المصدر السابق، 7/ 371

3 - حناوي محمد، الأدوات الفلاحية الأندلسية من خلال المصادر " كتب الفلاحة نموذجا، مجلة الاجتهاد، العدد، 34، 35، السنة التاسعة، 1997، بيروت، 103

11- حرفة صك أو ضرب النقود

كانت النقود المستعملة في بلاد المغرب الأوسط، على العهد الحمادي، هي نفسها المتداولة بإفريقية الزيرية، وهي عملات فاطمية. مصنوعة من الذهب و هي الدنانير، و مصنوعة من الفضة و هي الدراهم، أما الدراهم فيتم صرفها بأجزاء فقد وجد في بلاد المغرب نصف درهم وهو القيراط[1] ، وربع درهم، وثمن الدرهم، و نصف ثمن الدرهم (و يسمى الخرنوبة أو الخرروبة)[2].

و ذكر ابن خلدون أن الحماديين استعملوا العملة الفاطمية ماعدا يحي بن العزيز، وكانت العملة الفاطمية نوعين عملة ذهبية تشتمل على الدينار أو المثقال و نصف الدينار و ربع الدينار وثمن الدينار، وعملة فضية تحتوي على الدرهم و نصف الدرهم أو القيراط و ربع الدرهم، وثمن الدرهم و الخروبة (سبق ذكرها)، و هي جزء من ستة عشر من الدرهم.و يذكر البكري أن في مدينة تنس كانت رائجة الدراهم و الدنانير.

أما في بلاد المغرب الأوسط في عهد بني حماد، كانت رائجة بشكل كبير الدراهم والقيراط وربع الدرهم.

رغم الاستقلال التام للحماديين و الزيريين عن الدولة الفاطمية بمصر، إلا أنهما حافظا على العرف الذي كان عليه أباؤهم، أثناء أو خلال الدعوة الفاطمية، فحافظوا على العملة الفاطمية متداولة بين الناس، إلا أنها أصبحت تطبع و تصك في دور مغربية ليس لها علاقة بدور صك العملة بمصر الفاطمية.[3]وفي هذا الصدد تقول الباحثة فاطمة الهواري: " و أتضح بعد دراسة الدينار الزيري في ظل التبعية الفاطمية، أنها لم تكن لها شخصية محلية مستقلة بل كانت نسخة لنظام السكة الفاطمية الشيعية بكل خصائصها، بحيث يصعب التمييز بينها وبين تلك المضروبة في مصر إلا باسم

1- نصف درهم= قيراط، ربع، ثمن، نصف الثمن= خروبة، إن كان المثقال يساوي 8 دراهم و الدرهم يساوي قيراطين فإن المثقال يساوي 16 قيراطا، انظر، المقدسي، المصدر السابق،52، 53، روحي إدريس، المرجع السابق، 257//2

2- الخروبة، جمع خراريب، و حبة الخروب يوزن بها الذهب وللإصطلاح عند الصاغة، و أطلقت على العملة من النحاس في بلاد المغرب، انظر، البرزلي، المصدر السابق،302/3

3- روحي إدريس، المرجع السابق، 260//2

مكان الضرب المسجل عليها وانفردت بالأشكال الهندسية الجميلة، مما يوحي بعلو الروح الفنية النابعة من مستوى حضاري عال.[1]

لعل إحدى المميزات التي تختلف فيها النقود على سائر المصنوعات المعدنية أنها تكون دائما مزخرفة سواء بعناصر كتابية أو غيرها، وذلك لأن زخارفها وما تحمله من نصوص لها دور وظيفي أكبر، والتقنيات التي استعملت في زخرفة وكتابة النصوص على النقود هي نفسها تقنيات الصك، ذلك لأن القوالب[2] التي تتشكل عليها النقود و تكون القوالب المصبوبة هي أسرع إنتاجا من القوالب الأولى، و تعتمد أساسا على صنع القوالب والمشتقة من قالب أصلي محفور، ويتم طرق السبيكة المعلومة العيار بالمطرقة حتى تصير صفائح، وهي على مرحلتين، الأولى يتم نقش القالب الأم ويأخذ عنه قوالب عديدة وهي تستعمل للضرب، أما المرحلة الثانية فتوضع القطع المدورة في قدر من الفخار الأحمر الذي يحتوي على ملح مدقوق ثم تخرج القطع من الذهب وتغسل بالماء والرمل الناعم[3].

و هذا يدل على مدى المجهودات الكبيرة التي بذلها **الحرفي الفنان الحمادي** في إتقان صناعة النقود، إذ أن هذه المراحل المعقدة من الدقة في صناعة النقود، تتطلب مهارات خاصة و دقيقة، يبدو أن الحرفي الحمادي قد تدرب عليها منذ الصغر، و أبدع في صناعة النقود، و ضربها على السكة، والظاهر أن صناعة النقود الحمادية، كان يتم محليا، بدليل توفر دور صك هذه النقود،وصناعتها في القلعة و بجاية[4]؛لاسيما في مرحلة تطور الدولة و ازدهارها الاقتصادي و هو ما يدعم استقلالها ويبرز كيانها كدولة لها رسومات، و إشارات الملك، و يجعلها كدولة لها السيادة الكاملة في إبرام الصفقات التجارية، و الاقتصادية مع الدول الأخرى، وفق ما تراه من مصلحتها، و يحقق لها الفوائد الكبيرة في تنمية إقتصادها القومي، ويعزز رصيدها المالي و التجاري.

1- فاطمة بلهواري، المرجع السابق، 257

2- بن قربة صالح، المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب ،1986)،125

3- فهمي، عبد الرحمن، المجلة التاريخية المغربية، العدد، 47، 48، 41

4-روجي إدريس، المرجع السابق، 152/2

ثانيا: الحرف المرتبطة بالزراعة

1- حرفة المزارعة

يعرف نظام المزارعة باسم "الخماسة"، يقوم صاحب الأرض أو المـلاك بتـوفير الماشـية (الثيران و البغال ونحوهما)، ويحق له الحصول على أربعة أخماس المنتوج والخمس البـاقي يـذهب للعامل المستأجر، وفي هذا الصدد قدم الدباغ معلومة قيمة عن الفتى الذي استأجره أبو علي حسن بن خلدون البلوي. في سنة (395هـ/1005م) بزراعة حقل حيث اشترى ثـورين، وزوده ببـذور القمح و الشعير، على أن يتحصل على5/4 المحصول و الخمس الباقي للعامل الفتى[1].

و تطرقت مصادر الفقه من أحكام ونوازل[2]، لمسألة العقود التي كانت تتم بـين أربـاب الأراضي والمزارعين،وهذه العقود حددت العلاقات من شراكة ووكالة وكـراء بـين أصـحاب الأراضي والمزارعين الذين يشتغلون فيها[3]. وانتشرت الشراكة في العمل المغربي الفلاحي كظـاهرة سيطرت على العمل الفلاحي طوال القرن الرابع و الخامس الهجريين إذ يقوم رب الأرض بتقـديم الزريعة والدواب ووسائل العمل الأخرى،في حين يقدم المزارع خدمته للأرض،والتي تبدأ عادة منذ انطلاق موسم الحرث والبذر، إلى غاية حصاد المحصول.[4]

و يلاحظ على الفتاوى التي ساقها الونشريسي:" أن وقعت هذه المسألة قديما وحـديثا"[5]، عن الشراكة بالخمس والتي ميزت النظام الفلاحي المغربي لعدة قرون. أنها انتشرت في ربوع المغرب وظل متواصلا، و لم يختف إلا بعد استقلال دوله وتطبيق ،مبادئ الاقتصاد الاشتراكي من جهـة، ومبادئ الليبرالية الاقتصادية من جهة أخرى. و إلى جانب وجود ظاهرة الخماسة عند الحمـاديين، عرف أيضا نوع آخر من الشراكة في الاستغلال الزراعي، وهو نظام المناصفة، حيث يحصـل فيـه المزارع على نصف المحصول، و كان الجانبان يقدمان البذور و الأدوات الزراعية بالتساوي. وغالبا

1ـ الدباغ، المرجع السابق، 152/3

2ـ البرزلي،المصدر السابق،415/3،409،407

3-أبو زيد القيرواني، النوادر و الزيادات، 375/7، 376، القاضي عياض، المصدر السابق، 503/4، البرزلي، المصدر السابق، 556/3

4- ابن أبي زيد القيرواني، المصدر السابق، 158/7،150

5- المعيار، 149/8

ما كان هذا النظام، يخص الفلاحين الصغار، نظرا لنقص إمكانياتهم في شراء وسائل الإنتاج، كشفت فيه النوازل و الأحكام عند فقهاء الدولة الحمادية[1]. و جاءت إشارة في كتب النوازل، عن الأسلوب المتبع في حرفة المزارعة عند الحماديين، فقد سئل " اللخمي"، عن رجل أكرى ضيعة لزراعة الحناء و قبض الثمن، ثم بدا له دفع ثمن الكراء من ثمن الحناء، على أن ينفق البقية على نفسه و عياله، هل يجوز أم لا ؟[2].

من هذا يستنتج أن الشروط و الالتزامات التي جمعت ما بين المزارع المكتري و صاحب الأرض خصصت لطبيعة نوع التربة و الزرع أو الغرس[3]، و قد شاعت المناوبة عند المزارعين، حيث يقوم المزارع بزرع نصف الأرض و يترك الباقي بورا، للعام الذي يليه،وقد ذكر الونشريسي في ذلك أن صاحب الأرض، كان يمنع من زراعة الأرض إلا أن تكون عالة عند أهلها[4].

أما انتشار ظاهرة الأجرة على العمل الزراعي، فهناك إشارات في المصادر التي تتناول هذه الحقبة بالدراسة. فالقاضي عياض يذكر أن أحد الفقهاء،قد استأجر نفسه في جمع الزيتون. و هناك صورة أخرى[5] للمزارعة تتمثل في أن يقوم المزارع بكراء قطعة أرضية بعقد حدده فقهاء المالكية بشروط خاصة، أهمها أن يتم الكراء بجزء من محصول الأرض. فهذه العبارة الأخيرة توحي لنا أن نظام الفلاحة بالمغرب كان يقوم على الكراء بأسلوب المزارعة بجزء مسمى مما يخرج من الأراضي الزراعية[6]. و هذا يبين تنوع نظام المزارعة في العهد الحمادي، بتنوع البيئات و الأعراف التي تحكم النظام الزراعي في العهد الحمادي، و ربما أن أسلوب الكراء بجزء من محصول الأرض، يكون لقلة النقود المتداولة بين الفلاحين و لذلك طبق هذا النظام من أجل الحصول على تحصيل عائدة الأرض المكرية، و في رأي أن هذا الأسلوب وجد، وشجع عليه الأمراء الحماديون من أجل بعث همة الفلاحين على الجد في حرث الأرض و في هذا يكون الإنتاج غزيرا مما يعود بالفائدة على المجتمع

1- الونشريسي، المعيار، 8/ 138، 158

2- روحي إدريس، المرجع السابق، 234/2

3- نفسه، 2/ 234

4- الونشريسي، المصدر السابق، 174/8

5- القاضي عياض، المصدر السابق،503/4

6- ابن حزم،المحلى بالآثار، تحقيق عبد الغفار، سليمان البداوي، (لبنان/ بيروت: دار الكتب العلمية د.ت)120/8

الحمادي بتوفر المنتجات الزراعية، ومن ثمة المساهمة في رخص الأسعار ورفع مستوى معيشة السكان.

2- حرفة المغارسة أو الغرس

هي زراعة الأشجار المثمرة، حيث يقوم العمال بتقاضي أجورهم عينا من المحاصيل.والعمل بالمغارسة إذ يقوم صاحب الأرض بإعطاء العامل أرضه يغرسها صنفا من الشجر و أصنافا من الثمار.مقابل أن يعطيه نصف الغلة أو ثلثها، أو الثلثين، أو جزء مسمى منها.[1] و شكلت المحاصيل الزراعية نسبة كبيرة في صادرات الدولة الحمادية، إذ شهدت الكثير من مدنها وفرة في الإنتاج الزراعي و كثيرا ما كان يزيد على الحاجة. فكانت مدينة بونة تنتج القمح و الشعير يزيد على الحاجة فتصدره إلى بقية المدن التي لا تتوفر فيها هذه المحاصيل.[2]

وقد وضع الفقهاء نظاما صارما لهذه الحرفة لما رأوه من خروج كثير من العمال عما أباحه لهم الشرع فلا يشططون في الأرباح فيثقلون على الناس، كارتفاع أسعار الفواكه في الأسواق مما كان يسبب أزمات غذائية حادة خاصة في المدن و الحواضر الكبرى[3].

وفي هذا المجال يقول البرزلي في استفاء شروط المغارسة ما يلي" يعقد في المغارسة تسمية المتغارسين والأرض وتحديدها وأنها بيضاء غير معشبة متأتية الغراسة،وتسمية ما يغرس فيها وجنسه وحفرها ومدتها إلى الإطعام أو إلى مدة معلومة"[4]. وهذه الشروط التي قدمها البرزلي تستوفي جميع المفاهيم الاقتصادية التي نعرفها اليوم بما تضمنته من وثيقة العقد المكتوبة وأسماء المتعاقدين أي صاحب الأرض و الأجير ، وطبيعة الأرض المغروسة وما تصلح لغرسها من الأشجار المثمرة ومدة العقد، وتسمية ما يغرس فيها.و اهتم الغراسون بغرس المناطق الخصبة التي تتوفر على إمكانيات

1ـ البرزلي، المصدر السابق،383/3

2- فاطمة بلهواري، المرجع السابق، 313

3- الأدريسي، المصدر السابق، 99، 100، كتاب المغرب العربي، 118

4ـ فاطمة بلهواري، المرجع السابق،72

كبيرة لإنتاج الفواكه و الثمار منها، وادي برشك[1] فكانت تزرع الفواكه والثمار بهذه الجهة لما توفرت عليه من تربة خصبة و كثرة المياه.

وتبين مكانة هذه الحرفة، و أهميتها في المجتمع الحمادي، اهتمام الناس، باتخاذها كحرفة يقتاتون منها، وتوفر لهم أموالا و عملا دائما، لكثرة البساتين و الجنان، التي كانت على عهد الحماديين، سواء في ضواحي المدن والقرى، ويعود اهتمام عمال الزراعة أو الحرفيين الحماديين بهذه الحرفة، و إتقانهم لها، لولعهم الشديد بغرس الأشجار المثمرة في بساتينهم و حقولهم، وما يميز هذه الحرفة اهتمامهم الشديد بغرس أشجار الزيتون أشجار التين في حقولهم. و لا ريب أن هذه الحرفة قد ازدهرت، وتطورت في العهد الحمادي بدليل أنهم حققوا الاكتفاء الذاتي في كثير من الثمار، حتى صاروا يصدرونها إلى الخارج كالزيتون والتين، و الجوز، وغيرها من الفواكه. و تبلغ أهمية هذه الحرفة في وجود عدد كبير من ممتهنيها خاصة في البوادي الحمادية وجبالها، و أراضيها الفلاحية، فقد أشارت كتب الفقه و النوازل إلى النزاعات والخلافات التي قامت بين المتغارسين، أصبحت هذه الفتاوى في حل هذه النزاعات و الخصومات، التي غالبا ماكانت تقوم بين أصحاب الملاك و المستأجرين من أصحاب هذه الحرفة[2]. و هذا يؤدي بنا إلى القول، أن المجتمع الحمادي، كان فلاحيا أكثر منه صناعيا، لاهتمامه الشديد بالحرفة المتعلقة بالزراعة والفلاحة و توابعهما.

و الواقع أن هذه الحرف كانت متعلقة بسياسات الدولة في هذا المجال، فإن هي أعانت هؤلاء المزارعين، وسهلت لهم في أثمان أسعار الأشجار، و البذور، من أجل غرسها، أدت إلى زيادة ممتهني هذه الحرفة، و إن هي صعبت عليهم الأمر، نفر منها الناس، و لم يمتهنوها[3].

من هذا يتبين لنا دور الحرفي الغراس، في عملية إنتاج الفواكه المثمرة، و التي هي أساسية في العملية الغذائية للإنسان الحمادي، و يقوم بدور مهم في التنمية الاقتصادية، و الإنتاجية في الدورة

1- الإدريسي، المصدر السابق، 85، كتاب المغرب العربي، 112،برشك، يقول الإدريسي،و مدينة برشك مدينة صغيرة على تل و عليها سور تراب وهي على منطقة البحر، وشرب أهلها من عيون، وماؤها عذب وافتتحها الملك المعظم رجار في سنة.... و خمسمائة، و بها فواكه و جمل مزارع و حنطة كثيرة و شعير و منها إلى شرشال عشرون ميلا، ويصل بينهما جبل منيع يسكنه قبيلة من البربر تسمى ربيعة، نفسه، 112

2-روحي إدريس، المرجع السابق، 82/2

3-ورقات، 254/2

الاقتصادية للدولة الحمادية، فلم تكن الدولة مستغنية عن هذا النوع من الحرفيين، إذ لا يستقيم الأمر، إلا بوجود الغارسين الذين ساهموا في عملية الإنتاج، و هذا طبعا نلمسه جيدا في قيام الحماديين بتصدير كثير من الفواكه و الأشجار إلى خارج حدودهم[1].

وهناك فتوى للمازري تتعلق بالتقاط حبات الزيتون و يسمونها اللقاطة[2].و كان هؤلاء العمال يرأسهم واحد منهم مسؤول عنهم يسمى" اللقاط"، يكون نائبا عن الملاك في مراقبة العمال، و مسئولا عن دفع أجورهم[3]. ومن خلال هذه الفتوى يتبين لنا أن الحماديين قد عرفوا نظام الترتيبات المهنية المتدرجة في المراتب، و بروز حرفة اللقاط كحرفة مهمة في الدولة الحمادية مما حتم الأمر وضع نظام لها من طرف الحماديين لأهميتها و فائدتها في توفير الشغل للناس من جهة والاستثمار في جني الزيتون من جهة أخرى.

3- حرفة السقي أوالري

كرس المغاربة منذ القدم وسائل عديدة للمساقاة منها حفر الترع، وتفريع الأودية إلى جداول، وحفر القنوات، وقاموا بإنشاء السدود للسيطرة على مياه الفيضانات والأمطار، وتخزين الفائض منها على صورة برك خلف هذه السدود الصخرية.[4]

وأفادت بعض النصوص عن دور الفاطميين في مواصلة نهج من سبقوهم من الأمم في الاهتمام بمشاريع الري،كما عاهد خلفاؤهم الزيريين إنجازاتهم هذه فأثروها وقد وردت إشارة في إحدى النوازل لهذه الفترة عن وجود ماء المواجل[5].وبالإضافة إلى الآبار، اتخذ المغاربة الصهاريج والمواجل[6] والجباب[7].

1- الإدريسي،المصدر السابق، 85، كتاب المغرب العربي، 112

2ـ فتوى المازري، المعيار،192/8، 223/8

3ـ فتوى ابن العطار، المعيار، 8/،167،8/ 198

4- نفسه،41

5ـ الونشريسي، المصدر السابق،277/8

6- المواجل، هي إحدى وسائل التحكم في مياه المطر الغزيرة، وهي عبارة عن برك فسيحة مفتوحة وهي في الغالب تأخذ الشكل الدائري أو المستدير غير أن الاسم اختلف في رسمه، فقد ورد عند اليعقوبي،بالمواجل، المصدر السابق، 104، بينما ذكر عند المقدسي، باسم المواجين، المصدر السابق، 225

7-الجباب،و هي حزانات حوفية تحفظ فيها مياه الأمطار، أنظر، G . Marçais, l'architecture Musulmane d'Occident, Paris, 39

لحل مشكلة سقي الأراضي الزراعية أقيمت المواجل في مدن المغرب الأوسط،كطبنة حيث كان قد بني صهريج كبير يقع فيه واديها ومنه تسقى بساتينها[1].

وقد اهتمت المصادر الجغرافيا كثيرا بالتحدث عن وسائل الري وطرقه في القرنين الرابع والخامس الهجريين، فقد وردت إشارات مفصلة عن طرق السقي والوسائل التي استعملها الحرفي في السقي[2]؛قال اليعقوبي:" وشربهم من المطر إذا كان الشتاء ووقعت الأمطار و السيول دخل ماء المطر من الأودية إلى برك عظام يقال لها المؤاجل، فمنها شرب السقاة و لهم واد يسمى وادي السراويل في قبلة المدينة يأتي فيه ماء مالح لأنه في سباخ الناس يستعملونه فيما يحتاجون إليه"[3]. و يستنتج من هذا النص أن السقاة كانوا يملؤون قربهم من المؤاجل (البرك العظيمة)، التي يأتي إليها ماء المطر من الأودية التي تصب فيها، و يعتقد أن هذه المؤاجل لم تكن طبيعية، بل أن المهندسين الحماديين هم الذين أقاموها وفق حسابات هندسية دقيقة، كما يلاحظ اليوم السدود التي تقام هناك من أجل سقي الأرض و تلطيف الأجواء.

ويبدو أن اهتمام الحرفيين بعملية المساقاة، قد بدأ في عهد الأغالبة، إذ أنجزت في هذه المرحلة من تاريخ المغرب، منشآت مائية هامة في القيروان ورقادة، فالبكري يشير إلى قيام صناعة للأشغال المائية متطورة وراقية، أعجب بها عبيد الله المهدي، لما دخل رقادة في سنة (297هـ/910م)، بقوله:" رأيت بإفريقية شيئين ما رأيت مثلهما بالمشرق، الحفير الذي بباب تونس من القيروان، يعني هذا الماجل الكبير والقصر الذي برقادة المعروف بقصر البحر".[4]

و تعرض الإدريسي لذكر هذا الماجل الكبير في طبنة و دقق الحديث عنه، فالمهندسون بنوه بشكل مربع " و في وسطه بناء قائم كالصومعة و ذراع كل وجه منه مائتا ذراع"[5].و توسع إنشاء هذه المواجل في عهد الخليفة الفاطمي " المعز لدين الله الفاطمي" الذي أمر ببناء مواجل كثيرة في

1ـ البكري، المصدر السابق، 50

2ـ اليعقوبي، المصدر السابق،109،108

3-نفسه،وضع حواشيه محمد أمين ضناوي ،(بيروت: دار الكتب العلمية، 2002)، 192

4ـ المغرب، 26

5ـ الإدريسي، المصدر السابق، 284، كتاب المغرب العربي، 119

الصحراء أي في مناطق الجنوب[1].أما ما يخص الحماديين، حيث انتشرت الآبار في معظم مناطق مدن و حواضر بني حماد، في القلعة و بجاية و المسيلة و طبنة، حيث استعمل السقاؤون وسيلة في استخراج المياه من الآبار، وهي السطل الجلدي، أو ما يعرف بالدلو، مرفوع بحبل ملفوف على بكره يجره حيوان، أو بواسطة قادوس ناعورة والتي تعرف بالسانية مدورة يحركها حيوان[2]. و ذكر صاحب كتاب الاستبصار أن مدينة المسيلة و طبنة عرفتا بكثرة الآبار ومنها كان سقي أهاليها[3].

و كان من الطبيعي في مدينة مثل القلعة أو بجاية، أن ينتشر السقاؤون، يبيعون الماء المبرد بالحباب أو الثلج من الحرفيين و التجار و المتسوقين. و في مدينة طبنة و المسيلة و القلعة، وغيرها من المدن الحمادية جباب و آبار، يملؤون جرارهم منها، و استخدم السقاؤون البغال في حمل قربهم ودلوهم إلى الزبائن أو إلى بيوت الأمراء وعمل هؤلاء السقاؤون كأصحاب مهنة فيها.ويدل هذا على انتشار هذه الحرفة في المجتمع الحمادي و ازدهارها فيه بما تقدمه من خدمات كبيرة للمجتمع الحمادي، وتساهم في بعث الحركة التجارية لاسيما في المدن لأنها تدخل في مجال الحرف التكاملية للنشاطات الاقتصادية الأخرى.

ثالثا: حرف أخرى

1- حرفة صناعة السروج و الألجمة :

السروج و الألجمة صناعة تجمع بين الضروري و الكمالي إذا عرفنا أن وسائل النقل في الحرب والسلم هي الخيل خاصة إلى جانب الدواب الأخرى وتصنع من خليط من الذهب والفضة ويبدو أن معدن الفضة لم يكن يستعمل في تزيين السروج بكمية كبيرة إلى جانب الذهب الذي كان يستعمل بكثرة في هذه الصناعة خاصة للكبراء والقادة والأمراء الحماديين [4].

ومن أهم مراكز وجود هذه الحرفة مدينة القلعة.فكان الحرفيون، يستخدمون الجلد المنمق بالذهب، خاصة في صناعة السروج وتجليد الكتب[5].ويعود قلة استعمال الفضة في تزيين السروج

1- البكري، المصدر السابق، 50
2- روحي إدريس، المرجع السابق، 238/2
3- مجهول، الاستبصار،المصدر السابق، 150
4- البرزلي، المصدر السابق ،316/3
5- إسماعيل العربي، المرجع السابق، 240

وغيرها من المصوغات إلى انعدام مناجم المعادن الثمينة في أراضي دولة بني حماد.و أن الذهب كانت تصل كميات منه إلى الحماديين عبر سجلماسة.

وهنالك نوع يسمى التشحيرة[1] في الصياغة. فكانت تستعمل في تزيين أطراف الجلود بالذهب والفضة، خاصة أثناء مناسبات الأعياد والأفراح وما شابه ذلك.

وكان أهل القلعة يشحرون أكمام الجلود في الأعياد، كما يلاحظ أن هذه الحرفة انتشرت في حواضر الدولة الحمادية كالمسيلة و غيرها إضافة إلى القلعة وبجاية، والحرفيون الذين يقومون بها قد ركزوا جهودهم في هذه الحواضر، و قد تفوقت الدولة الحمادية، فيها على باق الدول المغربية الأخرى، وهذا ما يجعلنا نستنتج أن هذه الحرفة، هي من إبداع الحرفيين الحماديين مما يبين لنا أن حرفة السروج و الألجمة قد فاقت نظيرتها الزيرية تطورا وتقدما و اتقانا، حيث أن المجتمع الحمادي وصل إلى درجة كبيرة من التطور و الرقي، أصبح معه يستعمل تزيين السروج و الجلود و الألجمة بالذهب و الفضة.و يبين مدى تكوين الحرفي و مهارته الفنية، و أنها حرفة كان مرغوب فيها للعوامل المحفزة التي ذكرناها من ذلك أن الشاعر ابن رشيق المسيلي[2] كان قد تعلم صناعة أبيه "صناعة السروج".و يبدو أن هذه الحرفة كانت تتوارث داخل الأسرة، إذ يقوم الأب بتلقين تقنيات هذه الحرفة إلى أولاده، وهذا حفاظا على احتكار هذه الحرفة في أسر معينة، للحفاظ عليها ككتر، يدر عليها أموالا طائلة. وهذا الاتجاه في حصر الحرفة داخل الأسر كان سائدا في الدولة الحمادية، لاسيما إذا تعلق الأمر بممارسة حرفة ثمينة، كحرفة الصياغة، وهذا ما نلمسه بوضوح في عصرنا في المدن العريقة التي كانت تابعة للدولة الحمادية داخل الأسرة الواحدة، يتوارثها الخلف عن السلف، في سلسلة متواصلة لا تكاد تنقطع[3].

1- التشحيرة،تشبه اليوم ما يعرف'بالمشرشفة)،وهي أقراط توضع في الأذن،تكون حافتها عبارة عن مثلثات صغيرة، تصنع عادة من الذهب أو الفضة و الشحرة الشط الضيق،انظر،لسان العرب،لابن منظور،2206/9.

2- ابن رشيق، أبو الحسن القيرواني، صاحب كتاب العمدة، شاعرا فحلا لا يشق له غبار، أشهر الشعراء في بلاط المعز بن باديس، انظر، السيوطي، ، المصدر السابق،220، الكتبي، المصدر السابق، 255/2.

3- هذا ما نشاهده في المدن العتيقة، التي كانت تابعة للدولة الحمادية، كقسنطينة و تلمسان.

2- حرفة صناعة الشمع

وهي من الصناعات التي اشتهرت بها بجاية، فكانت تصدر من مادة الشمع كميات كبيرة،بحيث أصبحت الشمعة،كما تقول القواميس الفرنسية تحمل اسم المدينة باللغة الفرنسية،حتى الآن.و يقوم الحرفي بتشكيل الشمع على هيئة أسطوانة بأطوال و أقطار مختلفة، و يشكل إما بالصب في قوالب بأعداد صغيرة أو على ماكينة تعطي إنتاجية أعلى فيمكن الحصول على 100 قطعة كل دقيقة و بجودة أعلى. و في هذه الحالة يتم تحميل الماكينة، و ضبط البوبينات، و تحديد طول الشمعة، ووضع الخيوط ثم صب الشمع. شمع الزينة و الهدايا، يتم صب هذا النوع من الشموع في قوالب خاصة مشكلة بالشكل المطلوب و تكون عادة من المطاط الذي يتحمل درجات الحرارة دون أن يفقد شكله العام، و يقوم الحرفي بزخرفة بعض شموع الزينة بإضافة رسومات زخرفية بألوان مختلفة عليها لإعطائها قيمة فنية و يتم ذلك بفرش التلوين العادية.

3- حرفة صناعة الآلات الموسيقية

كانت الآلات الموسيقية في العهد الحمادي و الزيري هي العود و الرباب و الناي و الطبل و الدف[1]. وهي نفس الآلات التي كان يستعملها المشارقة و الاندلسيون في إنتاج ألحانهم وأغانيهم. فهناك إشارات خفيفة لاستعمال آلات الطرب من قبل الأمراء الحماديين، كانوا يتمتعون في مجالسهم بآلات الطرب من قبل الأمراء الحماديين، و من أشهرهم بلكين بن محمد[2].

و بالمقابل وصف بعض الأمراء بتضلعهم في معرفة صنائع الغناء و الألحان و التوقيعات، بنغمات متناسقة مع هو معروف في وقته. و من أشهر من شجع هذا الفن هو عبد الوهاب بن حسين بن جعفر الحاجب[3].

1- روحي إدريس، المرجع السابق،443/2

2- نفسه، 404/2

3- حدث أنه آب(بلكين) من بعض غزواته الأفراد، القلقة لأحشاء الأنام و البلاد، فكأنه ارتاح إلى ما يرتاح إليه الناس من إراحة النفس و الخلو، ولو ساعة بوجه آنسة، فجلس لذلك مجلسا شهد شهواته و تقدم في إحضار ما يصلح من آلاته و أدواته و أمر قيمة جواريه باستحضار عقيلة أترابها يومئذ، جلالة سلطان، و حسن سماع و أعيان، إحدى بنات عمه، دنيا، لم ير بعدها، لم ير بعدها، إحدى هناته و تمثلت له بعض غزواته فأخذ يدير و يدير و طفق يورد و يصدر، أنظر، ابن بسام، كتاب الذخيرة في محاسن الجزيرة،(القاهرة: مطبعة القاهرة، 1938)، 158/1، 161.

و لم تخبرنا المصادر عن نوع الآلات الموسيقية التي استعملها الأمراء الحماديون، و كبار الأثرياء في ملاهيهم. و لم يعثر على أدنى إشارة للقينات، و آلات الطرب إلا إشارة خفيفة ذكرها البيدق، وهو يتحدث عن المهدي في بجاية لما اهرق زجاجات الخمر، وكسر الأعواد، و المزامير، والطنابير التي كانت تباع في دكاكين مدينة بجاية[1].

و يروي المؤرخون أن يحي بن العزيز آخر ملوك بني حماد، كان شغوفا باللهو و الطرب والصيد، و تستهويه النكتة و يطربه الغناء. قال عنه ابن الخطيب" كان مولعا بالصيد، كلفا بالملهين يحضر منهم عنده نحو العشرين رجلا و امرأة من شيوخ و عجائز و حمقى، وكان يستلقي في بيته على الفرش الوثيرة ويستدعي المضحكين وجوارح الصّيد فيختبر الباز ويتفقّد ذلك الكلب على أن ينام ،ثمّ يغدو إلى الصّيد ،وهكذا انقضت أيّامه "[2] .ولم تشر المصادر التّاريخيّة لأحوال الحرفيّين الموسيقيّين في الدّولة الحمّاديّة ،ويبدو أنّهم كانوا يتمتّعون بحياة اجتماعيّة راقية وحرّيات واسعة بدليل السّماح لهم ببيع آلاتهم الموسيقيّة في دكاكين خاصّة في أسواق بجاية.وأنّ تلك الفتنة الّتي وقعت لمهدي الموحّدين بسبب اعتراضه على هذا البيع وقيامه إلى جانب أتباعه بتكسير آلات الطّرب في بجاية.[3]

4- حرفة التطبيب

لم نجد أية إشارة لهذه الحرفة في المصادر التي تكلمت عن الحياة العامة في عهد بني حماد، ماعدا إشارات خفيفة وردت عند القلقشندى الذي تكلم عن رئيس الأطباء" وهو الذي يحكم على طائفة الأطباء ويأذن لهم في التطبيب ونحو ذلك حيث يقول" أما رئيس الكحالين (أمراض العيون)، فهو الذي يجيز الكحالين في ممارسة هذه المهنة، وكان تنظيم الأطباء يشبه تنظيم الكحالين بالمغرب"[4]. وهي إشارة غير مباشرة و لكنها تدل على النظام المتبع في ممارسة حرفة التطبيب في الدولة الحمادية، وهذا النظام الصارم، في مراقبة حرفي هذه المهنة يجعل رئيس عليهم، و أعتقد أنه

1- البيدق، المصدر السابق،104

2- ابن الخطيب، المصدر السابق، 99، 100، العبر، المصدر السابق، 177/6

3- البيدق، المصدر السابق، 104

4- البرزلي، المصدر السابق، 224/3

يدل على حرص الحماديين على صحة الناس، وجعلها بين أيدي أمينة، تملك المعارف اللازمة لممارسة حرفة الطب، حتى لا تصير بين أيدي المغامرين يلعبون بأرواح الناس، وصحتهم. و يستنتج من هذا أن الحماديين قد أعطوا أهمية كبيرة لهذه الحرفة، بحمايتها من طرف نظام صارم في إعطاء الإجازات للأطباء في ممارسة هذه المهنة عن طريق توقيع الأطباء؛ إذا ما أخذنا بعموم هذه الا شارة.

5- حرفة الزخرفة

يبدو أن الزخرفة على الأواني الفخارية الحمادية بواسطة العناصر الحيوانية كانت قليلة جدا و يعود هذا إلى منهج الشريعة الإسلامية[1] ، في تحريم تصوير نماذج محورة لرؤوس الأسود.[2] وشكلت الزهريات مادة أساسية في الزخرفة الحمادية، وفي هذا الصدد يقول رشيد بورويبة: و أبدع الفنان الحمادي أيما إبداع في الزخرفة، باستعمال المحاريب الصغيرة و الأقواس في تزيين واجهات أبواب القصور ونوافذها، واستعمل الحرفي الحمادي نفس تقنيات الزخرفة في تزيين واجهات المساجد. وقد استعملت في زخرفة الأبواب الأربعة للجامع الكبير بقسنطينة الحمادي عناصر هندسية كالمربعات والمثلثات والمستطيلات والمربعات الثمانية الرؤوس و السداسية وعناصر نباتية مثل السيقان والأغصان الملتوية والمتوجة في آن واحد. وأخرى متعاكسة والتي نشاهدها في الإطار الخارجي لباب مسجد سيدي عقبة[3].ويبدو أن الحالة الاجتماعية للحرفي الحمادي كانت مرضية لحاجة المجتمع لهذا النوع من الحرف و رواجها في العهد الحمادي بدليل ازدهار هذه الحرفة عند الحماديين لولوع سلاطينهم بالعمارة و بناء القصور وزخرفتها. ويستنتج أن أجر الحرفيين كان مرتفعا نظرا لإقبال الناس خاصة الأغنياء منهم على توظيفهم في بيوتهم ومحلاتهم التجارية في زخرفتها بزخارف مناسبة.

6- حرفة الوقاد بالمساجد:

هذه المهنة يقوم بها أشخاص مكلفون بإشعال مصابيح زيتية في المساجد أثناء الليل، من صلاة المغرب إلى العشاء، في الجامع الكبير للمدينة، كان عدد القناديل مائة وعشرين قنديلا وفي

1- بجاية، المرجع السابق، 34

Golvin, op,cit, 221-2

3- مسجد سيدي عقبة يوجد بالقرب من بسكرة

بعض المساجد أقل حسب أهميتها، وقد توقد في الليل في الأماكن العمومية و الشوارع الكبيرة لإنارتها و المحافظة على الأمن في المدينة ،إذ تقوم الشرطة و الحراس وأعوان السلطان بمراقبة أحياء المدينة والدكاكين و المارة والغرباء الذين يتوافدون على المدينة للتجارة وطلب العمل[1].

ومنهم من تكون ظروفه صعبة، فيضطر للمبيت في المساجد على ضوء هذه القناديل. ومنهم من يقطن الفنادق التي توجد في المدينة بكثرة فلابد لعمال وملاك هذه الفنادق من تدبير أمورهم. وتهيئة الجو المناسب لزبائنهم، فيوقدون قناديل من مصابيح من زيت و شموع في فنادقهم لتوفير الراحة لهؤلاء الغرباء. حينذاك كان المشعل، والشمع ومصباح الزيت، إحدى الوسائل الهامة للإنارة في الليل ويبدو أن انتشار الإنارة آت من قوة صناعة الشموع من شمع النحل[2]. ومن الواضح أن بجاية قد أخذت اسمها من القبيلة التي كانت تسكنها و بجاية تلفظ بالفرنسية (بوجي)، وسمى الفرنسيون الشمعة بوجي[3] (بوجي)، نسبة إلى مدينة بجاية التي كانت تشتهر بهذا النوع من الشموع، حيث كان المشعل، و الشمع و مصباح الزيت وسائل للإنارة و المعاجم الفرنسية[4]؛ تحدد ذلك فتقول[5]: بوجي (بجاية مدينة في الجزائر، يصنع فيها هذا النوع من الشموع، و لاشك بأن هناك فيه بين الشمعة وبجاية وجه شبه وهو الضوء. فالشمعة تضيء في الليل،و بلد الحماديين خاصة جبال بجاية غنية بالزيتون لذلك فإن مادة الزيت كانت متوفرة في بلاد الحماديين بشكل واسع.كما أن جبالها مرتع لخلايا النحل الذي يوفر الشمع، و حرفة الوقاد وقتئذ مهمة جدا حتى أن الوقاد بالمسجد كان يتقاضى أجرها ذكر الونشريسي أنها تقدر باثني عشر دينارا في المسجد الجامع ببجاية[6].

1- بجاية، سلسلة الفن و الثقافة، 15، 16

2- بجاية، المرجع السابق، 14.

3- Bougie, Dectionnaire du Français Edition Algérienne ENAG, Hachette 1992

4- Larousse de poche précis de grammaire. Edidion refoudre, imprimé en France par Bradard et Toupin 58 , rue Jean Bleuzen-vouves-usine de la léché- Librairie Générale Française , 14, rue de l'Ancienne- Comédie-Paris,50

5- نفسه، 15، 16

6- الونشريسي، المصدر السابق،258/8

7- الحمالون

انتشرت حرفة النقل في بلاد المغرب وكان يمارسها الفقراء لاكتساب قوت يومهم، ويبدو أن هذه الحرفة كانت رائجة في بلاد المغرب منذ عهد الأغالبة، فقد أشارت المصادر الفقهية والنوازل إلى ممارسة هذه الحرفة في القيروان، وأصبح أهلها يتقاسمون أعمالهم بينهم عن طريق الشركة في العمل ومقاسمة الأجر. فقد سئل ابن عرفة عن حمالين اشتركوا في أجرة ما يحملونه، بين أحدهم وبين رجل كلام و مشاجرة بسبب تماطله و إنقاصه من الإجارة، فحلف بالطلاق ألا يحمل له أبدا، ثم إن بعض شركائه حمل له و حمل هو لغيره ثم اقتسموا الإجارة"[1]. وهذا يعني أن الحمالين كانوا يتقاضون أجورهم قبل قيامهم بهذه الأعمال، أو على الأقل كانوا لا يطمئنون لأصحاب البضائع فلا يتركونها لهم حتى يؤدوا لهم أجورهم، وكما يوضح حالة المجتمع في هذا العصر.

والظاهر أن كثير من الحمالين في بلاد المغرب كانوا يتقاسمون الحمل في الطريق، حيث يقوم بعضهم بحمل البضائع إلى مسافة معينة، ويقوم الآخر بحملها على مسافة أخرى حتى تصل إلى المكان المقصود وضعه فيها، وهذا ما كان يسبب التنازع كثيرا بين الحمالين، كما سجل ذلك الفقهاء في نوازلهم.[2]

إضافة إلى أن المرأة عملت كحمالة تحمل العجين على رأسها فوق لوح خصص لهذا الغرض، لتذهب به إلى صاحب الفرن، من أجل طهيه خبزا. ويبدو أن هذه الحرفة كانت مشهورة في بلاد المغرب خاصة في عهد بني حماد، وغسل الملابس التي تحملها،حتى باب النخاسين، حيث يتم غسلها بمياه الآبار، التي توجد هناك.[3]

وكان الرجل يكري دابته للحمالين، من أجل أن يحمل عليها السلع و البضائع للأسواق، و تفسير ذلك أن كثيرا من الفقراء، يحترفون هذه الحرفة، مقابل أثمان محددة، والعرف الذي كان يجري بين المالك والمكتري، أن يقتسما الربح مناصفة بينهما، نهاية كل يوم.[4] وفي هذا الصدد

1- الونشريسي، المصدر السابق، 322/8

2- نفسه، 184/8

3- الغرياني، المصدر السابق، 68

4- سحنون بن سعيد، المصدر السابق، 51/11

يفيدنا صاحب المدونة، بقوله: " أرأيت إن استأجرت حمالا يحمل لي طعاما أو متاعا أو عروضا إلى مواضع من المواضيع بأجر معلوم على دابته أو على إبله أو على سفينته، فحمل ذلك حتى إذا بلغ الموضع الذي اشترطت عليه منع مني مالي أو طعامي حتى يقبض حقه"[1].

ويبدو أن هذه الحرفة قد عرفت كثيرا الشراكة بين ممتهنيها في العهد الحمادي و العصور التي تلتها، وهذا يعني أن هذه الحرفة قد لاقت رواجا كبيرا في بلاد المغرب، ومن كثرة الطلب عليها كان لا يكفي أن يقوم بها رجل واحد،ولذلك تأسست الشراكة بين مجموعة من الحمالين كل مجموعة تختص في حمل نوع من البضائع أو الزبل أو ما تدعو الضرورة لحمله.[2]

و اشتغل كثير من الصلحاء و الفقهاء بمزاولة حرفة حمل الزبل على رؤوسهم لم يروا في ذلك بأسا، بل اعتبروها مجاهدة للنفس ، وتدريبها على الصبر و التواضع و تحمل المشاق، فقد كان أبو علي بن العباس الصنهاجي المعروف بالحباك، وكان يصيح عند أبواب الديار من أنقل له الزبل و يعطيني ما أمكن، فينقل الزبل على رأسه و يعطي كسر خبز يأكلها مع الفقراء.[3]. و كانت طريقة حمل الزبل واستعماله في وقت " الوزان"، أن الحمامين كانوا يستخدمون الزبل كوقود لهم لتسخين حماماتهم، ولهذا الغرض كان يعمل عند الحمامين غلمان يسخرونهم لهذا الغرض. فكان هؤلاء الغلمان يجوبون أرجاء المدينة ليتزلوا الزبل من الاصطبلات و ينقلوه إلى خارج المدينة، ثم يجعلوه أكداسا و يتركوه يجف شهريين أو ثلاثة أشهر وبعد ذلك يستعمل كوقود للحمامات.[4] وهذا يبين المستوى الحضاري الذي وصل إليه الحماديون في الاعتناء بنظافة مدنهم و قراهم، لان ممارسة هذه الحرفة الفائدة الذي يجنيها منها المجتمع تنظيف محيطه من الأوساخ وتنقيته من المواد الملوثة، وبالتالي الحفاظ على صحة الناس، وتكمن أهمية هذه الحرفة أنها كانت مشرفة لمزاولة العلماء والزهاد لها.

1- نفسه، 90//11

2- البرزلي، المصدر السابق، 667/3

3- التادلي، المصدر السابق، 436

4- الوزان الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المعروف، بليون الإفريقي، وصف افريقيا، ترجمه، محمد حجي، محمد الأخضر، (ط،3، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1983)، 229

8- باعة الطعام:

ارتبطت صناعة الطعام وبيعه في الأسواق بوفرة المحاصيل الزراعية وخاصة القمح والشعير الذي كان ينتج في مناطق الدولة الحمادية، وكان يزيد عن حاجتها فتصدره إلى بقية المدن التي يتوفر فيها هذا المحصول[1].

و باعة الطعام يبيعون طعامهم في متاجرهم للسكان، وللناس ومن هؤلاء بائعي السمك الذين يعرفون في بلاد المغرب ب" الحواتي"، و المصادر تخبرنا عنهم من ذلك أن أبا إبراهيم إسحاق بن محمد الهزرجي[2] ت(581هـ/ 1185م)، أمر أحد تلاميذته بقوله"أذهب إلى أحمد الحوات وقل له أن يبعث لنا الليلة حوتا طيبا يأكله أبو حسون[3]. وأما الأطعمة المعمولة في الأسواق هي: اللحم والشواء.[4] لمحي الأطعمة فقط.

وعرفت حرفة "الحوات" في المدن المغربية، ومنها الحواتة حيث كانت قائمة في بعض المدن كتدلس[5] ويقول الغبريني في ذلك "خرجنا مع الشيخ،نفع الله ببركاته وركبنا البحر،وحملنا آلة الصيد للحوت،ثم صارت تترامى علينا في الزورق حتى امتلأ حوتا"[6].وهذا يعني أن المدن الساحلية الحمادية كانت تتوفر على ثروة سمكية كبيرة و سهلة الصيد، أي أنها لا تكلف كثيرا من الأموال. كما كان الحوت يصطاد من الأودية منها نهر شلف في زمن الورد،صنف من السمك يسمى

1- (و كان يزيد عن حاجتها فتصدره إلى بقية المدن التي يتوفر فيها هذا المحصول. وعرف وادي برشك بزراعة الحنطة و كان المزارعون يحصدون الحنطة بكميات وافرة تزيد عن حاجتهم إليها. و سجل ابن حوقل وفرة المحاصيل من القمح و الشعير في مدن المسيلة و تيهرت. وكان السهل المحيط بمدينة قسنطينة ينتج القمح و الشعير بوفرة، ومستودعا للحبوب المخزونة تحت الأرض، وفي كل دار منها عدة مطامير ومنقورة في الحجر تقيم فيها الحنطة مائة سنة لا تفسد)، أنظر، ابن حوقل، **المصدر السابق**، 77، الإدريسي، **المصدر السابق**، 95

2- إسحاق بن محمد الهزرجي، هو أبو إسحاق بن إبراهيم بن الخطيب، كان له علم بالنحو و المنطق و أصول الفقه و أصول الدين، والفقه والحكمة و التصوف، مات دون الأربعين، انظر، عنوان الدراية، **المصدر السابق**، 201

3- **الغبريني، المصدر السابق**،218.

4- **البرزلي، المصدر السابق**، 183/1

5- تدلس، و من مدينة مرسى الدجاج إلى مدينة تدلس أربعة و عشرون ميلا. وهي على شرف متحصنة بها رموز حصين و ديار متنزهات، وبها من رخص الفواكه و الأسعار و المطاعم و المشارب، ما ليس يوجد بغيرها مثله. وبها الغنم و البقر موجودة كثيرا، وتباع جملتها بالأثمان الكبيرة و يخرج من أرضها إلى كثير الآفاق

6- الغبريني، **المصدر السابق** ، الصفحة نفسها.

الشهبوط،وهو سمك طوله ذراع،ولحمه طيب،إلا أنه كثير الشوك،ويبقى صيد هذا السمك شهرين في زمن الربيع ثم ينقطع[1].

وكان البدويون يأتون بطعامهم على مختلف أنواعها فيبيعونها في أسواق القلعة وبجاية، ويبدو أن هذا العرف كان متبع في بلاد المغرب منذ عهد الأغالبة، فقد صرح يحي بن عمر بقوله " و أرى هؤلاء البدويين إذا أتوا بالطعام، ليبيعوه في سوق المسلمين و أنزلوه في الفنادق، و الدور، فأرى على صاحب السوق أن يأمرهم ألا يبيعوه إلا في أسواق المسلمين، حيث يدركه الضعيف، القوي و الشيخ الكبير والعجوز".[2] ومن هذا يتضح أن تجارة البدو، و بضائعهم التي يحملونها إلى أسواق و حواضر المدن الحمادية في بجاية و القلعة، كان أغلبها هو الطعام من الكسكس المجفف، والثريد، والتين المجفف و غيرها من الأطعمة، يبيعونها في أسواق القلعة، أو يجعلون عليها وكلاء، وسماسرة لبيعها في الأسواق و يعودون إلى أهليهم سراعا، لان إمكانياتهم المادية لا تسمح لهم بالبقاء لمدة أطول. وهذا ما يدعو للاعتقاد، أن هذه الحرفة قد انتشرت في البوادي و القرى من تحضير الأطعمة و التفنن فيها، لا سيما الكسكس و الثريد المفضل، عند الحماديين و المغاربة بصورة عامة.

و هذه المهارة في صناعة الأطعمة، إنما اكتسبتها بوجه خاص المرأة الحمادية، و لاسيما البدوية والريفية، حيث كانت تتقن فن الطبخ و إعداد الطعام، ومن ثم تسويقه، وهذه العادة لا زالت قائمة في بعض مناطق الشرق الجزائري، وكمثال على ذلك، منطقة جيجل، فلا زالت النساء في الأرياف و القرى، تصنع من طعام الكسكس، والتين، كميات وفيرة، ومن كسرة الخبز، وغيرها من الأطعمة، ثم ترسلها للأسواق. كان يحمل على لوح إلى الفرن الذي يشرف عليه الفران. ويسهر رجال الحسبة على أن يكون وزن الخبز المباع في السوق مطابقا للوزن المحدد. ويكون الخبز من السميد[3]. كما يقلى الشعير، و القمح، والفول، والحمص، و تصنع البسيسة من الدقيق المقلي والزيت والماء[4]. وكان لحم البقر يدخل بالخصوص في تركيبة وجبة أهل البادية، حيث يتناولون

1- القزويني،المصدر السابق،149،148

2- ابن عمر يحي، المصدر السابق، 114

3- فتوى أبي الحفص العطار، المعيار،220/8.

4- روحي إدريس، المرجع السابق، 199/2.

كثيرا طعام الكسكس الذي كان يصنع بإضافة قطع اللحم إليه حتى يصير لذيـــذا، ولا شـــك أن السمك كان يمثل الغذاء الأساسي في المناطق الساحلية[1].

9- الحرفيون من أهل الذّمة :

أ- طائفة اليهود

كانت طائفة اليهود على عهد بني حمّاد تشكل طائفة متميزة داخل البلاد الحمادية ويتوزع على المدن ، بل حتى في القرى المجاورة للمدن الحمّادية ، كالقلعة وبجاية وبونة. ولا شك أن اليهود كانوا موجودين في معظم المدن الكبرى بشرق المغرب الأوسط، حتى بداية العصـــر الموحـــدي، لا سيما في قلعة بني حماد[2].

ومن عادة اليهود أنهم يشتغلون بالتجارة كتجارة الأقمشة و الزيت، تجارة الذهب ، وقـــد اشتغلوا في المغرب الإسلامي ببيع المنسوجات المصنوعة من الكتّان أو مـــن القطـــن، و أصـــناف السجّاد، والحرير بجميع أنواعه وأشكاله.وتمركز اليهود بمدينة قسنطينة خاصة نظـــرا لاشـــتغالهم بحرفة الصياغة، و صناعة الحلي وسيطرتهم على تجارة الذهب المنقول من السودان، إذ كانت لهـــم علاقات متينة مع إخوتهم المتمركزين في سجلماسة عبر هذا الطريق الرئيسي نحو بـــلاد المغـــرب، وتنوعت السلع والبضائع التي كان يحملها اليهود من بلاد المغرب الأوسط على عهد بني حماد نحو جميع أنحاء العالم من المنسوجات الحريرية، والقطنية، والكتانية، و أنواع من المحاصـــيل الزراعيـــة، وبعض أنواع المعادن المستخرجة من أراضي بلاد المغرب[3].

وكان الرهادنة اليهود مشهورة بين طائفة،الذين يسافرون ببضائعهم عبر بحر الروم شـــرقا وغربا، يأتون ببضائع الشرق فيفرغونها في موانئ المدن المغربية.[4] وكانت نقاط محطاتهم الرئيسية في الشحن والتفريغ، في بلاد الحماديين، وعلى طول ساحلها خاصة بونة، وبجاية أين يأخذون الذهب،

1- نفسه، 113/2

2- ابن كواني مسعود، المرجع السابق،154

3- نفسه ، 143، 153

4- فاطمة بلهواري، المرجع السابق، 230

و الديباج، والخرز، ليبيعوه في أقصى الشرق كالصين و القسطنطينية، ويعودون الكرة محملين بالمسك، و العطور، والعنبر، والتوابل ليتاجروا في بلاد المغرب و أوروبا.[1]

كما اشتغل اليهود كسماسرة في أسواق المغرب الأوسط، ومنها أسواق بلاد الحمادين وكان لهم دور كبير في الصفقات والأعمال التجارية بالأسواق. وفي بعض الأحيان يقوم اليهودي الحرفي بدور الدلال في الأسواق و يشرف على عمليات المزايدة فيها[2].

وما يلاحظ وجود اليهود بمراكز العبور المغربية بكثافة، كتلمسان و تيهرت والمسيلة وقسنطينة حيث يتحكمون في الأسواق، والمبادلات التجارية الضخمة بين أقطار المغرب، وبلاد السودان من جهة، وبين بلاد الغرب والتجارة على طول السواحل الغربية لبحر الروم، ومراقبتهم للطرق البرية المتصلة بطرابلس و برقة باتجاه مصر، وبلاد المشرق.

و يبين هذا أن الصناع من اليهود، كانت لهم نشاطات كبيرة، وسمح لهم بمزاولة حرفهم بكل حرية، والظاهر أنهم احتكروا لأنفسهم في بلاد الحماديين حرفة الصياغةو المصنوعات النسيجية الثمينة.

ب–طائفة النصارى:

ضمت قلعة بني حمّاد هذه الطائفة وكانت منظّمة ولها حرّيتها التجارية والدّينية حيث كانت لهم كنيسة يتولاها أحد رجالاتهم الدينيين و يمارسون فيها طقوسهم الدينية بكل حرية وذلك مدة حكم الأمراء الحمّاديين المعروف عنهم أنهم غاية في التسامح و الرفق بالرّعية[3]. وأفادنا إسماعيل العربي نقلا عن Dumas Latrais ، أنه مازالت بعض نسخ المراسلات بين الناصر والبابا

1- بنبليع عبد الإله، الرقيق في الخطاب السياسي المغربي- الأندلسي البسيط، كلية الآداب، ظهر المهراز، فاس، مجلة الآداب والعلوم الانسانية، 2005)، العدد السادس، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية، قسنطينة،24

2- حواتيان ف، دراسات في التاريخ الإسلامي و النظم الإسلامية، تحقيق، عطية التومي، (ط،1،الكويت: وكالة المطبوعات، 1980)، 238،239 مسعود كوني ابن كواني، اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين، رسالة لنيل شهادة الماجيستر في التاريخ الإسلامي، عبد الحميد حاحيات، 1991)، 114

3- G. .Marçais. Les Arabes en Berbérie . Paris,1870,1871,87

غريغوار السابع محفوظة حتى الآن في متاحف روما، وقد أرسل البابا الفنيين، والصناع الجنويين الذين تتحدث عنهم المخطوطة التي نقلها البحّاوي للمساهمة في بناء قصور النّاصرية [1].

وكان عصر بني حمّاد من أحسن العصور الإسلامية في مجال احترام الحرّيات الدينية لجميع الطوائف دون استثناء ففي عهدهم تأسست أوّل كنيسة بالقلعة سنة (400هـ/ 1009م)، يديرها قسيس يدعى أسقف.(Evêque) [2].

وفي عام (508هـ- 1114م) ، تأسست كنيسة مريم العذراء، في مدينة القلعة، بإدارة القسيس عزّون المعروف عند العامة باسم الخليفة وكانت داره تقع بجانب الكنيسة[3].

وممّا جاء في كتاب تاريخ الجزائر العامّ أنه جاءت يومئذ بعثة من رجال الكهنوت من طرف البابا إلى بجاية تردّد آيات الشكر والثناء معترفة بفضل الناصر ومننه على المسيحية ونقل عن الأب (ميشون) أنه قال :" إنّ من الحزن للأمم المسيحية أن يكون التسامح الديني الذي هو أعظم ناموس المحبّة بين الشعوب هو ما يجب أن يتعلمه المسيحيون عن المسلمين"[4]، وكان أوّل تبادل تجاري حدث بين ملوك بجاية والجنويين في عهد الناصر بن علناس وذلك في عام(/1181م) ، فقد كانت بعض الحروب بين الناصر والممالك المسيحية في عرض البحر ممّا اضطّر مدينة بيزا أن تطلب في رسالة موجهة للعامل الحمّادي أن يترك المفاوضات جارية بينهما فيما يخصّ شراء هذا الأخير لجلود مدينة بيزا [5]. كما أنّ عددهم كان كبيرا في مدينة بونة.

وكان أهل بيزا الإيطاليون يتزلون مدينة بجاية ،وهناك أخذوا وتعلموا صناعة الشمع ، فقد كانت توجد في مدينة بجاية مصانع للشمع ، ومنها نقلوه إلى بلادهم و إلى أوروبا ، ولا يزال مسمى الشّمع عندهم (بوجي Bougie) و كذلك في اللغات الأوروبية الأخرى إلى يومنا هذا [6].

1- إسماعيل العربي، المرجع السابق، 461

2- روحي إدريس، المرجع السابق، 92/2

3- L.Golvin , Le Maghreb Central à l'Epoque des Zirides,Recherches d'archéologie et d'histoires,Alger 1959,204

4- الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، (ط،7، الشركة الوطنية للتوزيع، 1990)، 369/1

5- إسماعيل العربي،المرجع السابق،462

6- Féraud; Histoire des villes de la province de Constantine, Paris, 1870,1871,p218

وخلاصة الفصل، فإن النتائج المقتضبة التي يمكن أن توصل في هذا الفصل، فيما يخص الحرف المرتكزة على المعادن و على حرف أخرى تابعة لها وتدور في فلكها.

فالحماديون لم يقيموا هذه الصناعات من العدم بل أنهم أخذوها عن جيرانهم الزيريين و بني عمومتهم، ويعتقد أن أماكن تواجد الصناعات المعدنية، كانت تقريبا تأخذ المنحى التقليدي، الذي كان عليه المغرب الأوسط، لما كان تابعا للزيريين و من قبلهم الفاطميين، فتذكر المصادر، لا سيما ابن حوقل عن وجود صناعة المحاجر في مجانة، وصناعة الحديد ببونة، ومناجم الحديد ببسكرة، غير أن الحماديين، كما بينته هذه الدراسة قد وسعوا من نطاق هذه الصناعات المعدنية، في المدن الجديدة التي أنشأوها،لا سيما القلعة وبجاية.

و مما يدعم قولنا هذا ظهور أحياء سكنية، خاصة بالعمال و الحرفيين، التي سميت باسم الحرفة التي يمتهنونها.

و قد ربط الحماديون بين التنمية الاقتصادية للبلاد و نظروا للحرف المعدنية، كقاعدة واسعة لإنتاج الوسائل اللازمة الداخلة في الصناعة الفلاحية، و الصناعات الحربية، و بذلك حققوا الاكتفاء الذاتي في هذين المجالين، من الاكتفاء الغذائي، والحربي.

واستطاع الحماديون تأمين الطريق الرئيسي الذي يربط بلادهم ببلاد السودان، وبذلك ضمنوا التزود بالمعدنين الثمينين، الذهب و الفضة، حيث وضعوا صناعات كثيرة، ومهروا فيها، بل و صدروا منتجات الذهب و الفضة إلى خارج حدود دولتهم، نظرا للعلاقات التجارية التي أقامتها الدولة الحمادية، مع كثير من أقطار العالم، والدول الأوروبية، لا سيما مع الأندلسيين من المسلمين، و ملوك جنوة و البندقية وروما، تشهد على ذلك الوثائق المتبادلة بين حكام، و أمراء دولة بني حماد، لا سيما في عهد الناصر والمنصور بن علناس.

وطور الحرفي الحمادي من التقنيات المستعملة في إنتاج المنتجات الحمادية، خاصة المتعلقة بالفخاريات و الخزفيات ، والتي تشهد على ذلك الآثار المستخرجة من الحفريات التي أقيمت في

القلعة وبجاية.كمركزي استقطاب الحرفيين والفنيين من كل الأقطار، يأتون للعمل و الاسترزاق في هذه الدولة الفتية، المتفتحة على الرقي و التقدم و الحضارة[1].

و أشار كلود كاهن إلى التناسق الكبير في مراتب الحرفيين بين مدن القلعة وبجاية ومسيلة وغيرها من الحواضر الحمادية،مع مثيلتها في قرطبة بالأندلس،والقاهرة وبغداد في المشرق[2].

أما أنواع الحرف في المدن الحمادية وبالخصوص في القلعة وبجاية،فهي كثيرة وتشبه الحرف الموجودة في عصرنا الحالي.فالصناعة الخشبية وفن النقش على الخشب،لا زالت أثارها بادية في محراب قسنطينة،ومحراب سيدي عقبة ببسكرة[3].

وتوفرت المدن الحمادية على صناعة غذائية متكاملة،منها صناعة الزيوت و الطبيخ وفنونه كالأطعمة بمختلف أنواعها وصناعة التين المجفف،وصناعة الحلويات التي تعتمد أساسا على صناعة السكر وتكريره.

ووجدت بالمدن الحمادية صناعة نسيجية متكاملة،منها الثياب الصوفية والمنسوجات القطنية والكتانية،وصناعة الجلود والأحذية.فاشتهرت القلعة بالثياب الصفيقة النسيج الحسنة التطريز،وانتشرت كثير من الصناعات المعدنية في مراكز ومدن كثيرة من الدولة الحمادية.منها الصناعة الحديدية والنحاسية،كصناعة الأسلحة والدروع والسيوف والسفن والحرابي وغيرها.وصناعة الحلي وأدوات الزينة للمرأة.

وخلصت هذه الدراسة في هذا الفصل إلى قيام صناعة زجاجية متطورة وفخارية، لا زالت إلى يومنا هذا محفوظة بعض آثارها في متاحف سيرتا بقسنطينة. ومتحف القلعة نفسها.ومتاحف أخرى في العاصمة وغيرها.وأما الصناعة الفخارية فالحرفي الفنان الحمادي قام بابتكارات جديدة، وطور من الحرف التي كانت سائدة في العصر الأغلبي و الفاطمي و الصنهاجي. و لا يسعنا القول إلا أن نضف إليها إشارات تاريخية، جاءت في المصادر التاريخية، وهي استعانة الحماديين في بداية أمرهم، بالحرفيين القيروانيين بصورة خاصة، في إنشاء منظومة حرفية قائمة بذاتها ومستقلة في

1-روحي إدريس، المرجع السابق، 107/2

2- Claude Cohen, op.cit, 367

3- G . .Marçais: les Faïences à Reflets métallins de la Grande Mosquée de Kairouan, Paris, 1928,7,10

القلعة أولا، وبجاية ثانية؛ أعطت السمات الذاتية، لقيام منظومة حرفية حمادية، لها تقاليدها العريقة، وجذورها النظرية العميقة، التي خلدها التاريخ، والشواهد الأثرية التي بين أيدينا اليوم[1] تدل على ذلك.

و هذا في اعتقادي، يعود إلى عاملين أساسيين: العامل الأول، الروح القتالية و العسكرية، وحب التفوق الذي ميز الأمراء الحماديين، ابتداء بحماد بن بلكين، الذي يصفه التاريخ من أول وهلة، بحبه لإنشاء دولة قوية، تنافس الدول التي كانت على عهده، وربما أن الصفات الشخصية والمواهب القوية، التي كان يتمتع بها حماد بن بلكين، قد أهلته، أن يدرك الصيرورة التاريخية، والسنن القوية التي تبنى عليها المجتمعات، ومنها اكتساب منظومة كاملة من المعارف النظرية، والعملية، ومنها المنظومة الحرفية، التي وضع أساسها حماد، وطورها الناصر و المنصور، كنتاج للسياسات العملية التي نهجها أجداده من قبل[2].

و العامل الثاني، و يتمثل في الظروف التاريخية الإقليمية، التي جعلت من القلعة و بجاية، مركزي نشاط حرفي كبير.

فمن خلال الحفريات التي قام بها علماء الآثار، تحصلوا على نماذج رائعة في الصناعة الفخارية كالأزيار،و الصحون،والأواني الفخارية وغيرها.فالحرفي الفنان الحمادي قام بابتكارات جديدة، وطور من الحرف التي كانت سائدة في العصر الفاطمي والأغلبي و الصنهاجي الزيري والحمادي.

1- روحي إدريس، المرجع السابق، 344/2

2- العبر، المصدر السابق، 177/6

الفصل الثالث

الفصل الثالث: الحرف المتصلة بالسوق

أولا- توطئة

ثانيا: الحرفيون التجار في عصر الدولة الحمادية.

1- الباعة في الأسواق

I- الخزانون

II- الركاضون

III- المجهزون

IV- الباعة الثابتون أو القارون

V- الباعة المتجولون

2- الحطابون

3- الوسطاء (الدلالون أو السماسرة)

4- الحرفيات من النساء

ثالثا- حرفة صناعة المكاييل و الموازين

رابعا: الصناع الأجراء

خامسا: الحرف المتصلة بالكتابة

1- حرفتي الوراقة و التجليد

2- حرفتي النسخ و الخط

أ- حرفة الخطاطين

ب- حرفة النساخين

3- حرفة التوثيق

خامسا: المحتسبون و المكاسون

1- الحسبة على الأسواق

2- المكس و المكاسون

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الحرف المتصلـــــة بالســـــوق

أولا: توطئة:

ابتدأ الإنسان معاملاته التجاريـــــة منذ القـــدم، ومارس نشاطه الاقتصادي عن طريق المبادلات في شتّى أنواع البضائع، وأصناف السلع، فأنشأ لذلك أسواقا عند تقاطع الطرق الهامّة،وملتقى الأنهار الكبيـــرة يؤمّها البائعون والمشترون [1] .

وحث الإسلام الناس على الكسب الحلال عن طريق العمل بالتجارة واكتساب المال عن طريقها. قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذين آمنوا لما تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم »، [2] وقال أيضا: وأحل الله البيع وحرم الربا »، [3] وطبيعي أن البيع الذي أحله الله للناس يكون مجاله الطبيعي هو السوق، فقد أولى الإسلام السوق عناية فائقة واهتماما بالغا[+].

هذا وكانت السوق في عهده ﷺأقرب منها إلى الطول منها إلى العرض، وكان يباع فيه من أنواع الأطعمة والسلع مثل السمن والأقط [5] والتمر والحنطة ونحوهما،وكان للبزّازين مكان معروف خاص بهم في السوق، [6] وقد حظي السوق في عهده ﷺ بكثير من الرعاية والاهتمام فوضع له آدابا وسن له ضوابط ومنع كل شكل من أشكال بيوع الجاهلية المتضمنة بيوع الغبن والغرر والغش والربا وما شابه ذلك. ومنع بيع المحرمات فيه،كالخمر والخنزير، والتفاخر بالأباء والأجداد في أشعارهم كعادتهم في الجاهلية [7].و هذا يعني أن السوق الإسلامي ظهر إلى الوجود في المدينة المنورة، كان أول من دشنه الرسولﷺ. ويبدو أن الرسول ﷺ، هو أول محتسب في الإسلام، إذ كان يمشي في أسواق المدينة، ويراقب السلع التي تباع فيها، فيأمر وينهي، ويزجر إذا وجد من يخالف الشرع في سلعه، ومن ذلك أنه غمس يده في طعام أحد الباعة، فوجد أن الماء قد بلل

1- أحمد بن يوسف بن أحمد الدريوش، المرجع السابق، 25-26.

2- النساء، 29

3- البقرة، 275

4- الدريوش، المرجع السابق، 30.

5- ابن سعد : الطبقات الكبرى ،(بيروت:دار صادر،1377هـ-1957م)،125

6-الكتاني عبد الحي الفاسي، التراتيب الإدارية ، الناشر محمد أمين،(بيروت: دمج، د.ت)، 2/ 31-32

7- ابن سعد ، المصدر السابق، 184

أصابعه، فقال: " من غشنا فليس منا"، وظهر التخصص في الأسواق على عهد النبي ﷺ، إذ خصص ناحية من سوق المدينة إلى البزازين، و خص ناحية أخرى لباعة الطعام.

وبلغ اهتمام الخلفاء بأمور السوق مبلغا عظيما، أن أحدثوا لها ولاية خاصة تعرف "بولاية الحسبة" مهمتها الإشراف على الأسواق وكذا متابعة ومراقبة المعاملات الجارية فيها مع معاقبة كل من تسول له نفسه الإخلال بنظامها، وهذه الولاية يديرها موظف أطلق عليه " المحتسب" [1]. و أدى جعل كل حرفة في سوق واحد إلى تنظيم الصناع على أساس الحرفة التي يمارسونها، فظهرت أسواق متنوعة تحمل اسم الحرفة التي تمارس فيها، كسوق النخاسين بحومة المذبح ببجاية[2] و سوق الدهاقين[3] . و لا ريب أن الرقعة الحمادية عرفت هذه الأسواق، لا سيما وأنها تمتد في منطقة استراتيجية بالنسبة للمغرب، و مفتوحة في كل الاتجاهات، كما أن تطورها الحضاري أعطى أهمية للسوق، باعتبارها أصبحت قبلة للتجار و الحرفيين من كل صوب، لاشتهار هذه الرقعة، لا سيما القلعة و بجاية بنفاق الحرف فيها.

وتنقسم الأسواق في بلاد المغرب إلى قسمين:

أ-القسم الأول

عبارة عن معامل للصناعات اليدوية، حيث يتم فيها تحويل المواد الأولية إلى منسوجات صناعية، ومن بين هذه الصناعات المهمة الحياكة. و غالبا ما تكون هذه الصناعات في الأسواق المعدة للبيع.

ب-القسم الثاني

وتختص فقط ببيع السلع، وتمتاز هذه الأسواق أن حوانيتها أضيق من تلك المذكورة في القسم الأول؛ ولتنظيم هذه الأسواق تنظيما محكما فقد جعلت فيها قيساريات تكون أماكن لأرباب الحرف، وتلعب دور أروقة مختصة لبيع القماش بأنواعه من الحرير و الكتان و القطن و الصوف والعطور، و أنواع التوابل[4].

---

1 - الدر يوش المرجع السابق،38.

2-العربي، المصدر السابق،76

3- نفسه،188

4- فاطمة طهواري، المرجع السابق، 299

و نظمت الأسواق في مدينة القلعة، فجعلت الأسواق التي تبيع الأقوات والثّياب وما يحتاجه النّاس لمعاشهم في المدينة قريبة من الدور، أمّا الأسواق التي تبيع – أو التي يمارس فيها أصحابها حرفة قد تكون ضارة بالسّكان كالحدادة والدّباغة وغيرها- فقد جعلت في أرباض خارج المدينة .و ربما أن هذه الأوقات التي لا يتواجد فيها الناس بهذا المكان راجع إلى ممارسة حرف تضر بالناس من حيث التلوث، وتسبب في أمراض خطيرة للناس، مما جعل الفقهاء وأصحاب الأسواق من الأمناء والمحتسبين يأمرون بإخراج هذه الحرف إلى خارج المدن.

و اشتهرت مدينة القلعة بأزقتها الضيقة وبالحوانيت التي تقع في الأسواق مصطفة مع بعضها البعض مقابلة للشوارع المكتظة بالمارين من الناس، وقد تقع بعض الأحيان مناوشات بين أصحاب الحوانيت والدور القريبة منها فقد اشتكى أحد السكان من ضرر الحانوت المقابل له " فتداعيا إلى القاضي ابن عبد الرفيع فشهدت عنده بينة أنّ الجالس في الحانوت لا يرى ما يكون في السقف وإنّما يرى من يكون بين أبواب الدار وإذا مـــــرّ خارجا ".[1]

أصبحت بجاية بديلا عن مدينة القلعة، و بمنأى عن يد بني هلال، ذلك أن القلعة أصبحت في هذه الفترة متدهورة وفقدت دورها الحضاري لتفسح المجال لانتقال النشاط الحضاري إلى العاصمة الجديدة، و يعلل إسماعيل العربي ذلك بالظروف السياسية السائدة، منها الهجمات التي تعرضت لها الدولة الحمادية،خاصة القلعة مما أدى إلى نزوح الحرفيين و أصحاب المهارات إلى بجاية[2].

والواقع أن الحماديين أعطوا اهتماما كبيرا لبجاية في تنمية أسواقها و تنظيمها تنظيما محكما، و تأسيس المرافق الضرورية فيها كبناء الفنادق و الخانات في ضواحيها حتى تكون مريحة للتجار وأرباب الحرف و الصناعات القادمين إليها من مختلف الأقطار، وهذا ما جعل شهرتها تطبق في الأفاق؛ فأصبح التجار و أهل الصناعات يفضلون أن يتاجروا ويعملوا فيها على غيرها من الأقطار الأخرى، بل حتى العلماء و الصالحون قد انجذبوا إليها و منهم من مارس مهنته في أسواقها[3].

1- أبو عبد الله محمّد بن عبد الملك المرّاكشي : الذيل و التكملة لكتاب الموصول و الصلة ، تحقيق،محمّد بن شريفة، (المغرب: أكادمية المملكة، د.ت) ، 2/ 427

2- إسماعيل العربي، المرجع السابق،156

3- العربي، المصدر السابق،164

وقد اعتبرت منطقة وارجلان مركز استقطاب كبير للمصنوعات،خاصة الأواني النحاسية التي كانت تجلب عادة من تاهرت وكذلك الخشب المنقوش المرصع بالعاج، و المصنوعات الحديدية كالأسلحة والأقفال، والأفاريج، والملح والعطور، و المنسوجات الحريرية، والصوفية، والقطنية، والكتانية، والفخار المطلي و المزخرف، و كذلك الحلي الذهبية و الفضية، وقد أشار بعض المؤرخين إلى المنتجات منها الأكسية القطنية و الكتانية، وثياب الصوف والعمائم، والمآزر، وأصناف الزجاج، والأصداف والأحجار الكريمة[1].

كان أرباب الحرف و الصناعات في جميع المدن الإسلامية قد نظموا أنفسهم في تخصصات فرعية، كصانعي القوارير الزجاجية و الأواني الفخارية و الخزفية، إلى جانب صانعي المعادن، وحدادين،والطرازين وغيرهم. بل أنه قد وجد التخصص في الحرفة الواحدة، كل صاحب فن يكمل الآخر في المهنة التي اختص بها. وهكذا ظهرت عدة تخصصات من الصياقلة الذين يشحذون السيوف و الصفارون الذين يصقلون النحاس الأصفر بالإضافة إلى صانعي الصواني والصاغة والحاكة و الخياطين و الصباغين و نحوهم[2].

كانت كل طائفة من الحرفيين على رأسها واحد منهم يدعى شيخ الطائفة،التي تتجمع في حارة أو حي معين بحيث كان لكل طائفة سوق خاص بها يقع عادة بالقرب من المسجد، الذي يعتبر مركز النشاط الاقتصادي في المدينة[3]. و غالبا ما يمارس الحرفيون أعمالهم في منازلهم أو في دكان ينتمي إلى مجموعة الحوانيت المتخصصة في حرفة واحدة، تقوم بتوفير الإنتاج[4].

الظاهرة التي انتشرت في أسواق بجاية قيام أرباب المال باستخدام أصحاب الحرف في دكاكينهم بعد تجهيزها بكل لوازم العمل، فكان الصنّاع يعملون بأجر للنّاس، منهم الحدّادون.وكانت بمدينة بونة أسواق متخصّصة في بيع العسل و الكتّان والسمن يحضرها التجّار وأهل الصناعات من كلّ صوب[5].

1- بوعصبانة سليمان، معالم الحضارة الإسلامية بورجلان، (296/ 626هـ/ 909/ 1229م)، ماجستير العلوم الإسلامية، إشراف، محمد ناصر، (جامعة الجزائر: المعهد الوطني العالي لأصول الدين، 1992)، 159

2- أحمد عبد الرزاق أحمد، المرجع السابق، 263

3- ناصيف سعيد، المرجع السابق، 299

4- نفسه، 66

5- نفسه،154

ومنهم القصارون وصناعي الأرحية [1]. وهذا يبين أن أرباب الحرف من الحدادين والقصارين وغيرهم لم تكن لهم رؤوس الأموال الكبيرة من أجل توظيفها في ممارسة الحرفة، ويستنتج من هذه الحال أن هذه الحرف لم تكن لتوفر لهم مركزا اجتماعيا و **خلاصة القول** أن المغرب الأوسط في العهد الحمادي أصبح همزة وصل أساسية بين دول الشمال والدول التي تقع جنوب الصحراء، فيه يتم تبادل جميع السلع بين هذه الدول، ما أدى إلى التطور الاقتصادي السريع في الدولة الحمادية نتيجة تدفق الأموال على خزينة الدولة من جراء هذا النشاط الاقتصادي الكبير.

ثانيا: الحرفيون التجار في عصر الدولة الحمادية

تحدث الدمشقي في مصنفه" الإشارة على محاسن التجارة"، عن التجار وجعلهم ثلاثة أصناف.وحرفة التجارة،هي حرفة سواء كانت في التجارة الداخلية أو الخارجية و تشمل المبادلات بالسلع و البضائع التي تنتج محليا،ساعد على ذلك انتشار الأسواق، وتوفر الطرق و المسالك المواصلات بين مختلف المناطق المتباعدة، والتي تعد عاملا مؤثرا في الحركة التجارية، وتحدثت المصادر عن الانتعاش التجاري الذي ميز بعض المدن، وتسبب في انتشار حرفة التجارة. وتكمن أهمية هذه الحرفة في المجتمع الحمادي بتوفير السلع و البضائع في الأسواق الحمادية بأسعار تكون في متناول جميع طبقات المجتمع.

1-الباعة في الأسواق:

ظهر في الحواضر الحمادية و قراها باعة في الأسواق، يتوزعون بين الأسواق الداخلية، والخارجية، من ذلك اشتهار باعة الأنعام من سائر الماشية و الدواب و الكراع ببونة[2]. التي اشتهرت بتربية حيوانية ضخمة ساعدت على بروز حرفة الباعة في الأسواق ونشط هؤلاء الباعة في تصديرها إلى المناطق المجاورة، لا سيما إلى الأسواق الكبيرة، في الدولة الحمادية و التي كانت معروفة في تلك الحقبة.

1- البرزلي: المصدر السابق،4/ 404.

2- ابن حوقل، المصدر السابق، 77

و أشارت المصادر الجغرافية إلى نشاط باعة الألبان و المواشي بمرسى الدجاج، و يقوم هؤلاء بتصدير هذه السلع إلى المناطق المجاورة لهم، مما رخص في أسعارها في أسواق المدن الحمادية[1].

وهذا ما يبين الوفرة في إنتاج هذه السلع، و تسويقها إلى جميع المناطق الحمادية، و تعويمها للأسواق.

و نشط باعة المواد الأولية للثروة الحيوانية، لا سيما الصوف الكثير من مسيلة و الجلد المدبوغة من بجاية التي كانت تعم أكثر بلاد المغرب[2].

I. -الخزانون:

وهو الذي يشتري البضائع وقت توفرها في السوق، ويدخرها لوقت احتياج الناس إليها وهي قليلة فعندئذ يعرضها في السوق.

وقد سماهم يحي بن عمر" بالمحتكرين"،[3] و لم يجز سحنون شراء الطعام من أهل البادية خارج الأسواق، لما يترتب من هذا البيع الإضرار بالمسلمين[4].و شكلت الفنادق مؤسسات اقتصادية هامة، فكانت مخازن للسلع، حيث يقوم الخزانون التجار بتوزيعها على الأسواق، فقد جاء عند الدباغ لما ترجم للفقيه أبي الحسن الدباغ[5] فكان يملك فندقا كبيرا مخزنا للبضائع، يقصده الناس من كل موضع. وهذا يدل أن الفنادق استخدمت كمخازن كبيرة ومستودعات للسلع عند اشتداد الطلب عليها. و في هذا الصدد أشار ابن حوقل إلى ظاهرة تخزين البضائع في الفنادق بقوله:" كان يقصد كل فندق بما يعلم أنه يغلب على أهله من أنواع التجارة"[6] . يستنتج من هذا النص أن التخصص في حرفة التخزين كانت منتشرة في الدولة الحمادية و سائر بلاد المغرب عموما، وللأسف الشديد

1- نفسه، الصفحة نفسها

2- نفسه،72

3- أحكام السوق، 114

4- المدونة الكبرى، 103/10

5 - هو أبو الحسن علي بن محمد بن أبي سليمان وأخذ العلم عن جبلة بن محمود من علماء القيروان للقرن الرابع الهجري/10م، وبالمقابل أخذ عنه القابسي، توفي سنة (359هـ/ 970م)، انظر، القاضي عياض، المصدر السابق، 525/4، 528

6 - صورة الأرض، 362

لم يعثر على إشارات في المصادر تشير إلى أسماء هذه الفنادق منسوبة للسلعة التي اختصت بها اللهم ما ذكر التادلي من فندق الزيت بسلا في المغرب الأقصى[1].

وإذا أسقطنا هذا القول على الدولة الحمادية، فغالب الظن أن هذه المخازن كانت موجودة في المدن و الحواضر الكبرى كالقلعة، و بجاية، وقسنطينة نظرا لتواجد التجار، و المسافرين إليها، لا سيما من البادية الذين لا يستطيعون البقاء في هذه المناطق مدة طويلة بسبب التكاليف الباهظة ، ولذلك فإنهم غالبا ما يلجأون إلى هذا الأسلوب في بيع بضائعهم، حيث يقومون بتخزينها في هذه المخازن من أجل أن يقوم الوسطاء و الدلالون المكلفون ببيعها في الأسواق.

II. الركاضون:

وهو التاجر الذي يتعامل مع بلدان مختلفة، ويذهب لجلب التجارة من البلدان المختلفة، وأول عمل يقوم به هو معرفة نوع السلع التي يجلبها[2].و عرف في بلاد المغرب بالجلاب، لأنه يقوم بتزويد الأسواق بالسلع يجلبها من المدن و القرى القريبة، و حتى البعيدة، كالذين يذهبون إلى صقلية والأندلس وبلاد السودان من أجل جلب السلع إلى الأسواق الحمادية[3]. وقد أورد الونشريسي خبرا أن أحد التجار وهو عبد الله بن خيرة، كان وكيلا عن أموال صاحب السوق و الأحكام بالقلعة الوزير محمد بن الليث، فكان يجلب البضائع متصرفا بهذه الأموال من الأسواق البعيدة، إلى أسواق القلعة.

III. -المجهزون:

هو الذي يجهز البضائع ويرسل بها إلى وكلائه لبيعها، وهو الذي يكون له مقر دائم و ثابت في مكان ما، وضع عنه وكلاء في أماكن، و بلدان أخرى ينوبون عنه في السفر، و إبرام الصفقات التجارية[4].ثم يرسل لهم البضائع ليبيعوها في الأسواق المكلفين بها، حيث يترك لهم حرية التصرف

1 - التشوف إلى رجال التصوف، المصدر السابق، 205، 206

2-لواتي دلال، عامة القيروان في العصر الأغلبي، (184- 296هـ/ 800- 908م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط،إشراف ، بوبه مجاني، (قسنطينة: كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، 2002) ، 181

3- نفسه، 82

4- الدمشقي، المصدر السابق، 42، 49

فيها، ويبقى داخل المدينة ليجهز بضائعه ثانية ويرسلها إلى وكلائه مرة أخرى[1]. و نشط هذا الصنف في تجهيز الفواكه من جزائر بني مزغنة لاسيما في محصول التين الذي كان من المنتجات الشهيرة من هذه المنطقة، إذ كان يجهز منها إلى القيروان بواسطة وكلاء يتركزون في هذه المدينة كما وجد هذا الصنف(المجهز) في مدينة بونة، حيث كان يجهز البضائع، ويرسلها إلى وكلائه الموزعين بين مدن المغرب[2]. و أما في مدينة المسيلة، فكان المجهز، يرسل بالبضائع الضخمة من السفرجل المعنق، إلى وكلائه بالقيروان في حين كان المجهز، يرسل بضاعته من الجوز من سطيف، إلى سائر وكلائه بالمدن المجاورة[3].

IV. الباعة القارون

توزع الباعة في الدكاكين باختلاف الحرفة التي يمتهنونها، لا سيما في القلعة فانتشرت الدكاكين يبيعون الطيلسان و الأكسية القلعية المشهورة المطرزة بالذهب، ومنها دكاكين تبيع الصوف الناعمة الممتازة النوع.

وكانت تنصب الأديرة في القلعة وبجاية، دكاكين لبيع الرحى و المطاحن. وكان أحد الأشخاص يدعى عبد الرحمن الفلاني قد شارك الفقيه ابن عتاب بمدينة القلعة، في شركة إنتاج المطاحن والرحى، على أن يقدم ابن عتاب رأس المال، أما الآخر فيقوم بالعمل على أن يكون الربح مناصفة بينهما.[4]وكان الفقيه أبو عبد الله محمد بن أبي الفرج المازري[5]. يشتغل في التجارة، متخذا منها حرفة له لكسب معاشه[6]. وكان أبو علي عمر بن عزون السلمي[7]، وهو من العلماء المشهود لهم بالعلم والتقوى و الاجتهاد يجلس في حانوت له للتجارة في سوق قيسارية بمدينة بجاية"مع سعة علمه وبراعة فهمه"[8].

1- عبد العزيز الدوري، المصدر السابق، 125 لواني دلال، المرجع السابق، 182

2 - ابن حوقل،المصدر السابق، 77،78

3 - نفسه، 85

4- نفسه،356

5- المازري،يعرف بالذكي،سكن قلعة بني حماد،وتفرغ للتدريس والفتوة،قال عنه عياض"كان فقيها حافضا"،انظر،المدارك، 341

6- القاضي عياض، المصدر السابق،2/341.340.

7- أبو علي عمر بن عزون السلمي، رحل إلى بلاد المشرق وقرأ بها ومهر، ووصل بجاية و ظهر واشتهر وحظي بها وكان المشاور و المفتى كان له حانوت يجلس فيه للتجارة بسوق قيسارية ببجاية، انظر، عنوان الدراية، المصدر السابق، 218

8- العبريني، المصدر السابق،218

ويبدو أن الفقهاء كانوا عمليين لأن ممارسة المهن بصورة عملية تجعلهم أقرب إلى روح الواقع وبالتالي فإن الأحكام التي يصدرونها كانت ملائمة لروح العصر.ومما لاشك فيه أن التجار كانوا يتعاملون بالصكوك في معاملاتهم[1] .

شهدت الأسواق الحمادية أصنافا مختلفة من الباعة أصحاب الدكاكين، كغيرها من مدن بلاد المغرب كالمهدية والقيروان، وهم الذين يبيعون القمح والشعير و الفول و العدس و الحمص. والسمن و الزيت و اللحم كالعسال (بائع العسل)، و السمان (بائع السمن) والزيات (بائع الزيت)[2]، و الجزار[3](بائع اللحم). ومن المعروف أن حوانيت هذه السلع كانت ملتصقة بعضها مع بعض، يتميز أصحابها بالسمعة الطيبة بين الناس، والأمانة وحسن الخلق، زيادة على النظافة الشديدة التي يتميزون بها.ومنهم الخبازون (باعة الخبز)[4]، و باعة اللبن (اللبانون)[5].

في حين أن أصحاب الحوانيت التي تتخذ من المحلات كمقر للحرفة التي يمتهنونها، كان أصحابها يمارسون عملية البيع ليس في دكاكينهم، بل أنهم يكلفون صنفا من الباعة المتجولين يدعون المنادون وهم من الدلالين ينادون على السلع في الأسواق، ومنهم الصاغة و الفخارون والعطارون و الخرازون[6].

ويبدو أن هؤلاء الباعة من التجار كانوا يوجدون بكثرة في مدينة تيهرت على عهد بني حماد، نظرا لازدهار التجارة فيها لتواجد التجار المشارقة فيها فكانت بلاد المغرب الأوسط هي الأخرى محطة لتجار المشارقة، حيث ذكر" ابن الصغير" بوضوح شديد و تفصيل دقيق وجود هؤلاء التجار في مدينة تيهرت، وهو يتحدث عن الرستميين و هو عمق تاريخي لتيهرت الحمادية فقال:" وأتتهم الوفود و الرفاق من كل الأمصار وأقاصي الأقطار"[7].و هذا يدل على تنامي الحرف في أسواق تيهرت و بلاد المغرب الأوسط عموما في عصر بني حماد، مما جعل الدلالون عليها

1- ابن حوقل، المصدر السابق، 96

2- نفسه، 50، 51، 65

3- نفسه، 68، 71

4- نفسه، 54، 55

5- يحي بن عمر، المصدر السابق، 63، 64

6- لواتي دلال، المرجع السابق، 183

7 - أخبار الأئمة، المصدر السابق،20

يتكاثرون في الأسواق الحمادية، ويقومون بالبيع لأصحاب المحلات والسبب في ذلك في رأي أن أرباب الحرف لم يكن لهم الوقت الكافي لامتهان هذه الحرف من جهة وبيعها في الأسواق من جهة أخرى. ويستنتج أن الطلب على المنتوجات الحرفية في الأسواق الحمادية كان كبيرا من طرف الزبائن، وهذا ما يفسر مستوى الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية التي وصل إليها المجتمع الحمادي.

V. الباعة المتجولون:

كان هؤلاء الباعة يطوفون في الأسواق، يبيعون الثياب و الألبسة و الأردية، و الأطعمة الفواكه والخضر، وكل سلعة يمكن حملها، يتخذون الطرق و المنافذ المؤدية إلى المساجد، أماكن للمناداة على سلعهم[1] . ومن ذلك أن الفقيه جبلة بن محمود (ت. 297هـ/ 909م)، اهداه سحنون بن سعيد وهو يتتلمذ عليه في الحلقة التي كان يقيمها بالمسجد بعد صلاة العصر شقة و رداء ، فلما خرج من المسجد تلقفه الباعة وعرضوا عليه أربعون دينارا ليريدوا في ثمن البيع.[2]

و أغلب الباعة المتجولين من البادية ، ذلك أن هؤلاء يأتون بسلعهم من البوادي و القرى من أجل بيعها في الأسواق الكبيرة في المدن ومنها بجاية، حيث كانت فيها فنادق لاستقبال هؤلاء الباعة، و تخزين سلعهم. على أنهم لم يكونوا ليستطيعوا المبيت في هذه الفنادق أكثر من ليلة أو ليلتين. فيتحتم عليهم الأمر ببيع سلعهم يتجولون بها في الأسواق جملة[3]. فقد كانوا يطوفون في شوارع القلعة و بجاية، وحدث التخصص لهم باختلاف مبيعاتهم، وقد يتخذ هؤلاء الباعة أماكن لهم معينة في فترات معينة، ينتحي أحدهم جانبا من السوق ينادي على سلعته[4] .كما فعل الإمام القاضي عبد الحق الإشبيلي في سوق بجاية، حيث كان ينادي على الثياب المخيطة التي كان يبيعها في ناحية سوق قيسارية، المحاذي لباب البحر في بجاية[5].

1- المالكي، المصدر السابق، 405/1

2- نفسه، 31/2

3- يحي بن عمر، المصدر السابق، 114، 115

4 - ومعظمهم يكون في الرحاب كرحبة بن دراج. أنظر. المالكي، المصدر السابق، 235/1

5 - الغبريني، المصدر السابق،164

2- الحطابون:

انتشرت حرفة الحطابة في المدن القريبة من الغابات، فكان العمال الأجراء، يحتطبون من الغابات المجاورة ويبيعون الحطب في الأسواق، إذ كان لهم جناح خاص[1] فيها. وهذا يبين ازدهار هذه الحرفة في المدن الحمادية إذ أن الحطب كان يستعمل في البيوت، ويصنع منه الفحم للتسخين، خاصة في فصل الشتاء. و هذا يبين الرفاهية التي كان عليها المجتمع الحمادي من كثرة المداخيل، التي سمحت لفئات واسعة من شراء الحطب من السوق، و استعماله في البيوت و المحلات و الفنادق من أجل أغراض مختلفة. وهذا يبرز المستوى المعيشي الذي كان عليه الفرد الحمادي، و ارتفاع مستوى دخله الفردي.

3- الوسطاء (الدلالون أو السماسرة)

السمسار الذي يدور بالسلعة و يطوف بها على التجار و غيرهم و يردد يقول: من يزيد؟، ومن الباحثين من فرق بين الدلال و السمسار،فالدلال هو الذي يعرف القادمين من التجار بموضع السلع في البلد و يعرف أرباب السلع بالتجار ، وهو الذي يدل المشتري على البائع، ويدل البائع على المشتري[2] .

كان الوسيط أحد الأطراف الفاعلة في عملية الفعل التجاري في بلاد المغرب وقد يتخذ صفة الدلال و البراح في الأسواق وقد يكون السمسار.[3] يجوب الأسواق في حين كانت ظاهرة السمسرة متفشية في أسواق المغرب[4]. وكثيرا ما كانت المعاملة بالسمسرة تظهر بين أهل البادية، فهؤلاء كانوا غالبا ما يكلفون سمسارا له خبرة بالأسواق بيعا و شراء من أجل التكفل ببيع سلعهم، نظير أجر يأخذونها منهم، نظرا لقلة خبرة تجار البادية بفنون المعاملة في أسواق الحاضرة[5].

---

1 - البكري، المصدر السابق، 26

2- عبد الرحمن بن صالح الأطرم، **الوساطة التجارية في المعاملات المالية**، أصل هذا الكتاب رسالة دكتوراه أشرف عليها، معالي الشيخ، بكر بن عبد الله أبو زيد،(ط، 1،ط،2 ،الرياض: دار اشبيليا، مركز الدراسات و الأعلام، 1995، 1997)، 52

3- فاطمة بلهواري، المرجع السابق، 309

4- نفسه، الصفحة نفسها

5- حودت عبد الكريم، المرجع السابق، 165

وأشارت كتب النوازل إلى موضوع السمسرة و السماسرة في الأسواق وكانت مواضيع الفتاوى في هذا المجال قد تكلم عنها الونشريسي في المعيار، عن طريق الفقيه القيرواني" أبي العباس الأبياني"[1].

ومما جاء في هذه المسائل قوله:" هل يلزم التاجر الشراء إذا زاد غيره في مناداة السمسار، فأجاب: لا يلزمه الشراء إذا زاد غيره عليه"[2]. أما مسألة التعويض للسمسار في ثمن البيع، وموضوع ضمان السمسار، فيبدو أنه كثيرا ما كان يتعرض للمضايقات و الابتزاز من طرف كبار التجار، خصوصا فيما يتعلق بانخفاض ثمن البيع وكذلك السلع المتلفة عن طريق الضياع أو السرقة، أو غيرها من الوجوه.

ويبدو أن السمسرة انتشرت في أسواق دولة بني حماد، كغيرها من أسواق المغرب، خاصة في السلع الثمينة، لما يتطلبه من خبرة تجارية واسعة بنوع السلع، وطبيعة الأسواق؛ إذ لا يستطيع الرجل العادي أن يمارس عملية البيع بنفسه، لنقص خبرته في هذا المجال، ومن ذلك ما أورده ابن حوقل من انتشار السماسرة بمرسى الخرز، في قوله:" كان للتجار بها أموال كثيرة من أقطار النواحي عند سماسرة وقوف لبيع المرجان[3]. وشرائه"[4]. وكان يجتمع التجار بمرسى الخرز، يستأجرون أهل تلك النواحي على استخراج المرجان من قعر البحر[5].و لكن الأجواء تغيرت بعد غزوة بني هلال للمنطقة رأسا على عقب، فقد أشارت بعض المصادر إلى التقلبات التي حدثت في الأسعار و الابتزازات وأعمال النهب، مما دفع كثير من التجار للبحث عن وكلاء لهم الخبرة الكافية في معرفة الأسواق

1- هو عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن إسحاق، صاحب ابن أبي زيد القيرواني، وله مؤلف عن مسائل السماسرة، انظر، القاضي عياض، المدارك، 3/347،352

2- المعيار، 8/ 355،356

3- تفاصيل الأرقام و الحسابات الواردة في هذه الفتوى، أنتج بيع المرجان، 484 دينارا +1/3+ 1/188/4 (أجزاء الدينار)، و أنتج بيع الحرير من ثمن بيع المرجان و37 دينارا+ ¼ من ثمن بيع الحرير، واشترى قفاف نيلة (مقابل 377 دينارا)، وخمس حصر كتان (213 دينارا)، و القرنفل (102 دينار)، و المسك (25 دينارا)، و معا حر و قماش حرير وفبقة (سندس)، (50 مثقالا)، وبقي من هذه العملية نحو 35 دينار، وبلغت القيمة الجملية لهذه الشراءات 800 دينار، فسدد 40 دينارا أجرة السفينة وأنفق 330 دينارا، إلا قيراطين لسد نفقات الإقامة. و لما سئل العامل عن وزن سعر النيلة و الكتان أعطى المعلومات التالية/ النيلة في الإسكندرية 11 قنطارا غلا ربع قنطار بسعر 33 دينارا معلوم النفقات و 4 دنانير مصرية كانت عنده من قبل، فتكون النتيجة، 376 دينارا + الدنانير المصرية، في حين تبلغ القيمة المعلن عنها 377 دينارا، انظر، روحي إدريس، المرجع السابق، 2/287

4- صورة الأرض، 76

5- القزويني، المصدر السابق، 260

الآمنة التي لا تطالها يد الأعراب، و لم يجدوا ضالتهم إلا عند السماسرة الذين كانوا يكلفونهم بالاتجار فيها مقابل أجرة معلومة[1]. و هذا في اعتقادي تحامل كبير على الهلاليين، وربما من نظرة عنصرية من طرف الصنهاجيين المغاربة الذين آلمهم أن يروا بلاد المغرب تسقط في يد العرب البدو القادمين من صعيد مصر، و هذا ما جعلهم يغالون في نسب كل نقيصة لبني هلال.

عمل الدلال :

اقتصر عمل الدلال على إشهار البضائع للبيع معلنا أثمانها و مشرفا على عمليات المزايدة فيها، وبالتالي يحاول أن يتدخل في كل معاملة تجري بالسوق، غرضه في ذلك فسح مجال نفوذه فيها[2]. فعمل الدلال إذن يقتصر على إشهار السلع، فهو كوسيلة إعلامية تجارية كما نسميها اليوم. وتبلغ مهارة الدلال، عندما يستطيع أن يبيع كل السلع المسندة إليه، مع ارتفاع ثمنها، ففي هذه الحالة يكون له قبول عند التجار، فيزداد الطلب عليه لمهارته.

ومن بين الأسواق، التي كانت تستعمل وساطة الدلال سوق الكتاب، لأنها لا غنى لها عن الإشهار، وتبيان ما يريده الزبائن من أنواع الكتب و المخطوطات، حسب أذواقهم و تخصصاتهم. فظاهرة التدليل قد انتشرت بين بائعي الكتب. فقد روى يحي بن عبد الرحمن الفقيه، قال :" سمعت عبد الرحمن بن عامر يقول، قال لي أبو عبد الله الهواري: دلني على علم انظر فيه، فقال، لي: اذهب إلى سوق الكتب، فأول كتاب تجده بيد الدلال فادفع إليه ثمنه ولا تفتحه حتى تأتيني به، فذهبت إلى سوق الكتب في بجاية فوجدت بيد الدلال سفرا يساوم فيه بأربعة دراهم فدفعتها له"[3]. الواضح من هذا النص أن سوق الكتب كان يتولاها الدلالون، و يبدو أنهم كانوا من نوع خاص، بمعنى أنهم كانوا مثقفين، يميزون بين نوع الكتب غثها و سمينها، لكن المصادر التاريخية لم تخبرنا عن الجلابين لهذه الكتب للأسواق، هل هم الدلالون أنفسهم أم أن التجار و أرباب الأموال هم الذين يقتنونها إلى الأسواق، وغالب الظن أن الدلالين عليها في الأسواق هم الذين يقومون بجلب هذه الكتب إليها، باعتبار أن لهم القدرة والخبرة الكافية في معرفة عناوين الكتب، وما هو قائم الطلب عليه،

1- روحي إدريس، المرجع السابق، 269/2

2- فاطمة بلهواري، المرجع السابق، 309

3- التادلي، المصدر السابق، 179

ولذلك فإن الكتب التي انتشرت بصورة واسعة في بلاد المغرب الأوسط هي الكتب الدينية، إذ شغف الناس في ذلك الوقت بكتب الفقه، ولاسيما الفقه المالكي الذي كان له شهرة خاصة في بلاد المغرب الأوسط على عهد الحماديين.

وليس معنى هذا أن الكتب العلمية الأخرى المهتمة بالعلوم الدنيوية غير موجودة، بل أنها كانت تهتم بأمور الطب و الهندسة وفنونها، و الدليل على ذلك تفوق المهندسين الحماديين في فن العمارة عن غيرهم من المهندسين المعاصرين لهم، و خير دليل على ذلك الآثار العمرانية في القلعة وبجاية التي لا تزال شاهدة على روعة العمارة الحمادية إلى وقتنا الحاضر.

وهذا التخصص في وجود سوق خاص للكتب في الحواضر الحمادية، و بلاد المغرب على العموم، يمكن لنا أن نستنتج وجود أسواق متخصصة أخرى في كل حرفة من الحرف تجعل التجار والزبائن يقصدونها لشراء ما يحتاجونه منها، ويعتقد أن الدلالين قاموا بدور كبير في إنشاء هذه الأسواق المتخصصة، باعتبارهم شكلوا فئة صلبة في توزيع المنتجات الحرفية و البضائع في الأسواق، لاسيما فيما يخص الثياب و بيع المنسوجات على اختلاف أنواعها، و الحلي من الذهب و الفضة وغيرها.

4- الحرفيات من النساء

كان إلى جانب الأسواق المتخصصة في بجاية، أسواق عامة يؤمها التجار و الحرفيون وأصحاب المهن بل حتى النساء الحرفيات كن يتاجرن فيها، فقد ذكر الغبريني" أن بعض السوداوات من غسالات الثياب كانت على رأسها رزمة من الثياب فأخذت لها في الزحام في سوق البحر"[1].

و الواضح من هذا الإفادة أن ظاهرة استعمال النساء السوداوات في الحرف في الأسواق في العهد الحمادي كانت منتشرة بقوة في أسواق بجاية و القلعة، خصوصا في الطبخ و الغسيل. حيث يتبين أن حرفة غسل الثياب في الأسواق كانت مربحة، و الطلب عليها قائم من كثير من الناس. و هذا ما يجعلنا نعتقد أن كثيرا من أرباب الأموال كانوا يشترون النساء الرقيقات من بلاد السودان، بغرض استخدامهن في هذه الحرفة التي تدر عليهم الكثير من الأموال. و قد غض الفقهاء الطرف عن التعرض لهن باعتبارهن عبيدات و لسن من الحرائر رغم أن الاختلاط في الأسواق بالرجال قد

1 - روحي إدريس، المرجع السابق، 101

يؤدي إلى وقوع الفواحش في الأماكن العامة و هذا قد يعود إلى ضعف السلطة في الدولة الحمادية، مما جعل الحرفيين تكون لهم حريات واسعة في استغلال هؤلاء النسوة في العمل في الأسواق، و قد تكون هذه الحرف خاصة بالنساء العجائز اللاتي لا يطمع فيهن، و كانت بعض النسوة منهن يبعن السلع عند أبواب دورهن، ومنهن من تتبادل البيع و الشراء في الأسواق مع الرجال، و كانت المرأة تستعين في ذلك بدلال له خبرة بالأسواق، و يقوم الباعة من المسلمين بتوزيع السلع على النساء في الدور فتخرج المرأة إليهم للشراء سافرات الوجوه في زمن الصيف[1].

و اختصت النساء في بيوتهن بمعالجة النسيج، من غزل الصوف و تهذيبه، و كانت صناعة اللفائف الخيطية مقتصرة فقط على النساء، و كذلك التطريز و صناعة اللفائف الذهبية و الفضية من اختصاص النساء الغنيات، لما يمتلكنه من مال لتوفير المادة الخام التي تدخل في هذه الصناعة[2].

وحرفة بيع الرقيقات كانت رائجة في الأسواق الحمادية، لا سيما عن طريق الغزو في البحر والمسمى القرصنة[3]. و أصبحت المرأة في بجاية على عهد الناصر بن علناس، لها الحق في عقد الصفقات التجارية، مع قوافل التجار القادمين لهذه المدينة، فقد ذكر الجنرال" دوبيلي" قصة المرأة التي باعت مائة شحنة من الزيت لقافلة من التجار القادمين لهذه المدينة، –ومن شدة أمانة المرأة وتقواها– أنها لما لاحظت في بعض الأواني الفخارية و قد مات فيها فأر فاستدعت مباشرة تلك القافلة قبل خروجها من المدينة و أبدلتها سلعة جديدة. و هذا يبين الحرية الكبيرة التي كانت تتمتع بها المرأة الحمادية، مما جعلها تأخذ نفس حقوق الرجال، لا سيما في عقد الصفقات التجارية وممارسة الحرف في الأسواق و هذا ما جعلها تشكل علاقات في المعاملات و الأعمال مع الرجال وأصحاب الحرف.

1 – كمال السيد أبو مصطفى، المرجع السابق،70

2 - ROGER LE TOURNEAU,OP.CIT ; 60

3 – روحي إدريس، المرجع السابق، 299/2

ثالثا: حرفة صناعة المكاييل و الموازين :

اختلفت أسماء المكاييل في مدن المغرب الإسلامي اختلافا واضحا بين مدينة وأخرى ، فكان اسم الصفيحة يطلق على الكيل في مدينة تنس في زمن بني حماد ، ومقدار ها يساوي ثمانية وأربعين قادوسا وكان مقدار القادوس ثلاثة أمداد بمد الرسول ﷺ

وكان الكيل في هذه المدينة على نوعين: أحدهما يسمى بالقفيز ومقداره ست عشرة ويبة ، وكل ويبة اثنا عشرة مدّا قرويا ،وهذا المدّ يقارب المدّ النبوي والثاني يسمى الصفحة ، وكل صفحة مقدارها اثنا عشر مدّا من مدّ النبي ﷺوعند مقارنته بالكيل الحفصي، نجد أنه يساوي ثمانية أمداد بالكيل الحفصي [1].و كان القفيز يستعمل لكيل السوائل كالزيت[2]. ويبدو أن القفيز المستعمل عند الحماديين هو نفسه القفيز القيرواني الذي يساوي ثلاثة أرطال فلفلية أي حوالي 1.23 غ[3].

و هذه المكاييل على أنواع، منها الشموخة،و هي عبارة عن إناء من فخار يستعمل لكيل الزيت والعسل و اللبن و السمن ، وهي غالبا ما يكون كيلها 4 لترات.و صنع الحرفي أنواع من المكاييل منه، لودرة ، الربوعي، الثموني و النصافي صنع بنفس الطريقة التي صنعت بها الأكيال التي سبق التحدث عنها كالشموخة و غيرها، لكن شكله يشبه البرمة: و كيله يبلغ 8 لترا.

رابعا: الصناع الأجراء

كان الأجراء والصناع في الأسواق يقبضون متاع الناس من أصناف يدعون القصّار، وعادة ما تكون خياطة الملابس و صباغتها ، وصناعة الحلي وغير ذلك من الحرف في بيت القصّار ويكون هو المشرف على هذه الحرف والضّامن لمن سلّم له بضاعته من الناس . وتنوعت الإجارات على عهد بني حمّاد ، فأشار الونشريسي إلى إجارة رجل يكون له شجر توت يعطيها رجلا آخر. [4]وأشار كذلك إلى الإجارة على حلج القطن وطحن القمح وخياطة الثوب .فكانت إجارة الحلاج

1- القلقشندي،المصدر السابق،114

2- القاضي عياض، المصدر السابق، 202/2

3- فاطمة بلهواري، المرجع السابق، 253

4 - الونشريسي، المصدر السابق،184/8.

أخذه حبّ القطن ،أمّا الطّحان فكان يأخذ مقابل طحنه للقمح نخّالة الطحين والخيّاط ، كأن يأخذ له أجرة من القصاصات المتبقية من قطعـــــه للثياب [1].

توزعت الصناعة الحرفية في المعادن على عهد بني حماد إلى أقسام كثيرة، فالحفر والسبك والتصفية يقوم بها حرفيون مختصون فيكون أجرهم حسب الحالة التي تم الاتفاق[2] عليها و منها:

ترتبط أجرة العامل بطبيعة العمل الذي يقوم به و عليه فكان إذا استأجر رب الصناعة في معدن الحديد أو النحاس أو غيره عمالا له في الحفر، و السبك والتصفية، بأجر معلوم، اشترط الفقهاء عليه أن يحدد طبيعة ما يقوم به العامل، وهذا يدل على أن دور الحرفي كان متخصصا في حرفته، و من المعلوم أن الحرف كانت منفصلة بعضها عن بعض، فالحفر يقوم به عمال متخصصون في هذا الجانب، و التصفية يقوم بها عمال آخرون حيث يعالجون هذه المواد المختلطة بالتراب، بتقنيات خاصة، لفصل معدن الذهب، و الفضة عن الشوائب الملتصقة به، ثم العمال المختصون بسبك المعدن في الورشات الخاصة.

و الملاحظ أن الورشات المختصة بالحفر و التصفية، كانت تقام بقرب مناجم المعادن من الحديد والنحاس و الفضة، في حين أن ورشات التصفية تقام في المدن، القريبة من دور الصناعة منها دور صك العملات الخاصة في بجاية و السبك في القلعة[3].

وجد هذا النوع من الإجارة في مدن بلاد المغرب، حيث يقوم رب الحرفة بتسخير حرفيين مهرة يستخرجون المعدن من الأرض، ويستعملون في ذلك قفافا معلومة الوزن يكون لهم نصيب منها.

وقد أفادتنا نوازل الفقهاء ببعض الفتاوى تبين لنا هذا النوع من الإجارة فعلى سبيل المثال أفتى الفقهاء على عهد بني حماد للقائمين على حرفة استخراج معادن الرصاص في المناجم

1- عز الدين أحمد موسى ، المرجع السابق،485.

2- البرزلي، المصدر السابق، 514/3

3- الإدريسي، المصدر السابق، 146

بذلك[1]. وكان العمل في المناجم جاريا بتلك الطريقة في بجاية، حيث كانت معادن الجص تستخرج من قرية متوسة وتنقل إلى بجاية[2].

وكان الحال كذلك في الأطعمة، والقطن، والحبوب، فالنخالة تكون من نصيب رب القمح (المالك لمادة القمح) لا للأجير من طحان ولا للعاملين معه بأجرة، وكذلك تكون الخراطات من السراويلات (السراويل)، والتقصيص من الثياب لصاحب الثياب وليس للأجير في ذلك شيء، وكان العمل بذلك قائما في دولة بني حماد وبالخصوص في المدن الكبيرة كالقلعة وبجاية؛ أما حب القطن الذي يقع منه عند ندفه، فكان من نصيب صاحب القطن ليس لمن يقوم بهذا العمل من أجر.[3] و هذا يدل على ازدهار هذه الحرف في القلعة و بجاية، منها حرفة تقصير الثياب، و خياطة السراويل، وندف القطن، وغربلته، وطحن القمح و الشعير والحنطة. مما يبين درجة النمو الاقتصادي، و اتساع الحرف و تنوعها في المجتمع الحمادي، دلالة على الرقي الحضاري الذي وصل إليه المجتمع، من حيث ترتيب الحرف و تنوعها وإتقانها مما دفع بالفقهاء، للاهتمام بها، ووضع أحكام لها ؛ وفتاوى في تنظيم هذه الحرف و الأعمال، وفق أحكام الشريعة الإسلامية[4].

و بما أن هذه الحرف قد وجدت في الحواضر الكبرى و المدن الكبيرة فإن هذا يعود إلى السياسات الحكيمة المتبعة من طرف الأمراء الحماديين، الذين أدركوا أهمية الحرف في بناء الدولة. و توفير حاجيات الدولة و المجتمع.

و الواقع أن توفر الموارد الأولية و المالية، ساعد في إيجاد يد عاملة ماهرة؛ اكتسبت ثقافة فنية وحرفية في جميع أنواع الحرف التي عرفت في القرن الخامس الهجري؛ وهذه الثقافة لم تأت هكذا، بل حتما أن الدولة الحمادية، قد وفرت جميع المستلزمات و الأدوات من أجل تعليم جيل كامل من الحرفيين والفنيين في إتقان هذه الحرف[5].

1-البرزلي، المصدر السابق، 119/3

2- نفسه،125/3

3- نفسه،240/3

4- الونشريسي، المصدر السابق، 158/8

5- مؤلف مجهول، الاستبصار، 126

تناول الونشريسي في نوازله، فتاوى صدرت عن الفقهاء منها مسألة"الإجارات والأكرية والصناع"[1]. وجاءت فتوى عن حالة الحرفي الذي أخذ أجره من الثياب التي كان ينسجها. في حين حددت نازلة أخرى وقعت في قرطبة، أن أحد المستخدمين أخذ أجرته من الحليب الذي كان يعمل في إنتاجه لدى أحد الصناع وكان الحمالون في مدينة مالقة[2] يأخذون أجورهم أكياسا[3] من القمح. ووجد في المغرب الأوسط صنفان من الإجارة. في هذا النوع من الإجارة يكون الصانع الأجير يقبض أجرته سواء من رب العمل الذي استخدمه في حانوته، أو ورشته نقدا في اليوم الذي قام فيه بالعمل، والصنف الثاني من الإجارة، أن يقبض الأجير أجرته مقابل الخدمات التي يقوم بها، أي قبل الشروع في العمل، وهذا النوع الأخير، انتشر بكثرة عند الحمامين و الحجامين، فكان على سبيل المثال يطلب من الزبون الذي يريد أن يستحم، دفع أجرة الحمام و الدلك قبل أن يدخل الحمام و يدلكه الدلاك.

وكذلك الحجام يقبض أجرته قبل القيام بخدماته للزبون، وقد أفتى الونشريسي بالعرف السائد في أسواق المغرب،كحالة تسبيق الأجرة للنخاس على السلعة التي يبيعها في السوق، حيث يقوم رب السلعة بتقديم الأجرة للنخاس؛ على أن يقوم هذا الأخير ببيعها في الأسواق. فجاء الونشريسي وقال عن ذلك " أجرة النخاس في سلعة وقعت ليبيعها وله فيها إجارة مثل هؤلاء الذين يبيعون في السوق"[4] .

من هذا النص نعرف أن الفقهاء قد رخصوا في قبض الأثمان قبل القيام بالأعمال، وإن كان وقع اختلاف كبير بين الفقهاء في ذلك العصر بسبب هذه الرخص. و تفسير ذلك ربما أن كبار الفقهاء أقدموا على هذا الترخيص لتحريك الأعمال التجارية التي كانت راكدة بسبب قلة النقود خاصة بعد سحب كميات ضخمة منها من طرف الفاطميين عند رحيلهم لمصر وبقاء الدينار المتداول في الأسواق هو نفسه[5].

1ـ الونشريسي:المصدر السابق،221/8

2- مالقا: كلمة عجمية وهي مدينة بالأندلس عامرة من أعمال ربة سورها على شاطئ البحر ، انظر، ياقوت، المصدر السابق، 52/5

3ـ Maya-Shatz, Miller,**op.cit**,369

4ـ الونشريسي،المصدر السابق،202،203/5

5- العزيز الحو دري، المصدر السابق، 95

وقد أمدتنا مصادر الفقه والنوازل بمعلومات عن مسألة التغريم في الحرف والصناعات على عهد الحماديين؛ فقد ذكر البرزلي أن صانع الأواني الفخارية كان يغرم إذا تسبب في تكسيرها، وهذا المغرم يذهب لصاحب الورشة أو المصنع، الذي هو بدوره يقدم ضريبة الدولة"، ويغرم قومة الجامع إذا كسروا قناديل الإضاءة بثمنها أو بمثلها"[1].

الواضح أن التغريم في هذا النص قد عم جميع الفئات العاملة، لم يستثن في ذلك حتى العمال القائمين على شؤون المساجد كمنظفين، و حراس، و مضيئي القناديل.[2]

وكان السقاة و الخرّازة و المؤذنون يتقاضون أجورهم .واشتغلت المرأة طبّاخة في البيوت وحجّامة وكانت تطحن الدقيق بأجر معلوم، ومارست كذلك مهنة الغزل في دور الأغنياء وفي بيتها، و اشتغلت معلمة للبنات تعلمهن القصائد والكلام وحسن الأخلاق واشتغلت كذلك حمّالة تأخذ لوح العجين على رأسها فتذهب بها إلى الخبّاز.

وقد يشترك شخصان أو أكثر في أخذ أجرة عن حرفة يقومان بها سويا ، فذكر الفقيه المالكي ابن عرفة حالة الحمالين الذين اشتركوا في أجرة ما يحملونه، وسجّل الونشريسي عقدا قام بين شخصين كشريكين متفاوضين فقال: "قام عند الوزير صاحب الأحكام والسوق محمّد بن الليث وعبد الله بن خيرة بعقد[3] استدعاء يشهد من يتسمّى في هذا الكتاب من الشهداء أنهم يعرفون محمّدا وعبد الله بن خيرة بأعيانهما وأسمائهما شريكين. وتاريخه جمادى الأول من سنة ثمان وخمسين وأربعمائة[4].و هذا يبين أن الاشتراك في عمل حرفة من الحرف بين شريكين كان منتشرا في العهد الحمادي، قد رسمه الفقهاء لا سيما عن طريق توثيقه بوثيقة تكون شاهدا عليهما في حالة الاختلاف و الخصومات التي كثيرا ما كانت تقع بين الشريكين.

1ـ البرزلي،المصدر السابق،560/3

2- ابن سعيد المغربي، أبي الحسن علي بن موسى، **كتاب الجغرافيا**، تحقيق، إسماعيل العربي،(ط،3،الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1982)، 126 .

3- عقد استئجار صانع لنسج الكتان" استئجار فلان فلانا النساج لنسج الكتان أو القطن أو الحرير في طرازه على آلات لحاضرته مدينة كذا بسوق كذا بحومة مسجد كذا لمدة كذا أولها شهر كذا بكذا و كذا دفع المستأجر منها كذا و قبضها الأجير و يدفع إليه باقيها عند انقضاء كذا إجارة صحيحة"، انظر، إبراهيم بوتشيش، المرجع السابق، 34

4- مؤلف مجهول، الاستبصار، المصدر السابق، 169.

وتتم عملية الكراء في أسواق مدن المغرب الاوسط في بعض الحالات، بلجوء أهل الصنف الملاك إلى استئجار آلة الصناعة إلى صانع، أو مستثمر وفق حالتين اثنتين:

1- إمـــا أن تكون صيغة عقد الكراء بأجر معلوم وأجل معلوم .

2- و إما أن يشترط ربّ الآلة على الصانع مبلغا معينا من المال على كل قطعة تنسج أو كمية تطحن ، وتكون أجرة الكراء نصفه أو ثلثه أو ربعه .[1] وإذا لم يستطع ربّ السلعة أن يدفع ما عليه لأهل الصناعات ، سواء كانوا خياطين أم قصّارين أو غير ذلك من أهل الحرف ، فعلى صاحب الحرفة أن يحبس ما عنده من السلع حتى يستوفي غيره.[2] في ذلك ويتقاضون على عمامة واحدة دينارين أو أزيد.

ويبدو أن الدولة الحمادية كانت تؤجر الحوانيت لأرباب الحرف مقابل دراهم معدودة، إلا أن المصادر التاريخية لا تخبرنا بقيمتها من النقود. ويعتقد أن تأجير الحوانيت يخضع في كثير من الأحيان إلى أهمية الأسواق في بيع السلع،فإذا قارنا بما هو عليه قيمة استئجار الحوانيت في القاهرة في القرن الخامس الهجري في عهد الفاطميين، لم تكن تقل عن دينارين في الشهر[3].كما وجدت حوانيت في الأندلس تؤجرها الدولة لأرباب الصنائع[4].ويؤكد هذا أن الدولة الحمادية كانت تؤجر الحوانيت لأصحاب الحرف في الأسواق مقابل أجر شهري، وهذا يعني أن الدولة كانت تقوم ببناء الحوانيت و الدكاكين من أجل الاستثمار فيها، وهذا القول ينطبق على العقارات الأخرى لاسيما المساكن و المساحات المخصصة لعرض السلع و تخزينها.

خامسا: الحرف المتصلة بالكتابة

1- حرفتي الوراقة و التجليد: كثير من المؤرخين يردون اكتشاف الورق للصينيين، وأن العرب قد نقلوا مادة الورق إلى بلادهم أثناء الفتوحات التي قاموا بها في الهند و السند، وأصبحوا على تخوم بلاد الصين، فهل صحيح أن العرب أخذوا صناعة الورق من الصينيين؟.

1- القلقشندي، **المصدر السابق**،115.

2- مؤلف مجهول، الاستبصار ، **المصدر السابق**،170.

3- أبي معين الدين ناصر خسرو القبادياني المروزي،**سفر نامة**، رحلة ناصر خسرو، ترجمة أحمد خالد البدلي، (الرياض: عمادة شؤون المكتبات، 1983)، 89،90

4- الشيخلي، **المرجع السابق**، 152

من المعلوم أن العرب لم يفتحوا بلاد الصين وإنما فتحوا البلدان التي على تخومها، ومن المحتمل أن العرب أخذوا هذه الصناعة عن الفرس، حيث أبدع الوزير الفضل البرمكي الصناعة الأولى للورق في بغداد، إذ حدث ذلك في سنة (178هـ/ 794م). و منذ ذلك التاريخ انتشر الورق بسرعة في جميع البلاد الإسلامية حتى بلغ الأندلس، واقتضى ذلك الأمر حوالي ثلاثة قرون حتى وصل إلى أوروبا[1].

لقد أورد المؤرخون أنه في سنة(300هـ/ 912م)، لما فتح العرب سمرقند، لاحظوا أن لأهلها طريقة في تحليل الكتان وتشكيل عجينة منه، بعد عمليات معالجة هذه العجينة، فيحصلون على أوراق رقيقة جدا، ومن ثم انتشرت هذه العجينة على نطاق واسع في جميع البلاد، وحلت في الأسواق محل الورق الصيني الباهض الثمن[2] .وهذا يعني أن العرب قد تعلموا هذه الصناعة عن أهل سمرقند، في استخراج الورق من الكتان، ويبدو أنها بقيت محلية في هذه البلاد، و أن العرب هم الذين نشروها في جميع الأقطار التي يحكموها و هي أقطار واسعة جدا.

و أدى انتشار التعليم إلى إقبال الناس على اقتناء الكتب فأصبح لها أسواق خاصة بها[3]. فكان الوراقون يعيشون من مهنتهم، ويظهر أنها كانت تدر عليهم أرباحا كبيرة، فينفقون منها على الفقراء، و ذوي الحاجات[4]. وارتبطت أجور الوراقين بأسعار الورق فانخفضت هذه الأسعار في السوق كان أجر الوراق مرتفعا، و إن ارتفعت كان أجر الوراق زهيدا[5]. واستعمل الوراقون بداية من القرن الرابع بجودة الخط، وقد ذكر ابن النديم عائلة بنو مقلة الذين اشتهروا كخطاطين أنه لم يضاهيهم أحد في مهنتهم، منهم أبو علي (ت 326هـ/936م)و أبو عبد الله (ت338هـ/949م)، ويبدو أن مهنة الوراقة قد كسدت في أسواق المغرب في نهاية القرن السادس، فقد ذكر صاحب كتاب "المطرب من أشعار المغرب"، أبو محند بن سارة الذي كان يحترف الوراقة على كساد سوقها وفساد طريقها[6].ربما يعود هذا الكساد إلى الإضطرابات السياسية التي أصبح عليها المغرب الأوسط

1- رسيلد حاك، **الحضارة العربية**-ترجمة غنيم عبدون، مراجعة، أحمد فؤاد الأسواني، (القاهرة: الدار المصرية للترجمة والنشر)، 119

2- نفسه،120

3- نفسه، 121

4- إسماعيل العربي، **الوراقة في قلعة بني حماد** ، مجلة الأصالة، العدد،19، 335

5- فهمي عبد الرزاق سعد، المرجع السابق، 158

6- علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد، **المطرب من أشعار المغرب**، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، 125

ففي هذه الفترة كان الانتقال من لون سياسي إلى آخر بظهور الموحدين على مسرح الأحداث وانتقال الحكم إلى الدولة الموحدية، مما جعل الكتاب يتهيبون من نظام الحكم الجديد.

وكان المغاربة قد عرفوا وسيلة الكتابة منذ القديم، فقد ذكر ابن أبي زرع، إن البربر كانوا يكتبون على الرق[1].

وكان الوراقون يكتبون المصاحف و الدفاتر على الرقوق[2]. ثم تطورت الحرفة في عهد الأغالبة، فأصبحت وسيلة الكتابة هي "الكاغد" وهو ورق مصنوع من الكتان، وكان يصنع في القيروان وتونس و المهدية وفي العهد الصنهاجي انتقلت هذه الحرفة من إفريقية إلى أوروبا عن طريق صقلية وجنوب إيطاليا[3].

أما في بلاد المغرب الأوسط، فلا توجد إشارات و معلومات مؤكدة عن انتشار صناعة الورق في حواضر دولة بني حماد. ويستنتج أن حرفة الوراقة و الكتابة على الكاغد انتقلت من القيروان في العهد الزيري إلى قلعة بني حماد وبجاية وباقي الحواضر الحمادية الأخرى. حيث أن هذه الصناعة قد انتقلت إلى مدن الأندلس في القرن الرابع الهجري. وهذا دليل أن هذه الحرفة قد وجدت في بلاد المغرب الأوسط، قبل ظهور الحماديين فيه. إذ أن مراكز العبور إلى الأندلس[4] تقع على سواحل مدن المغرب الأوسط،والأقصى كمدن سبتة و بجاية و تنس التي كانت مراكز مهمة لصناعة الورق في القرنين الخامس و السادس للهجرة/الحادي عشر و الثاني عشر ميلادي[5].

وفي الأخير فبرغم نقص المعلومات التي تتكلم عن الورق و الوراقة و التجليد في العهد الحمادي، إذ لم تتعرض كتب الطبقات و التراجم لمن مارسوا هذه الحرفة في الحواضر الحمادية كالقلعة و بجاية وهذا ليس لأن هذه الحرفة كانت شبه منعدمة في هذه الحواضر،بل ربما أن اتجاه هؤلاء في الكتابة، كان يأخذ منحى آخر، إذ لم تكن في اهتماماتهم باعتبار أن هذه المهنة من المهن

1- الروض القرطاس،48

2- فاطمة بلهواري، الموجع السابق، 102

3- روجي إدريس، الموجع السابق،251/2

4- ورقات،207/1، 164/2،165

5- فاطمة بلهواري،الموجع السابق،216

التي كانت تقع في أدنى سلم الحرف؛ ومن الملاحظ أن مدن و حواضر الدولة الحمادية اشتهرت بالمادة الأولية لصناعته كبونة ومسيلة وطبنة.

2- حرفتي الخط والنسخ

أ-حرفة الخطاطين

تعد الكتابة على الآثار في مجال العمائر، و الفنون من أبرز ما يميز الفن الإسلامي عامة، فقد أستطاع الحرفي الفنان أن يجعل من الكتابات المختلفة عنصرا هاما من عناصر الزخرفة بجانب الاستفادة من نصوص الكتابة ذاتها.[1] وفي أقطار المغرب الإسلامي عثر المنقبون على شقف مزخرفة بالخط الكوفي المطبوع القالب بالكلمات المتداولة وهي " **الملك**"على أبدانها ماعدا على الأواني الخزفية.[2] وهذه الكتابات وجدت على عدة أنواع وهي :

الكوفي المورق و المضفر، و الهندسي الأشكال حيث دلت الحفائر المكتشفة في خرائب القلعة، على وجود هذا النوع من الخطوط على جدران قصر البحر[3]؛ أما الخط اللين فقد وجد في محراب قسنطينة .

ب- حرفة النساخين

اشتهرت هذه الحرفة في بلاد المغرب، و مارسها كثير من الوراقين، و الخطاطين خاصة في قصور الخلفاء و الأمراء، وكانت هذه الحرفة قد مارسها كذلك كثير من الفقهاء و الكتاب، ينسخون للناس الكتب و المصاحف و دواوين الشعر مقابل أجر معلوم. وتعرض ابن الحاج إلى تعريفها في المدخل بقوله: " اعلم وفقنا الله و إياك أن هذه الصنعة من أهم الصنائع في الدين، إذ بها تصان المصاحف و كتب الأحاديث و العلوم الشرعية فيحتاج في ذلك إلى النية المتقدم ذكرها في الناسخ، لأنه معين بصنعته على صيانة ما تعب فيه الناسخ و حصله، وفيه أيضا جمال للكتاب، و ترقيع له، واحترامه وترقيعه متين، فإذا خرج الصانع من بيته أخذ متمات العالم و المتعلم ما

1- عبد الله كامل موسى عبده، الفاطميون و آثارهم المعمارية في إفريقية و مصر و اليمن، 241، 242

2- نفسه، 244

3- بركات ابراهيم، كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، المغرب، مجلة الأصالة، المرجع السابق، 16

يعتوره ويحتاج إليه، ثم مع ذلك ينوي إعانة إخوانه المسلمين بصناعته على صيغة مصاحفهم وكتبهم ثم يصحب مع ذلك بنية الإيمان و الاحتساب"[1].

و اشتهر كثير من العلماء، و الأدباء، و الخطاطين، و الوراقين بصناعة النسخ، حيث كانوا ينسخون المصاحف والكتب للناس مقابل أجر معلوم، وكان من بين هؤلاء الحارث بن مروان وابنه يحي ناسخين ، واشتهر بفن النسخ كل من إبراهيم بن موسى الماردي و عبد العزيز بن محمد القرشي الطارقي، كانا يكتبان في ديوان رسائل الأمير [2]. وكان الماردي (أو الماردييني)، كاتبا وشاعرا و وأديبا موهوبا وكان الغالب عليه علم الخط: وله من سرعة الحفظ ما ليس لأحد.[3] وكان الطارقي كاتباو خطاطا، اكتسب ثقافته الأدبية في قريته بني طارق بالساحل و إليها ينسب، واشتغل بتأليف ونسخ الرسائل السلطانية و الإخوانية.[4]وكان عبد العزيز بن محمد الطارقي، ينسب إلى بني طارق، أو الطارقي وهي قرية تقع في إفريقية و إليها ينسب، واشتغل بنسخ الكتب وتجليدها.[5] وكان عبد الواحد بن فتوح الكتامي المعروف بالوراق (ت.447هـ /1056م)، حيث اشتغل كأحد نساخ كتاب الدواوين و كذلك إسماعيل بن أحمد المعروف بكاتب كرامة، كتب ونسخ للمنصور بن بلكين الحمادي.[6]

3- حرفة التوثيق:

هي حرفة يقوم بها كاتب بين شريكين إثنين، في مسألة الدين، حيث يكتب الوثيقة بين الشخصيين المتدانين ويوقع فيها المتدانين و الكاتب وشاهدين إثنين بأسمائهما ومكان سكناهما، والبلد الذي ينتميان إليه.

و كان يقوم بهذه الحرفة أشخاص مكلفون من قبل القضاة ولهم إجازات من فقهاء و قضاة الدولة، الحرفة وقد أشار إليها القرآن في أواخر سورة البقرة: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُمْ

1- ابن الحاج، المدخل، 53//4

2- روحي إدريس، المرجع السابق، 386/2

3- كان شاعرا و كاتبا موهوبا و كان الغالب عليه علم الخط، وله سرعة الحفظ مالي لأحد، انظر، ح.ح. عبد الوهاب، مجلة معهد المخطوطات العربية، (القاهرة: دار الفكر، 1955)، 86، روحي إدريس، 402/2

4- ياقوت، المصدر السابق، 440/4

5- روحي إدريس، المرجع السابق، 402/2

6- نفسه، 404/2

بدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلاَ يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى وَلا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلاَ تَرْتَابُوا إِلاَ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَ تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ إِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ [1] » .

يتبين من ذلك حث القرآن على الكتابة، ووضع صيغة العقد الذي بينهما ومدته و كل ما يتعلق بهذا العقد. كالشهود على ذلك مع توقيعهما على الوثيقة، و لأهمية هذه المهنة و خطورتها حيث كان محتسب السوق لا يسمح بممارستها إلا لمن توفرت فيه الشروط التي نص عليها الفقهاء.

و كانت في مدن المغرب دكاكين وقيساريات،[2] تختص بممارسة مهنة التوثيق، يقوم بها عادة من يعرفون جيدا فقه البيوع و الكراء وفق المذهب المالكي. الدولة هي التي تقوم ببناء هذه الدكاكين، ويؤدي أرباب الصنائع مقابل ذلك الكراء وفق وثيقة التراضي التي توقع بين الكاري والمكتري، أي بين الحرفي وممثل السلطة الإدارية التي تنوب عن الدولة.[3]

1- البقرة، الآية، 282، 283

2- القيساريات سوق مبني نسبة إلى قيصر الروم، قدم لها حسن حسني عبد الوهاب، وصفا دقيقا جمع فيه مظاهرها قديما وحديثا، ذكر أنها دكاكين، وهي مباني مربعة الشكل و يحيط بها سور من كل ناحية، و يدخل إليها من باب واحدة، أنظر، ورقات.72/2

3- حسن حسني عبد الوهاب،المرجع السابق،72/2

وقد كانت مهنة التوثيق والشهادة رائجة في مدينة بجاية ولا سيما في أسواقها ودكاكينها. يمارسها كثير من الناس كحرفة رابحة. واشترك في ممارسة هذه الحرفةكثير من العلماء، بل حتى القضاة الكبار زاولوها، من ذلك الإمام عبد الحق بن عبد الرحمن الأشبيلي[1] كان يحترف صناعة التوثيق والشهادة في دكان له بمدينة بجاية رغم أنه كان قاضي الجماعة فيها،[2]كما اشتغل القاضي أبو محمد عبد المنعم بن عتيق العنابي،[3] بصناعة الوثائق وكذلك بإنشاء الرسائل السلطانية فيها[4]. ونقدم أمثلة على ذلك نراها متصلة بموضوعنا و لو أنها تأتي متأخرة منها أن الفقيه أبي عبد الله بن الحسن البجائي[5] ذاع صيته في صناعة التوثيق،كما اشتهر في هذه الصناعة الفقيه ابن منصور القلعي[6].(ت. 660هـ،1262م)، قال فيه الغبريني"كان عالما بأحكام الوثائق والشروط،وكان موثق الوقت"[7]. فحرفة التوثيق كانت رائجة وشائعة في مدينتي القلعة وبجاية، تمارس كمهن حرة بالموازاة مع الحرف الرسمية كالقضاء والمناصب الإدارية الأخرى، والرسائل السلطانية.

والملاحظ أن أصحاب هذه الحرفة كانوا يتنقلون بين العاصمتين الحماديتين، خاصة في العصور المتأخرة من حياة الدولة الحمادية.

ويبدو أن هذه الحرفة بقيت رائجة بالخصوص في بجاية، تعلم كحرفة يقوم بها أشخاص لهم من الخبرة الكافية في إدارة شؤون الناس، في العقار، والمال العام المكتسب في التجارة، والدليل على

1- عبد الحق بن عبد الرحمن الأشبيلي، أبو محمد عبد الحق (ت.628هـ/ 1230م)، القضاء ببجاية، له تآليف عديدة منها، كتاب الأعلام بفوائد الأحكام و تاريخ، النبذة المحتاجة في أخبار صنهاجة، بإفريقية و بجاية، انظر الغبريني، المصدر السابق،193،194

2- الغبريني،المصدر السابق،345

3- أبو محمد بن عتيق العنابي، من أهل الجزائر، كان يشتغل بصناعة الوثائق، كان يتمتع بعلو الأدب في علم البيان، انظر، الغبريني، المصدر السابق،94

4- نفسه،93

5- أبو عبد الله بن الحسن البجائي، كان إماما في صناعة التوثيق وكان عليه الاعتماد في هذه الصناعة بمدينة بجاية، انظر الغبريني، المصدر السابق،227

6- ابن منصور القلعي ،هو محمد بن منصور،من قلعة بني حماد، كان فقيها مشاورا ضليعا في الفقه والفرائض والحساب،انظر،القرافي، في توشيح الديباج،251

7- الغبريني، المصدر السابق،128

ذلك المصادر[1] التي تشير إلى بقاء ممارستها حتى القرن السابع في مدينة بجاية (عهد الحفصيين)، وجل هؤلاء الموثقين قد تدربوا على هذه الحرفة في مدينة القلعة.

سادسا: المحتسبون و المكاسون

1- المحتسبون

تطورت وظيفة الحسبة في بلاد المغرب منذ عهد الفاطميين، حيث أصبح المحتسب موظفا تحت السلطة المباشرة للقاضي، وهي تخص عملية إدارة وتسيير الأسواق، غير أن المعلومات المتوفرة من المصادر التاريخية شحيحة في إعطائنا صورة واضحة عن حالة الأسواق في العهد الحمادي. ويعود أول مصدر تاريخي تكلم عن موضوع الحسبة هو الفقيه يحي بن عمر (ت289هـ/901م) الذي ألف كتابا عن أحكام السوق في الزمن الأغلبي، حيث تضمن هذا الكتاب وصفا مدققا للحياة الاقتصادية و الاجتماعية في السوق المغربية تحت إشراف قاضي يدعى صاحب السوق[2] .و تطورت النظرة إلى مفهوم الحسبة مع الفقيه ابن أبي زيد القيرواني(386هـ/ 992م)، حيث أصبح صاحب السوق له اليد في التحليل و التحريم في السوق وفق ضوابط شرعية مستمدة من أصول الفقه الإسلامي، وهذا يعني أن الحرف الملتصقة بالحرام أو التي تصنع من المواد الأولية المشكوك فيها و المنهي عنها كانت تمنع بصورة كلية في الأسواق، ومن ذلك أن ابن تومرت مهدي الموحدين قد مارس الحسبة بنفسه في مدينة زقّالة ببلاد المغرب الأوسط على عهد العزيز بالله الحمادي؛ فقد كان ينهي الناس عن الأقرار الزرارية وعمائم الجاهلية فيروي البيدق الحادثة بقوله:" وأقبلنا بسبعة مقارع زقاق بزقالة قال لنا تفرقوا على الحوانيت وكانت الحوانيت مملوءة دفوفا وقراقر ومزامر وعيدانا، وروطا و أربية و كيتارات وجميع آلات اللهو، فقال لنا المعصوم اكسروا ما وجدتم من اللهو فقام أربابها بالصراخ وساروا شاكين نحو قاضيهم ابن معيشة وكان يومئذ قاضيها، فقال لهم لولا ما رأى في السنة فما كسّرها ومزقها، مرّوا فإنكم مخالفون للحق "[3].

و جرت العادة عند أهل المغرب أن المحتسب يمشي بنفسه في الأسواق، و يراقب كل شيء، و أعوانه معه و ينتشرون في السوق، وفي يد أحد الأعوان الميزان، الذي يوزن به الخبز

1- نفسه،الصفحة نفسها

2 نفسه، 2/ 55

3- البيدق،المصدر السابق ،91

وتكون في يد أحد الأعوان الآخرين ورقة نقدية لبيع اللحم، يكون المحتسب قد حددها لبائع اللحم، فإن وجد أن أحد التجار قد أخل بهذه القوانين و التعليمات فإن مصيره الطرد و النفي من البلد،[1] أما إن كانت الأسواق كبيرة و قائمة في موضع ثابت في المدينة فإن الحسبة يقومون غالبا بتعيين أمناء عليها، عملهم مراقبة أسعار الفواكه و الزروع وغيرها، ويميزون بين جيدها و رديئها، ويمنعون كذلك التدليس و الغش في المبيعات و التطفيف في المكيلات والموزونات[2]. أما الحسبة على الصناعات الكتانية،فقد ألزمت كتب الحسبة المحتسب بان يجعل على هذا الصنف عريفا ثقة، بصيرا، وعليه ان يحتسب عليهم موازينهم و صنجهم و رطالهم في كل حين[3].

وأشار إلى هذا ابن خلدون، لّما دخل ابن تومرت بجاية وبها يومئذ العزيز بن منصور بن الناصر بن علناس بن حماد من أمراء صنهاجة " وكان من المترفين فأغلظ له ولأتباعه بالنكير وتعرض يوما لتغيير بعض المنكرات في الطرق فوقعت بسببها فتنة" [4]. هذا النص يدل على تهاون العاهل الحمادي وضعف السلطة في مراقبة الأسواق وإزالة المنكرات من الأسواق، وهذا يدل على ضعف الدولة وبداية انهيارها، إذ لم تصبح مسيطرة على مقاليد الأمور وهذا ما أدى إلى نجاح الدعوة الموحدية فيما بعد في هذه الربوع، وربما أن الحسبة في هذه الفترة لم يكونوا مؤهلين لحمل الأمانة التي وضعت على أعناقهم، فأصبحوا يغضون الطرف عن المنكرات و المظالم التي تقع للناس في الأسواق والطرقات مقابل رشاوى و أموال يأكلوها بالباطل.

2- المكاسون:

المكس هو ضريبة على السلع التي تدخل الأسواق، و كان أمناء الأسواق في المدن الحمّادية يتولّون جباية المكوس والضرائب من الباعة والتجار والصنّاع [5]. واختلف الفقهاء في المكوس على السلع في الأسواق على ثلاثة أقوال، فمنهم من اعتبر ذلك حراما. ومنهم من قال أنه مكروه. والمشهور عند المالكية الجواز إن كان الماكس على السوق محتاجا، أما إن كان مستغنيا فحرام عليه أخذه بشرط"

1- كمال السيد أبو مصطفى، **جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و الدينية و العلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل و فتاوى المعيار المغرب للونشريسي**، (بيروت: دار الفكر، 1997)، 70

2- أحمد عبد الرزاق أحمد، **المرجع السابق**، 263

3- ابن بسام، **المصدر السابق**، 372

4- ابن خلدون: **العبر**، (بيروت:مؤسسة جمال للطباعة والنشر،1979)، 467/6

5- يحي بن عمر، **المصدر السابق**،125.

أن لا يركن إليهم ،ويراع المصلحة والمعروف لجميع الناس " [1]. و قد شُحّت المصادر التاريخية عن إعطائنا معلومات عن أسماء المكّاسين في الأسواق الحمادية، وهذا لا ينفي وجود هؤلاء في الأسواق، إذ الغالب أن تسييرها يشبه أسواق القيروان و المهدية.[2]

ومما لا شك فيه أن الضرائب المفروضة في المغرب الأوسط لم تختلف عن الضرائب المعمول بها في إفريقية" إذ أن عبد المؤمن قد وعد أهل قسنطينة بإلغاء الضرائب غير الشرعية، والقبالات و المكوس و المغارم والمظالم، و اشترط على أهل تونس مشاطرتهم في رباعهم وأموالهم". في الوقت الذي كلف أمناء بإحصاء تلك الأموال.[3]وهو دليل على وجود المكوس وحرفة المكاس في الدولة الحمادية.وممارسة المكوس في أسواق بجاية، والقلعة، تدل على فتوى ابن عمران بضمان المكس عن كلّ صانع وصاحب بضاعة احتال في إخفاء بضاعته عن صاحب المكس، فإذا حدث واطلع عليها فيتم مصادرة هاته السلع وأخذها بالجملة ما لم يدفع فيها الغرم لصاحـــــب السوق[4]. ويبدو أن جباية المكوس والضرائب من السكان، وخاصة الأغنياء منهم كان سلوكا متبعا عند الحماديين؛ فقد كان يحكم مدينة باغاي عامل مستقل، والظاهر أنه من الاباضية الذين كانوا يتبعون الحماديين بالاسم فقط، بينما كان يجبي الأموال من المكوس والضرائب والمعاون والصدقات من التجار الذين كانوا يرتادون سوق باغاي[5]. وهذا يدل على إسراف الحماديين في جباية الأموال بغير وجه شرعي، فهذا التنوع في الجبايات و جعل لها أسماء ومغارم، قد عطلت في أواخر الدولة الحمادية الحركة التجارية المزدهرة التي كانت عليها الدولة في قمة قوتها و نشاطها الاقتصادي و الحرفي، مما أدى بالحرفيين و أرباب الصناعات إلى حمل أموالهم وتجارتهم و الهجرة من المدن الحمادية، إلى مدن أكثر أمانا و حيوية.

لقد أصبحت الأسواق المتخصصة في الدولة الحمادية تقليدا راسخا في جميع مدنها وقد قامت الحرف المتصلة بالأسواق في توفير العمل لكثير من اليد العاملة ، كما أن هذه الحرف كانت

1- البرزلي، المصدر السابق،4/ 463

2- روحي إدريس، المرجع السابق، 222/2

3- رحلة التيجاني، المصدر السابق، 345،346

4 - الخشني ، الطبقات 182

5- روحي إدريس، المرجع السابق، 82/2

مشاعة مما سهل الأمر على تعلمها من طرف الكثير من الناس نظرا لتنقل أصحابها عن طريق ممارستها في الأسواق، وقد عادت هذه الحرف بفوائد كثيرة على السكان، و ساهمت في تحقيق التوازن الاقتصادي في الدولة الحمادية ذلك أنها مست فئات واسعة خاصة من الطوائف الفقيرة والريفية بوجه الخصوص فإن تعلم هذه الحرف من قبل أبناء الريفيين قد ساهم بقوة في تخفيف غوائل الفقر على كثير من العائلات حيث يساهم أبناؤها الحرفيين الذين ينتقلون للمدن في إعالة هذه العائلات الفقيرة كما ساهمت الحرف في الأسواق في توفير مدا خيل كبيرة للدولة عن طريق المكوس والالتزامات والمغارم في الأسواق بقبضها من هؤلاء الحرفيين في تعمير خزينة الدولة لإنفاقها في وجوه مختلفة تمس الحياة الاجتماعية للسكان و للطبقات الدنيا على وجه الخصوص،و قد ساهمت الحرف الملتصقة بالأسواق في كثير من تطوير الأسواق و من النتائج التي يمكن استخلاصها من كل ما تقدم:

1- إن هذه الحرف أسهمت في تطوير قدرة الدولة الحمادية، في إنتاج الكثير من المنتجات الحرفية ومن بين هذه المنتجات ما تعلق بالحياة اليومية للإنسان مباشرة و من بينها صناعة الحدادة والإسكافية و كذلك ما ارتبط بصناعة أدوات الفلاحة و الزراعة.

2- أسهمت هذه الحرف في تشجيع الكثير من التجار و الحرفيين على تعلم و تعليم هذه الحرف في الأسواق مما أدى إلى شهرتها في الآفاق. و خير دليل على ذلك أن الحرف التي كانت منتشرة في أسواق القيروان و المهدية والحواضر الأخرى الزيرية و الفاطمية قد وجدت في الأسواق الحمادية، و هذا مما يؤكد التواصل الحضاري الذي كان قائما بين الدولة الحمادية،و بين الدول الأخرى المجاورة لها، و قد أدى هذا إلى إيجاد العلائق الطيبة بين الحماديين و غيرهم من الدول الأخرى، وكانت نتيجته تخفيف التوترات بين الحماديين و غيرهم.

3- كان تنظيم الأسواق وفق طريقة منهجية و علمية في الدولة الحمادية، مما نتج عنه ما يسمى اليوم بالتمهين أن النقابات بمختلف أشكالها قد سيطرت على الأسواق الحمادية: فبرز نوع من الثقة بين زعماء النقابات و الحرفيين المختصين في البيع.

4- إن الحرف المرتبطة بالأسواق جعلت الفرد الحمادي ينعم بشيء من الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية، وهذا ما أدى إلى قيام نشاط علمي و اجتماعي في الأسواق من قبل الكثير من الحرفيين و الصناع.

5- من الصناعات التي اشتهرت به الدولة الحمادية صناعة التعدين في الأسواق حيث أصبحت هذه المهنة لا تكاد يخلو منها سوق من الأسواق.

6- لقد أدت ظاهرة إنتاج الصنائع في الأسواق إلى ظهور أسواق مختصة في تنشيط الحركة الحرفية في جميع أسواق المغرب، مما أدى بالدولة الحمادية إلى تشجيع الصنائع المختصة.

7- قامت النسوة في الدولة الحمادية دورا محوريا في تنشيط الحركة التجارية في مدن وقرى الدولة الحمادية، فكان من المعتاد في المجتمع الحمادي أن تقوم النساء بإدارة الأعمال من تجارة في الأسواق وعقد الصفقات التجارية مع التجار الغرباء، وتكليف الوسطاء من دلالين و سماسرة في بيع سلعهن وشراء ما يحتجن إليه من البضائع في الأسواق.

8- اختلفت مستويات الحرفيين في الأسواق، حيث كان باعة الطعام من الحنطة و القمح والشعير هم الأوفر حظا في الكسب، لارتفاع أثمان هذه المواد في الأسواق في أوقات الحروب ضد زناته، والتي يبدو أنها كانت لا تتوقف حتى تندلع من جديد، كما نلمس ذلك جيدا على طول تاريخ الحماديين الذي دام أكثر من قرن ونصف.

الخاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخاتمـــــة :

وأخيرا، فإن هذا البحث في الصناعات الحرفية في العهد الحمادي، هو بحث يتعلق بأحد الجوانب الاقتصادية و الاجتماعية، من تاريخ المغرب الأوسط في القرن الخامس الهجري و النصف الأول من القرن السادس الهجري على عهد بني حماد، حاولت الإجابة فيه على الإشكالية التي طرحتها في المقدمة، وهي قلة، بتسليط الضوء على الحرف و أنواعها في العصر الحمادي، سواء كانت الحرف المعتمدة على الموارد الزراعية، وهي كثيرة، أو عن الحرف المعتمدة على المعادن والمناجم، أو غيرها التي مجالها الســوق، صناعـــة وبيعا و شراء؛ ورغم الصعوبات لا سيما المتعلقة بشح المادة العلمية فإنني حاولت الكشف عن دور الحرفي الحمادي الذي ارتقى بالصناعات الحرفية، رقيا عظيما، حيث استطاع أن يطور ويبدع فيها، تدل على ذلك النماذج التي أوردناها في الصناعات النسيجية والصناعات الغذائية، وغيرها، وقد بلغ الحرفي الحمادي، في دقة الصنع و التنظيم مبلغا كبيرا من حيث إتقان الصنعة، ومتانتها، مبرزا ذوقه الفني في صناعاته، لا سيما ما تعلق بالعمرانية، التي وصلتنا نماذج حية منها من خلال الآثار المتبقية في القلعة و بجاية وغيرها، شاهدة على عبقرية الفنان و الصانع الحمادي.

و قد عرفت الصناعة الحرفية الحمادية مجالا واسعا، حيث عمت جميع الصناعات الحربية المعروفة في ذلك العصر، عن طريق تلقيح الصناعة المحلية، بالصناعات المشرقية و الأندلسية، من خلال الاحتكاك الكبير الذي قام بين الحرفيين و التجار، المشارقة، ممثلين في الكوفيين و البصريين والبغداديين و الشاميين و الأندلسيين، لا سيما منهم أصحاب الحواضر المطلة على بحر الروم، والذي كان لهم احتكاك مباشر بالحواضر الحمادية، الساحلية خاصة، كبونة و القالة و القل، وتنس، ولا سيما بجاية، وجزائر بني مزغنة، وقد أدى هذا الاتصال المباشر إلى اكتساب الحرفيين الحماديين لمهارات هؤلاء، و لم يكتف الحرفي الحمادي بالتقليد فقط، بل أبدع أيما إبداع في الصناعات و أصبغ عليها ذوقه الفني، وابرز فيها ميولا ته و جسد عليها خيالاته ، لذلك كان التطور الحضاري الحمادي متميزا و مختلفا في كثير من الجوانب عن التطور الحضاري في المناطق الأخرى وبالأخص المجاورة لها كالزيرية والفاطمية.

و قد برز هذا التنوع خصوصا في الصناعة الفخارية الحمادية، والجوانب العمرانية على وجه الخصوص، إذ عرفت في الدراسات الحديثة بالفنون الحمادية، حيث افرد لها المؤرخون الغربيون و الآثاريون، خاصة الفرنسيين منهم مجالا مستقلا أطلقوا عليه الدراسات التاريخية الحمادية.

و هذه الدراسة أبرزت المستوى التنظيمي الذي كانت عليه الصناعة الحرفية الحمادية، لا سيما في مجال الاهتمام بالجانب الاجتماعي للإنسان العامل و نلمس ذلك من خلال الفتاوى و النوازل الكثيرة، حيث تصدى الفقهاء، إلى رفع الغبن و المظالم، والمغارم الثقيلة عنهم بواسطة تشريعاتهم (فتاويهم)، اعتقادا منهم أن هؤلاء محور أساسي في التنمية الاجتماعية و الاقتصادية للدولة، ويظهر ذلك جليا في السياسة التي اتبعها معظم الأمراء الحماديين مع فئة الأصناف من الحرفيين و الصناع، بإصباغ نعمهم عليهم، و حمايتهم من جور الولاة المتسلطين، و رفع المغارم عنهم، وهذا ما خلف أثرا كبيرا في الحياة الاجتماعية لهؤلاء الحرفيين و أسرهم، حيث صار الكثير منهم يعيشون في بحبوحة و غنى، ومركزا اجتماعيا مرموقا.

و بناء على هذه السياسة التي شكلها الحماديون، توفرت السلع و البضائع والمنتجات الحرفية بكميات ضخمة، كان تصدير الكثير منها إلى الأسواق في داخل وخارج الدولة الحمادية، وكانت هذه الصادرات قد شملت كل أنواع المنتجات المصنوعة محليا، و تدل على ذلك تلك القوافل التجارية التي في حركة دائمة برا و بحرا تجوب الأقطار ، بالبضائع الحمادية، وهو ما جعل الدولة تكون أقوى الدول بالمقارنة بالدول التي كانت سائدة في ذلك العصر في بلاد المغرب و الأندلس إلى درجة أن المرابطين بقوتهم الهائلة، لم يتجرؤوا على غزو المغرب الأوسط لعلمهم بمدى قوة الدولة الحمادية، و لذلك اتبعوا سياسة المهادنة و اللين، نحو هذه الجارة القوية، و النتائج التي يمكن الوقوف عليها من خلال هذا البحث هي:

1- وجود تنظيمات حرفية حقيقية في المجتمع الحمّادي لها أصولها ومبادئها فقد بيّنت من خلال هذه الدراسة وجود نقابات عمّالية أو مهنية إلى جانب تدرج أصحاب الحرفة الواحدة المختصة في مراتب وألقاب معينة ابتداء من أصغر حرفي و انتهاء بشيخ الطائفة.

2- طور من تقنيات حرفة استغلال الزيوت باعتماده على العصر و الطحن والغلي في آن واحد. واعتماده في الطحن على الرحى المصنوعة من الأحجار الجيدة،المنقولة من بجانة المشهورة بهذا النوع من الحجارة.

3- أخذ حرفة تصنيع الصابون من أسلافه الزيريين، وطورها وأخذ ينتج بكميات كبيرة، وبأشكال متنوعة.

4- أبدع الحرفي الحمادي خصوصا في فن الزخرفة وفن النقش على الخشب، بإبداعات كبيرة والدليل على ذلك وجود بقايا هذه النقوش في محراب قسنطينة وسيدي عقبة وأبي مروان ببونة .

5- ظهور التخصصات الحرفية في المدن الحمّادية وخاصة القلعة وبجاية وتجمعهم في أحياء خاصة بهم تطلق أحيانا أسماء على الأحياء لبعض شيوخ الحرفة على هذه الأحياء السكنية وفي كثير من الأحيان تعرف هذه الأحياء باسم الحرفة التي يمارسها هؤلاء الحرفيون القاطنون بها.

6- شيوع الحرية الفكرية والمذهبية في الدولة الحمّادية، مما أدى بالمدن الحمّادية المهمة إلى استقطاب أكبر عدد من الحرفيين، والصنّاع، والفنانين، إلى العمل بها وممارسة مهنهم والدليل على ذلك، وجود حرفيين من القيروان و الأندلس و طائفة كبيرة من اليهود والنصارى كانت تمارس هذه المهن والحرف في القلعة وبجاية .

7- دخول المرأة الحمادية كطرف مهم إلى جانب الرجل، في تعلم حرفة من الحرف، وتسويق منتجاتها في الأسواق، الداخلية و الخارجية

8- تأثر الفنّان الحمّادي في مجال الفنون بالفن الفاطمي والمصري، و الأندلسي لا سيما في مجال الزخرفة، وهذا دليل على الخيال الخصب الذي كان يتمتع به و على حرصه، في تلقيح فنّه بفنون أخرى من أجل الإبداع والتجديد .

9- حاول البحث أن يؤصل للابتكارات الحمادية في مجال الصناعات و الحرف، إذ أن الحمّاديين أقاموا صناعة حرفية وفنيّة لها صبغتها الخاصة بها لم يقلدوا فيها أحد بشهادة علماء غربيين في الآثار، لهم صيتهم العلمي الكبير، مثل " **لوسيان غولفان** " ، " **وجورج مارسي** " وغيرهما .

10- الحمّاديون على إيجاد التكامل بين الصناعات الغذائية و البنائية والنسيجية مع الصناعات الفنية والمعمارية ، لما تميّز به الفنّان الحمّادي من حس حضاري كبير ، وذوق فنّي رفيع .

11- صلابة البناءات الحمّادية، والتي لا تزال بعض معالمها قائمة إلى اليوم دلالة على أن الصانع الحمّادي كان يستعمل في أعماله البنائية والفنية مقاييس علمية صارمة، ومعرفة عميقة بأسس البناءات وهندستها .

12- بروز ظاهرة التمهين حتى في أوساط العلماء والفقهاء، فهؤلاء على علو باعهم في أمور الشريعة والفقه ، لم يكونوا ليستنكفوا عن ممارسة مهنة من المهن في حياتهم اليومية قدوة للناس، وإدراكهم لأهمية الحرف في تنمية معارف الناس واستقامة أمورهم .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملاحق

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

توطئة:

لا شك أن الباحث في الصناعات و الحرف في العهد الحمادي يجد صعوبة كبيرة في إعطاء نماذج حية عن هذه الحرف و الصناعات المتناثرة في المصادر؛ إذ أن الأشياء المادية المصنوعة قد اندثرت و لم يبق منها إلا ما اكتشفه المنقبون في خرائب القلعة و بجاية، و هو نزر قليل لا يفي بالغرض لكل باحث في تاريخ الحرف و الصناعت الحمادية، ومع ذلك فقد استعنت ببعض الملاحق المكتوبة والمصورة لتعزيز هذا البحث، منها:

أ- الملاحق المكتوبة:

اخترت بعض الحرف والصناعات التي جاءت متناثرة في بعض المصادر التي اعتمدت عليها في هدا البحث، كالونشريسي و البرزلي و الغبريني و ابن الحاج، و عبد الباسط في رحلته .ولا شك أن هذه الحرف كانت موجودة في العهد الحمادي، باعتبار هذه المصادر قد تكلمت عن الحالة الاجتماعية التي كان عليها الناس في العصر الحمادي؛ و بطبيعة الحال النشاط الحرفي الذي هو جزء من هذه الحالة، كالخياطة و صناعة القزازة، وصناعة الطب التي أشار إليها الغبريني وهو الذي فرب عهده بالحماديين.

ب- الملاحق المصورة:

وقد وقع اختياري على هذه الصور، باعتبارها تعود بالفعل للعصر الحمادي، منها ما هو محفوظ في متاحف بجاية، كالشقف الفخارية و الخزفية ممثلة في الأباريق، و الصحون و القلال،أنظر الشكل رقم(193) ومنها مالا يزال قائما إلى يومنا هذا، كباب البنود، وباب البحر في بجاية، و منارة القلعة في المسيلة.

الملحق رقم: 01

حرفة صناعة الجبن

وفيه في يوم تاسع عشرين ورد إلى ساحل مدينة واهران شونية عظيمة من مراكب الفرنج الجنويين برسم الاتجار في الجوخ و كانت وردت من المحيط من بلاد افلندة و نحوها من بلاد الفرنج بالمحيط وتجهز كثير من تجار واهران و تلمسان للسفر فيها على جهة بلاد تونس و تجهزت أنا أيضا لذلك وعزمت على العود لهذه البلاد بعد دخول تونس و تجهزت أنا أيضا لذلك و عزمت على العود لهذه البلاد بعد دخول تونس و غيرها من البلاد وكان ما سنذكره...

و فيه في حادي عشره ركبت في البحر الملح في الشونية الماضي ذكرها و اقلعنا على جهة تونس.

و فيه في يوم السبت رابع عشره غلت علينا الريح و سكنت فمنعنا فيه السفر فعملت النواتية البحارة فيه بالمقاذيف و كانت المركب مثقلة، فقل سيرها النهار كله فلما كان عند العصر دخلنا إلى ساحل البر بالقرب من بجاية و نزلنا من المركب فوجدنا طائفة من برابر تلك النواحي و الجبال فلما رأونا فروا عنا و ظنوا أن هذه المركب قرصا ل للفرنج و أنهم غيروا هيئاتهم حيلة لأخذ المسلمين فصرنا نصيح عليهم من البعد و نكلمهم بالعربي و نقر بالشهادتين وهم لا يلتفتون إلينا و لا يعرجون علينا لكونهم لا يعلمون باللغة العربية بل البربرية فلا يفرقون بين لغة الفرنج و العرب فعجبت أنا من هؤلاء ثم لما دخلنا بجاية في ثاني هذا اليوم وجدنا الخبر عندهم بان مركبا من مراكب الفرنج قد تزايا فيها أهلها بزي المسلمين حيلة لأخذ المسلمين و ظهر الحال لأهل بجاية بأننا هم أولائك ثم طابت رياحنا فسرنا من بجاية و كان لنا ما سنذكره إن شاء الله تعالى..

ثم هيأوا من جملة هذه الضيافة مأكولا يقال له الجبنة من ماكيل الأندلس و صفته جبن طري يدعك بالأيدي حتى يصير كالعجين.ثم يعجن السميد عجنا محكما مملوكا جيدا حتى يصير الجبن حشوا لها ثم يبسط قليلا ثم يجعل عليها قطعة من الجبن المدعوك و يجمع حتى يصير الجبن حشوا لها ثم يبسط قليلا ثم يتقى في الطاجن وهو على النار بالدهن فيقلى ثم يرفع و يرش عليه السكر المدقوق ناعما ومعه اليسير من الكمون وعمت ذلك بين يدي الحاضرين وتولى عمله بعض من الجماعة من ظرفائهم و كان يوما معدودا من الأعمار سالما من الأغيار اجتمع فيه عدة من ظرفاء أهل الأندلس و أعيانها من طلبة علم .

المصدر: عبد الباسط بن هلال، رحلة عبد الباسط،67، 68

الملحق رقم: **02**

حرفة الطب

و لقد رأيت بعض من كان مبخوتا في الطب يعالج المرضى فتخفى عليه الشكاية فيعالجها بالحار تارة، و بالبارد تارة أخرى بحيث ينظر فان نجح فيها أحدهما استمر عليه و يحرم على الإنسان أن يمكن نفسه ممن حاله مثل هذه الحال ويحرم على من هذه صفته أن يطب و هذه الصناعة هي أشد الصنائع ضياعا في بلادنا، لأنه يتعرضها الغث و السمين و لا يقع بينهما التمييز إلا عند القليل من الناس

و كان رحمه الله متوليا لطب الولادة ببجاية هو وبعض خواص الأطباء بها، ورحل إلى حاضرة افريقية باستدعاء أمير المؤمنين المستنصر له بعد أن سمع به، وعرف خبره فحضر مجلسه و سئل فأجاب، ووافق طريق الصواب، وانتظم في سلك أطبائه وكان من جملة جلسائه وله رجز، نظم فيه بعض الأدوية و استكمله، وهو ببجاية و كان رحمه الله شرع في نظم الأدوية المفردة من القانون و يكفي بنظم بعض الأدوية على سبيل التعاون فنظمت له بعضها، وما علمت هل استكملها بعد أم لا، وتوفي بتونس عام أربعة و سبعين وستمائة.

المصدر:الغبريني، عنوان الدرية، 102.

الملحق رقم: **03**

حرفة الفرانين

ففي أحكام ابن سهيل أثبتت امرأة عند ابن ذكوان أن رجلا أحدث بقرب دارها فرنا يؤذيها بدخانه فأعذر إليه، فأثبت أنه عالجه حتى ذهب، فاعترضته بأن الفرن بقرب دارها ينقص من ثمنها و أثبته، فأفتى ابن عتاب بأن لا مقال لها بحيطة ثمن دارها إذا ثبت انقطاع ضرر الدخان، ووافقه على ذلك ابن أبي رعيل، واحتج كل بطرق و يأتي ذكرها في باب إحداث الضرر. و في آخر احتجاج من لا يرى نقص القيمة ضررا باتفاق الجميع في من أحدث فرنا على فرن آخر قديم، أو حماما على حمام، أو رحى على رحى قديمة لا يضر المحدث من ذلك بالقديم في شيء من وجوه الضرر إلا في نقصان الغلة أو قلة العمارة، أنه لا يمنع محدث ذلك بالقديم في شيء من وجوه الضرر إلا في نقصان الغلة أو قلة العمارة، أنه لا يمنع محدث ذلك من إحداثه، و ليس لصاحب القديم المتراصة في ذلك. ومعلوم أنه إذا قلت الفائدة أو الاستغلال أن القيمة تنحط بل ربما آل ذلك إلى أن يبطل القديم بسبب ما أحدث عليه،

المصدر: البرزلي،النوازل،394/3

الملحق رقم : **04**

حرفة القزازة

وسئل أيضا عمن يصنع المشي فيجعل الظاهر من جيد الثياب و الآكام من دونها يخفي به و بكثير الحشو في موضع التقليب و يقلله حيث لا يقلب، وربما نقل ذلك الخياط من الموضع الخفي إلى الموضع الظاهر الذي يخشى

قلت: يقع اليوم عندنا الكما دين و القزازين يجعلون النشا في الكمد أو في الوقتيات الحرير الخفيفة. فما هو معروف هو مدخول عليه، و الزيادة على ذلك مما يؤدي إلى ظهور صفاته وهو المهلل فهو ممنوع. و تقدم حكم سلال التين و العنب و كيفية تعبئتها و أنها مدخول عليها إذا كانت متشابهة، و إن كثر الاختلاف جدا وجب ، للمشتري الخيار .

المصدر: البرزلي، **النوازل ، 3/264،265**

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحق رقم: 05

حرفتي الحطاب و الصباغ

و في تضمين الصناع منها، و لو مر حطاب ثوب على قبل الصباغ فحرقة ضمن و لم يضمن الصباغ و إن كان الماء معدما، لأنه مما ظهر أنه بغير سبب الصباغ، لأن له أن يسترد الثياب،فلما نشره لم يكن لهذا أن يخرصه، كاصطدام الأحمال في الطريق، و كذا من أوقف دابة محملة في الطريق فصدمها رجل فكسر ما عليها أو قتلها لضمن أو وضع قلالا في الطريق فبعثر عليها رجل فتكسرت ضمن.

قلت، و ظاهر هذه المسألة الأخيرة الضمان مطلقا بناء على أن الإذن العام هل يعذر به الخطأ أم لا؟ بخلاف الإذن الخاص. وأخذ شيخنا من مسألة النشر الغسالة الثياب في الطريق و نزلت و حكموا بذلك فيه، قال: و معناه عندي ما لم يضر بالمارة فيمنع فإن وقع حيث بغير صمن القاطع، وفي الصانع نظر لأنه فاعل السبب.

المصدر:البرزلي،النوازل ، 315/4

الملحق رقم: 06

صناعة الخياطة

و هذه الصنعة أيضا من أكد الصنائع و هي من فروض الكفاية كما تقدم في غيرها و هي متعلقة بستر العورة غالبا و ذلك فرض سيما في حق المرأة لأنها كلها عورة و أما الرجل فمن سرته إلى ركبته و ستر باقي بدنه سنة و كمال ثم بعد ذلك التجمل المطلوب في السنة المطهرة ثم ما يدفع به الحر والبرد كما قال تعالى في سياق الامتنان على عباده (و جعل لكم سرابيل تقيكم الحر و سرابيل تقيكم بأسكم)، فنبه سبحانه وتعالى بذكر الحر على البرد إذ أن ما بقي الحر يقي البرد، و إذا كان ذلك كذلك فالخياطة خيرها متعد لجميع الناس و قد تقدم أن الخير المتعدي أفضل من القاصر على المكلف وحده.

و إذا كان ذلك كذلك فينبغي للمكلف أن لا يدنس ما هو فيه من هذه الطاعة بشيء مما يشينها أو يذهب بثوابها أو ينقصها و ذلك لا يحصل له إلا بالعلم و العلم لا يحصل له إلا بالتعليم أو بالسؤال كما تقدم في غيره. فعلى هذا يتعين عليه النصح في صنعته جهده لتحصيل هذا الثواب و أكد ما عليه أن يجتنب المفاسد في ضياع لأموال الناس.ومفاسدها عديدة قل أن تنحصر أو ترجع إلى قانون لكثرتها و تشعبها لكن ننبه على بعضها ليستدل بها على ما عداها فمن ذلك أن المعلم إذا كلف الصانع الذي عنده أن يخيط بالخيط من غير أن يفتله فلا يفعل و لا يرجع إليه في ذلك لان الخيط إذا لم يفتل لم تكن له قوة تقيم الخياطة معها. و كذلك لو أمره أن يفتل و يوسع بين الفرز تين و ما أشبه ذلك فلا يرجع إليه فيه. و كذلك لو كان الثوب مما لا يجوز لبسه أو يكره فيرده على صاحبه و لا يخيطه له وأن كان مضطرا لأجرته مثاله أن يكون ثوب حرير للرجال أو ثوبا من غير الحرير سابلا لأسفل من الكعبين أو يكون في الثوب للرجال وسع فارق يصل على حد السرف فهذا محرم لا يجوز و كذلك الإعانة عليه لا تجوز. و أما النساء فالثوب الواسع و السابل في حقهن سنة و كمال. وكذلك الحكم في تفصيله ثياب النساء على ما اصطلحن عليه من العوائد المخالفة للشرع الشريف من لبس الضيق والقصير على غير ذلك من عوائدهن الذميمة لأن السنة مضت في ثياب الرجال أن تكون قصيرة دون وسع فارق"

المصدر:ابن الحاج، المدخل، 18/4، 19

الملحق رقم: 07

حرفة الجزارة

سئل ابن القاسم عن الجزار يكون عنده اللحم السمين و اللحم المهزول فيخلطهما جميعا ويبيعها بوزن واحد مختلطين.و المشتري يرى فيه من المهزول و السمين، غير أنه لا يعرف وزن واحد مختلطين. والمشتري يرى فيه من المهزول والسمين، غير أنه لا يعرف هذا من هذا. فقال: أما إن كانت أرطال يسيرة نحو الخمسة و الستة ونحو ما يشتري الناس بالدرهم و الدرهمين فلا أرى بذلك بأسا. و أما إن كانت الأرطال الكثيرة مثل العشرين والثلاثين و نحو ذلك، فلا خير في ذلك، لأن ذلك من الضرر وأرى أن يمنع الجزارين من مثل هذا لأنه من الغش، و لا يحل مثل ذلك لهم.

المصدر:الونشريسي،المعيار، 414/8

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحق رقم: 08

حرفة الحجامة و صاحب الحمام

و سئل عن أجرة الحجام و صاحب الحمام و صاحب القارب بلا سوم أكانت حلالا لهم أم لا؟ فأجاب ذلك جائز،و سئل سيدي قاسم العقباني عن مسالة تظهر من جوابه.

فأجاب: للمعلم بحساب ما أقرأ من السنة، وأما المدة التي فارقوه فيها غلبة و لأجل الخوف فإلى شيئ للمعلم فيها،و الشروط الذي شرط عليهم لا أثر له إلا لو فارقوه اختيارا و ليس على المعلم إن كانت السنة قد انقضت أن يكمل سنة التعليم في زمن آخر.

و أجاب سيدي علي بن عثمان: عليهم الأجرة كاملة ما لم يكن ارتحالهم هذا و يتبين عن رعايته قبل تمام المدة من غير ضرر يلحقه ذكر فيها قولين عن الشيخ أبي الحسن الصغير. وكذلك أيضا مسألة الداعي إذا انفصل عن رعايته قبل تمام المدة من غير ضرر يلحقه ذكر فيها قولين عن الشيخ على أن المشهور له بحساب مارعى واختار هو و بعض شيوخه ليس له ذلك.

المصدر:الونشريسي، المعيار، 260/8

الملحق رقم: **09**

حرفة الوقاد

وسئل عن رجل كان في المسجد الجامع الاعظم بأجرة قدرها اثنا عشر دينارا صغيرة، في كل شهر، وكان عدد قناديل المسجد المذكور مائة و عشرين، ثم بعد ذلك قل ربع المسجد المذكور إلى أن بقي من القناديل ستون قنديلا، فقام ناظر الاحباس و قال للوقاد المذكور: إنما تأخذ نصف الأجرة المذكورة قدر ما انت توقد الآن. فامتنع ذلك. و قال أزدني الزيت و القناديل و آخذ ما كنت آخذ. فهل تعطي له الأجرة القديمة أو يأخذ بقدر خدمته؟، بينوا لنا الواجب في ذلك.

فأجاب: إن لم يبق في غلة ربع الحبس ما يحمل زيادة ما ذكره الوقاد المذكور في الزيت و الأجرة فلا مقال له في ذلك و يقال له إما أن ترضى بنصف أجرتك القديمة و إلا فاذهب بسلام و يستأجر غيره، و إن كان فيه وفر يحمل ذلك أجيب إلى ذلك، و هذا إذا كان له مرتب معين في أصل الحبس، و أما إن لم يكن معينا و إنما أحال المحبس على نظر الناظر في ذلك فلا مقال له في ذلك، و يستأجر الناظر بأجرة مثله و إن كانت أقل من نصف أجرته القديمة، فإن وجد من يقوم بذلك بأكل مما رضي به الوقاد المذكور فإنه يستأجر به، و لا حجة له بالسبخية إذا طلب أن يزاد على ما رضي به هذا، وبالله سبحانه التوفيق

المصدر: الونشريسي، **المعيار**، 86/7

الملحق رقم: **10**

الدلالة

مسألة في الدلال يأخذ السلعة من ربها و ينادي عليها ثم يستردها عنه ربها فيبيعها هل لها أجرة أم لا؟.

و سئل عمن دفع سلعة إلى نخاس يبيعها و له فيها إجارة مثل هؤلاء الذين يبيعون في السوق لرجاء ما يزيدون فينادي عليها فلم يجد فيها النفع فيردها إلى ربها فباعها في السوق بالذي أعطى له أو ما قل أو كثر.

فأجاب: عليه اجارة النخاس ثانية إلا أن يتباعد ما بين ذلك. انظر،**المعيار**، 202/5، 203

الملحق رقم:11

صناعة الحديد

هل ترد صفقة بيع الحديد إذا اشترى لصنع الآلات، ثم بين أنه من النوع الردئ

و سئل ابن حزمون عن الحديد الذي يساق محمولا من المعادن، ثم يباع بسوق الحدادين، ثم يشتري من التجار ويدفع على الصناع لعمل الآلة منه فيخرج احرش غير طيب.

فأجاب بأنه لا يرد على البائع، ويلزم المبتاع. وكان ابن رزق يعني برده و يقول: إن الحديد معلوم قد علمه الذي قد أخرجه من معدن ترابه أولا. ولا يفر من ابتاع ذلك جهل من يتجربه، و لا حجة للتاجر في ذلك على مبتاعه منه. وليس كالخشبة التي أنبتها الله، و لا صنعة فيها للبشر،و لا اختيار بصنعة نباتها. و هو جيد من قوله.

المصدر:الونشريسي، **المعيار، 6/ 164، 165**

ملحق رقم 11

خزانة حائطية بداخلها بقايا أثرية جيء بها من تنقيبات أجريت بقلعة بني حماد المسيلة وبجاية و هي عبارة عن مجموعة فخارية و خزفية تمثل أجزاء من أباريق وصحون وهي تمثل حرفة صناعة الفخار.

متحف قلعة المعاضيد

ولاية مسيلة

منارة القلعة بقيت شامخة وشاهدة على حضارة بني حماد

حرفة البناء

حرفة صناعة الحلي الزجاجية

متحف قلعة بني حماد

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

حرفة الزخرفة

متحف بجاية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملحق رقم 15

حلات معمارية حمادية

حرفة صناعة الرخام والجص والزجاج

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

السور الحالي ويظهر بابه الذي كان مكانه باب البنود أيام الحماديين
وهو يؤدي إلى أماكن الدباغة وصناعة السروج

الباب الحالي الذي أقيم مكان باب البحر في بجاية .

قائمة المصادر والمراجع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا/ المصادر:

أ-المصادر القديمة المباشرة أو المعاصرة

1- أبو الفضل جعفر بن علي الدمشقي الدمشقي، (570هـ /1175م)، **الإشارة إلى محاسن التجارة**، تحقيق البشري التورجي، (مصر: مكتبة الكليات الأزهر، 1977).

2- أبو زكريا يحي بن أبي بكر،(ت471هـ/1178م)،**كتاب سير الأئمة و أخبارهم**، تحقيق، إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.

3- أبو عبد الله محمّد بن عبد الملك المراكشي، **الذيل و التكملة لكتاب الموصول و الصلة** ، تحقيق،محمّد بن شريفة، (المغرب: أكاديمية المملكة، د.ت) .

4- أبي معين الدين ناصر خسرو القبادياني المروزي، **سفر نامة**، رحلة ناصر خسرو، ترجمة أحمد خالد البدلي، (الرياض: عمادة شؤون المكتبات، 1983).

5- الإدريسي،أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني، (ت 558هـ/1162م) الشريف،**نزهة** المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الآفاق الدينية، القاهرة، 2002 **المغرب العربي** من كتاب **نزهة المشتاق**،**تحقيق وترجمته** الفرنسية،محمد حاج صادق،(الجزائر).

6-ابن بسام أبو الحسن علي،كتاب الذخيرة **في محاسن أهل الجزيرة**، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، 1938).

7-البكري أبو عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت487هـ/ 1094م)، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب** وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، مطبعة، Librairie D'Amérique et D'orient,Paris.1963

8- البيدق، أبو بكر بن علي الصنهاجي، **كتاب أخبار المهدي بن تومرت**، تحقيق عبد الحميد حاجيات، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1975).

9- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن، (ت597هـ/ 1200 م)، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**- دراسة **وتحقيق محمد عطا، مصطفى عطا**،مراجعة نعيم زرزور، (بيروت:دار الكتب العلمية،د.ت).

10- ابن حاج (737هـ/ 1334م)، المدخل، (بيروت: دار الفكر ، 1981).

11- ابن حزم أبو محمد علي بن احمد بن سعيد، (ت456هـ/ 1063م)،**المحلى بالآثار**، تحقيق عبد الغفار، سليمان البداوي، (لبنان/ بيروت: دار الكتب العلمية د.ت).

12- **الغزالي، أبو محمد حامد محمد بن محمد، أحياء علوم الدين**، (مصر: مكتبة مصطفى الباجي الحلمي، 1939)،

13- القاضي عياض، **أبو محمد، بن موسى اليحصبي، (544هـ/1149م)، ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تحقيق، أحمد بكير محمود، (بيروت: دار المكتبة الحياة، د.ت).

.**مذاهب الحكام في نوازل الأحكام**، تقديم وتحقيق،الدكتور محمد بن شريفة، عضو أكادمية المملكة المغربية، (ط،1لبنان،بيروت: دار الغرب الإسلامي،1990).

14- المالكي، أبو بكر بن عبد الله بن محمد، (474هـ/1081م) ،**كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية و زهادهم ونساكهم وسيرمن أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**، تحقيق، بشير البكوش،مراجعة محمد العدوسي المطوي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي،1981).

15- الماوردي، **أبو** الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي،(ت450هـ/1058م)، **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1977).

ب-**المصادر القديمة غير المباشرة**

1-المصادر قبل حقبة الدراسة

16- أبو العرب،محمد بن أحمد بن تميم القيرواني(ت333هـ/944م)،**طبقات علماء إفريقية و المغرب**، تقديم وتحقيق علي الشاشي، نعيم حسن، (ط،2،تونس:الدار التونسية،1985).

17- أبو علي المنصور العزيزي الجوذري، ، (ت386هـ/996م)، كتاب، **سيرة الأستاذ جوذروبه توقيعات الفاطميين**، تحقيق محمد كامل حسين و محمد عبد الهادي شعيرة، (القاهرة: دار الفكر العربي، 1954).

18- **أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم الحبيب الأنصاري القاضي** (182هـ/ 798م)،**كتاب الخراج**،(بيروت: دار الكتاب،1302).

19- **ابن الأخوة محمد بن محمد القرشي، معالم القربة في أحكام الحسبة**، تحقيق محمد محمود شعبان، و صديق أحمد عيسى المظلمي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1976 .

20- الجاحظ أبو عثمان بن عمر بن بحر، (ت 255هـ / 935 م)، **رسائل الجاحظ**، شرح وتعليق عبد السلام محمد هارون، (بيروت: دار الحداثة، 1988).

.**البيان و التبيين**، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، (ط، 4، بيروت: مطبعة دار الفكر، 1991).

.**الحيوان**، تحقيق، عبد السلام هارون،(القاهرة، دار النهضة العربية،1940).\

21- ابن حوقل النصيبي، (ت 368هـ/ 978م)**صورة الأرض**، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي،د.ت).

22- الخشني، محمد بن الحارث بن أسد، (361هـ/ 971م)، **طبقات علماء إفريقية**، القاهرة، 1952.

23- السلمي، أبو عبد الرحمن، **طبقات الصوفية**، تحقيق نور الدين شربيه،(القاهرة: مطبعة القاهرة،1969).

24- الشيزري، عبد الرحمن بن نصير،**نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق العريني، لبنان/ بيروت : دار الشروق، 1984**).

25- ابن الصغير،(ق3هـ/9م)، أخبار **الأئمة الرستميين**، تحقيق، محمد ناصر و إبراهيم بحاز، المطبوعات الجميلة، الجزائر، 1986.

26- ابن عمر يحي (ت289هـ/901م)، **النظر و الأحكام في جميع أحوال السوق**،(تونس: الشركة التونيسية للتوزيع، 1975) .

27- **القاضي النعمان أبو حنيفة** محمد بن محمد بن حيون بن تميم التميمي المغربي(ت363هـ/973م)، **دعائم الإسلام**، تحقيق، الحبيب الفقي، و إبراهيم شبوح، محمد اليعلاوي،(ط، 2، بيروت: دار الغرب الإسلامي،1977).

28- الكتبي، **محمد بن شاكر**، **فوات الوفيات**، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد،(القاهرة: مطبعة السعادة، 1951م).

29- المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنباري،(ت346هـ/957م) ،**أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، (ط،2،ليدن).

2-المصادر بعد حقبة الدراسة

30- ابن الأبار أبو عبد الله محمد، (ت658هـ/818م)،**التكملة لكتاب الصلة**،تحقيق،إبراهيم الابياري،(دار الكتاب العربي،بيروت،1989).

31- ابن أبي زرع علي بن محمد بن احمد بن عمر الفاسي (ت 710هـ/1311)، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، (الرباط:دار المنصور للطباعة والوراقة،1973.

32- البرزلي، أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي(ت841هـ/1438م)، **فتاوى البرزلي،جامع مسائل الأحكام كما نزل من القضايا بالمفتين و الحكام**،تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2002).

33- ابن البيطار، **أبو محمد** عبد الله بن أحمد ضياء الدين الأندلسي، (ت646هـ/1248م)، **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**، (القاهرة: المطبعة العامرة ،1984).

34- التيجاني، أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد، (ت حوالي 717هـ/1317م)، **رحلة التيجاني**،(تونس: المطبعة الرسمية،1958).

35- ابن الخطيب، لسان الدين، (ت776هـ/1376م):**تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط**، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، تحقيق أحمد مختار العبادي،محمد إبراهيم الكتاني،(المغرب/ الدار البيضاء: دار الكتاب،1964).

36- ابن خلدون عبد الرحمن **كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر**، (بيروت: دار الكتاب اللبناني: 1986).

.**المقدمة**، تحقيق، درويش محمد الجويدي، (بيروت: المكتبة العصرية، 2002).

37- الدباغ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسدي(ت696هـ/1296م)، **معالم الأيمان في معرفة أهل القيروان**، تحقيق، محمد ماضور، (تونس: المكتبة العتيقة، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1978).

38- الدرجيني، أبو العباس أحمد بن سعيد بن سليمان بن علي،(ت670هـ/1271م)، **طبقات المشايخ بالمغرب**، تحقيق إبراهيم طلاي، (قسنطينة : مطبعة البعث،الجزائر، 1978).

39- رسائل إخوان الصفا وخلات الوفاء، (بيروت:دار بيروت للطباعة والنشر،1983).

40- الزركلي خير الدين ، **الأعلام، قاموس و تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربين و المستشرقين**، عبد السلام علي، (ط،5، بيروت: دار العلم للملايين، 1980).

41- الزهري، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، (ت أواسط ق6هـ/12م)، **كتاب الجغرافية**، تحقيق، محمد الحاج صادق،(القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، د.ت).

42- الزيات، أبو يعقوب يوسف التادلي(ت 627هـ/1230م)، **التشوف إلى رجال التصوف**، تحقيق أحمد توفيق، (الرباط: دار الفكر المعاصر،1984).

43- سعيد المغربي، أبي الحسن علي بن موسى، (ت683هـ/1283م)، **كتاب الجغرافيا**، تحقيق، إسماعيل العربي،(ط،3،الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1982).

44- **الشماخي، أبو العباس أحمد**،(ت928هـ/1522م)، **السير**، تحقيق، محمد حسن، (تونس: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،1995).

45- **الصفاقصي مقديش بن سعيد محمود ، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ و الأخبار**، (بيروت: دار الشروق، د.ت).

46- ابن عذارى المراكشي أبو عبد الله محمد، (ت نهاية ق7هـ/ 13م) **البيان المغرب**،(ليدن: مطبعة أبريل،1948).

47- العسقلاني، شهاب الدين بن حجر، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، تحقيق عبد الوارث محمد علي، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1997).

48- العماد الاصفهاني أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد، (ت 597هـ/1200)،**خريدة القصر وجريدة العصر**، (**العراق:مطبعة المجمع العلمي**،د.ت).

49- الغبريني، أبو العباس أحمد، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تحقيق، رابح بونار،(الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1970).

50- ابن فرحون المالكي إبراهيم نور الدين، (ت799هـ/1396)، **الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب**، تحقيق، مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتاب العلمية، بيروت، 1996.

51- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، **أثار البلاد و أخبار العباد**، (بيروت: دار بيروت).

52- **القشيري أبو ا لقاسم عبد الكريم بن هوازن، الرسالة القشيرية في علم التصوف**،(بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت).

53- **القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي**، (ت821هـ/ 1413م)، **صبح الأعشى**، (القاهرة: دار الكتب، 1922).

54- **ابن قنفذ القسنطيني، أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب**، (ت 809هـ/1406م)، **الوفيات**، تحقيق، عادل نويهض، (ط، 3، بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1400هـ/ 1980م).

55- مجهول، جغرافي مراكشي من (ق6هـ/12م) ، **كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة و المدينة مصر وبلاد المغرب**، نشر وتعليق، سعد زغلول عبد الحميد، (الإسكندرية: مطبعة جامعة ، 1958).

56- محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني ابن أبي دينار(ت1062هـ/1681م) ، **كتاب المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، (ط،1، تونس: مطبعةالدولة التونيسية، 1869).

57- **محمد بن محمد بن عمر بن قاسم بن مخلوف،شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، عبد الحميد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت** 2003، (بيروت: دار الفكر، د.ت).

58- المقري التلمساني، أحمد بن الطيب،**نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق،إحسان عباس،(بيروت: دار صادر،1900).

59- المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي، (ت845هـ/1441م) ،**كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، (ط،2،القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية،1977).

60- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين، (ت 711هـ/1311م)،**لسان العرب**،**(مادة الخزف)**،طبعة جديدة محققة و مشكولة شكلا كاملا ومذيلا بفهارس مفصلة،دار المعارف.

61- موسى علي بن محمد بن عبد الملك بن سعيد، **المطرب من أشعار المغرب**، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).

62- النويري، أحمد بن عبد الوهاب،(ت732هـ/1332م)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق و تعليق علي القسم مغربي، مصطفى أبو ضيف أحمد،(الدار البيضاء: دار النشر المغربية، د.ت).

63- الوزان الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المعروف، بليون الإفريقي، **وصف افريقيا**، ترجمه، محمد حجي، محمد الأخضر، (ط،3، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1983).

64- الونشريسي أحمد بن يحي، (914هـ/1508)، **المعيار المغرب والجامع المغرب في فتاوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب**، تحقيق، محمد حجي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي،1981).

65- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله،(ت 626هـ/1229)، **معجم البلدان**، تحقيق، فريد عبد العزيز الجندي، (بيروت:دار الكتاب العلمية، دار صادر للطباعة و النشر، دار بيروت للطباعة و النشر، بيروت، 1984.

ثانيا/ المراجع :

أ-المراجع العربية:

66- إبراهيم بوتشيش، تاريخ الغرب الإسلامي، **قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع و الحضارة**، (ط،1 بيروت: دار الطليعة، 1994).

67- إبراهيم حركات،**النشاط الاقتصادي في العصر الوسيط**، (الدار البيضاء : إفريقيا الشروق ،1996).

68- إسماعيل العربي، **دولة بني حماد ملوك القلعة و بجاية**، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1980).

69- **الباشا حسين الفنون الإسلامية و الوظائف على الآثار العربية**،(القاهرة: دار النهضة العربية،د.ت).

70- جبران مسعود، **الرائد معجم لغوي عصري**، (ط،6، بيروت: دار العلم للملايين، 1990).

71- جودت عبد الكريم يوسف، **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين**، (بن عكنون/ الجزائر:ديوان المطبوعات الجامعية،1992).

72- الجيلالي عبد الرحمن، **تاريخ الجزائر العام**، (ط،7، الشركة الوطنية للتوزيع، 1990).

73- الحبيب الجنحاني، **دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي و الاجتماعي للمغرب الإسلامي**، (بيروت: دار الطليعة، 1980).

74- حسن حسني عبد الوهاب، **ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية**، (ط، 1، تونس: مكتبة المنار، 1964).

75- حسيني : **دراسة في علم الاجتماع الحضري**، (ط،1،قطر:الدوحة،1960).

76- حمودة حسن علي،**فن الزخرفة**، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،1972).

77- رشيد بورويبة الدولة الحمادية، **تاريخها و حضارتها**، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية و المركز الوطني للدراسات التاريخية، 1977).

78- الشيخلي، صباح إبراهيم سعيد: **الأصناف في العصر العباسي ،نشأتها وتطورها**، بحث في التنظيمات الحرفية في المجتمع العربي الإسلامي، (دار الحرية للطباعة،1976).

79- صفر أحمد، **مدينة المغرب العربي عبر التاريخ**، (تونس: دار النشر بوسلامة، 1959).

80- عبد الرحمن بن صالح الأطرم، **الوساطة التجارية في المعاملات المالية**، أصل هذا الكتاب رسالة دكتوراه أشرف عليها، معالي الشيخ، بكر بن عبد الله أبو زيد،(ط، 1،ط،2 ،الرياض: دار اشبيليا، مركز الدراسات و الأعلام، 1995، 1997).

81- عبد العزيز الدوري، **تاريخ العراق الإقتصادي**، في القرن الرابع الهجري،(ط،2،:بيروت،دار الشروق،1984).

82- عبد الله كامل موسى عبده، **الفاطميون و آثارهم المعمارية في إفريقية و مصر و اليمن**،(بيروت: دار الفكر).

83- عز الدين أحمد موسى، **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري**، (بيروت، القاهرة: دار الشروق).

84- **عقاب محمد الطيب، الأواني الفخارية الإسلامية في العصور الوسطى**، إشراف، رشيد بورويبة،(الجزائر: جامعة ابن عكنون، السنة الدراسية، 1978، 1979).

85- عمر علي زكية،**الزينة عند المرأة في العصر العباسي**،(بغداد،دار الحرية للطباعة،1976).

86- فهمي عبد الرزاق سعد،**العامة في بغداد**، (بيروت: دار الفكر،1982.

87- ابن قربة صالح، **المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد**، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب ،1986).

88- كمال السيد أبو مصطفى، **جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و الدينية و العلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل و فتاوى المعيار المغرب الونشريسي**، (بيروت: دار الفكر، 1997).

89- المنجد في الأعلام، (بيروت: المطبعة الكاثوليكية ش م ل ، 97).

90- المهدي عينيات، **فن صناعة الزجاج الملون و المعشق باستعمال رقائق النحاس الأحمر**، (القاهرة: مكتبة ابن سينا).

91- موسى لقبال: **الحسبة المذهبة في الإسلام في بلاد المغرب العربي**، (ط،1، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1971).

92- ناصيف سعيد ،**المدينة الإسلامية**،دراسة في نشأة التطور، (القاهرة: مكتبة دار الشروق،د.ت).

ب- المراجع الأجنبية المترجمة:

93- جواتيان ف، **دراسات في التاريخ الإسلامي و النظم الإسلامية**، تحقيق، عطية التومي، (ط،1،الكويت: وكالة المطبوعات، 1980).

94- ر.ب. سرنت : **المدينة الإسلامية**، تحقيق: محمد أحمد ثعلب، (د.م، اليونسكو،1983).

95- رسيلد جاك، **الحضارة العربية**-ترجمة غنيم عبدون، مراجعة، أحمد فؤاد الأسواني، (القاهرة: الدار المصرية للترجمة والنشر).

96- روجي إدريس، **الدولة الصنهاجية**-تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من 10الى12م- ترجمة حمادي الساحلي،(بيروت:دار الغرب الإسلامي،1976).

97- موريس لومبار ،**الإسلام في مجده الأول** – القرن" 11،8م " – " 2، 5هـ" ترجمة وتعليق، إسماعيل العربي ، (الجزائر:المؤسسة الوطنية للكتاب،1984).

أ–الدوريات باللغة العربية

98- أحمد حماني، **عباقرة من رجالنا، تزهى بهم الحواضر الصنهاجية**، الأصالة، عدد خاص، بجاية عبر العصور، (الجزائر/قسنطينة: مطبعة البعث، 1979).

99- إسماعيل العربي، **العمران و النشاط الاقتصادي في عصر بني حماد**، مجلة الأصالة، عدد خاص، بجاية عبر العصور،(الجزائر/ قسنطينة: مطبعة البعث، 1979).

100- إسماعيل العربي، **الوراقة في قلعة بني حماد** ، مجلة الأصالة،الجزائر/ قسنطينة: مطبعة البعث، 1979.

101- إقبال موسى، **ميزات بجاية و أهمية دورها في مسيرة، تاريخ المغرب الأوسط في العصور الوسطى**، الأصالة، عدد خاص، بجاية عبر العصور، (قسنطينة: مطبعة البعث، 1974).

102- بجاية، **سلسلة الفن و الثقافة**، (أسبانيا/ مدريد: ألتا ميترا روتوبريس، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1970).

103- بركات إبراهيم، كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، المغرب، مجلة الأصالة.

104- بلغيث محمد الأمين، **مشاركة يهود الأندلس الاقتصادية في عصر المرابطين و دورهم في نقل المعرفة الإسلامية على الغرب**، مداخلة بالملتقى المغاربي حول الأقليات الدينية في المغرب بعد الفتح على نهاية العهد العثماني،5،6، 2003من كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الانسانية بقسنطينة، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، العدد السادس،2005.

105- بنبليح عبد الإله، **الرقيق في الخطاب السياسي المغربي– الأندلسي البسيط**، كلية الآداب، ظهر المهراز، فاس، مجلة الآداب و العلوم الإنسانية، 2005)، العدد السادس، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة

106- ح.ح. عبد الوهاب، **مجلة معهد المخطوطات العربية**، (القاهرة: دار الفكر، 1955).

107- الحناوي محمد، **الأدوات الفلاحية الأندلسية من خلال المصادر " كتب الفلاحة نموذجا**، مجلة الاجتهاد، العدد، 34، 35، السنة التاسعة، 1997، بيروت.

108- فهمي سعد، **العامة في بغداد**،(لبنان: مطبعة الفكر، بيروت، 1982).

109- فهمي، عبد الرحمن، المجلة التاريخية المغربية، العدد، 47

110- محمد بن أبي شنب، **أبو مدين شعيب**، (دائرة المعارف الإسلامية،نقلها إلى العربية،محمد ثابت الفندي،أحمد الشنشاوي،إبراهيم زكي خورشيد،عبد الحميد يونس،1993).

ب- الدوريات الأجنبية المترجمة:

111- إدريس، **فن النقش على الخشب**، (فرنسا/ مركز الدراسات العلمية، ليدن، 1956)، مجلة ارابيكا، العدد،21

112- برنارد لويس: **الطوائف الحرفية الإسلامية** ، مجلة تاريخ الإقتصاد ، المجلد الثامن ،نوفمبر1937 ، 37،20

113- روجي إدريس، **حوليات الدراسات الشرقية**،1954، العدد، 25

114- ماسنيون. ل : **الطوائف الحرفية والمدينة الإسلامية** – المجلة الدولية للسوسيولوجيا ، 1920

الرسائل الجامعية:

115- بوعصبانة سليمان، **معالم الحضارة الإسلامية بورجلان**، (296/ 626هـ/ 909/ 1229م)، ماجستير العلوم الإسلامية، إشراف، محمد ناصر، (جامعة الجزائر: المعهد الوطني العالي لأصول الدين، 1992)، .

116- فاطمة بلهواري، النشاط الاقتصادي في بلاد المغرب خلال القرن الرابع هجري/10م، إشراف، إ،د، عبد الحميد حاجيات، غازي مهدي جاسم الشمري، رسالة مقدمة لنيل شهادة دوكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي الوسيط،(وهران/ جامعة السانية: قسم التاريخ و الآثار، 2005،2004).

117- لواتي دلال، **عامة القيروان في العصر الأغلبي**، (184- 296هـ/ 800- 908م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط،إشراف ، بوبه مجاني، (قسنطينة: كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، 2002).

118- لعرج عبد العزيز، **المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية**،رسالة دكتوراه، (الجزائر: معهد الآثار،2000) .

119- مسعود كوني ابن كواتي، **اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين**، رسالة لنيل شهادة الماجيستر في التاريخ الإسلامي، عبد الحميد حاجيات، 1991).

ج- المراجع باللغة الأجنبية:

120-A.Bel, **Sidi Boumedienne**,(ml. René Basset, Paris)

121-ABDALBASIT B. HALIL ET ADORNE- **Deux Récits de voyage inédits en Afrique du nord au xve siècle** Présentés à la Faculté des Lettres de l' Université de Paris par Robert BRUNCHVIG , ancien élève de l'Ecole Normale Supérieure , agrégé de l'Université , Maître de conférences à la Faculté des Lettres . Thèse complémentaire pour le doctorat ès- Lettres d'Alger PARIS v^{e} LA rose éditeurs 11, RUE VICTOR- Cousin, 1936

122-Bourouiba, **Apports de L' Algérie à l' Architecture Religieuse- Islamique,** Office de publications , Universitaires, Alger,1986

123-Bourouiba R , **l'Art Religieux Musulman en Algérie,**(Alger,1974

124-Bourouiba-R, **Apports de l'Algérie à l'Architecture Religieuse Arabo-islamique, Office de** Publications Universitaire ; Alger;1986,156.

125-Bourouiba. R; **la salle d'honneur du palais ouest du Manar**, in, BAA- tv , 1971

126-Claude Cohen, **Les Peuples Musulmans** dans l' Histoire Médiévale,**(PARIS , 1981)**

127-Féraud;**Histoire des villes de la province de Constantine**, Paris, 1870,1871

128-G.Marçais,**Les Arabes en Berbérie**,Paris,1870,1871

129-**G.Marçais,Manuel** de l'Art Musulman,t2,omel.,1926

130-L.Golvin,**Le Maghreb central à l'époque des Zirides, Recherches d'archéologie et d'histoires**,Alger 1959

131-Marçais, **l'architecture Musulmane d'Occident**, Paris.

132-Marçais.G,et Poissot., **l'objet, kairouanais** ; Notes et Documents, xI, fasc **Tunis,1948 au III** siècle,verrérie,cuivres,paris

133-Marsais,G : **les Faïences à Reflets métallins de la Grande Mosquée de Kairouan** , Paris, 1928

134-Maya-Shatz , Miller, L'organisation du travail dans l'Islam Médiéval , d'après Les Fat-Was, - Le cas Du Miyar.

135-Golvin,Recherches archéologiques à la Qual'a de Beni Hammad , Paris,1965

136-Roger le Tourneau , villes musulmanes de l'Afrique du nord

137-S.G,SELL,G Marçais Histoire d'Algérie.G.y Wer

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهـــارس

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأعلام

(أ)

إبراهيم بن المهدي: 32.

إبراهيم بن موسى المارديني: 160.

إخوان الصفا: 23، 24، 29.

الإدريسي: 8، 55، 69، 70، 83،85.

إسماعيل العربي: 15،140.

إسماعيل بن أحمد)(كرامة):.

إسماعيل سامعي: 19.

ابن أبي زرع: 13.

ابن أبي زيد القيرواني: 163.

أبو إبراهيم إسحاق بن محمد الهزرجي: 127.

أبو الحسن الدباغ: 141.

أبو الحفص الصابوني: 64.

أبو الحفص العطار: 67.

أبو العباس أحمد الشماخي: 10.

أبو العباس الأبياني: 147.

أبو العرب: 9.

أبو الفصل الدمشقي: 22.

أبو الفضل الأزدي: 30.

أبو حامد الغزالي: 24.

أبو حسون: 127.

أبو زكريا بن أبي بكر: 10.

أبو عبد الله (خطاط): 157.

أبو عبد الله الهواري: 148.

أبو عبد الله بن الحسن البجائي: 162

أبو عبد المالك البوني: 9.

أبو عبيد الله الدقاق السجلماسي: 66.

أبو علي (خطاط)، 157.

أبو علي المنصور العزيزي الجوذري: 10.

أبو علي بن العباس الصنهاجي: 126.

أبو علي حسن بن خلدون البلوي: 113.

أبو علي عمر بن عزون السلمي: 143.

أبو محمد عبد الحق بن عطية: 30.

أبو محمد عبد الله بن سعيد: 30.

أبو محمد عبد الله بن علي بن عبد المعطي: 84.

أبو محمد عبد المنعم بن عتيق العنابي: 162.

أبو محند بن سارة: 157.

أبو يزيد خالد بن محمد بن كيداد: 3.

أبي الحسن علي بن عبد الرحمن ابن علي: 29.

أسد بن الفرات: 27.

أم ملال: 32.

(ب)

البجاوي: 55، 132.

برنارد لويس: 15.

البكري: 8، 154.

بلكين بن زيري بن مناد: 93

بلكين بن محمد: 122.

بن تواتي كوفي: 15.

بورويبة رشيد: 60، 124.

(ت)

ابن تومرت(مهدي الموحدين): 58.

تقسوط: 32.

(ج)

الجاحظ: 25.

جبلة بن محمود: 159.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الجنياني: 96.

(ح)

ابن الحاج: (صاحب المدخل): 159.

ابن حوقل: 6، 7، 141، 147.

الحارث بن مروان: 160.

الحبيب الجنحاني: 13.

حسان بن النعمان: 106.

حسن حسني عبد الوهاب: 15، 68.

حسين باشا: 30.

حماد بن بلكين: 3، 135

(خ)

ابن الخطيب: 123.

ابن خلدون: 13،

ابن خلدون: 27، 31، 33، 165.

(د)

الدباغ: 9، 23، 46، 71، 114، 162

الدرجيني: 10، 82.

دلال لواتي: 15.

دوبيلي (الجنرال): 165.

دوما لاتري: 131.

(ر)

ابن رشيق المسيلي: 121.

الروم: 3، 61، 62، 80، 83، 106، 130،

(س)

ابن سعيد المغربي: 8.

سحنون بن سعيد: 12، 141، 145.

(ش)

شبلة: 32.

الشرزديل شيف: 71.

الشهبوط(سمك): 85، 130.

(ص)

ابن الصغير: 144.

(ط)

طارق بن زياد: 81.

(ع)

ابن العزيز يحي: 32.

ابن العطار: 68.

ابن عبد الرحمن عبد الحق الإشبيلي: 162، 182.

ابن عبد الرحمن يحي: 160.

ابن عبد الرفيع: 11.

ابن عتاب: 143.

ابن عذارى: 12.

ابن عرفة: 78، 126، 155.

ابن عمر يحي: 12، 141، 163.

ابن عمران الفاسي: 165.

عبد الرحمن الفلالي: 143.

عبد الله بن خيرة: 142.

عبد المؤمن بن علي:165.

عبد الوهاب بن حسين بن جعفر الحاجب: 122.

عبيد الله المهدي: 119.

عزون (القسيس): 132.

العزيزي الجوذري: 26.

(غ)

الغبريني: 9، 151، 149.

غرغوار السابع(البابا): 104.

(ف)

فاطمة بلهواري: 15.

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفضل البرمكي: 157.

(ف)

ابن فتوح الكتامي: 160.

ابن فرحون: 9.

(ق)

القائم بأمر الله: 93.

القاضي عياض: 9، 43، 96، 115.

القزويني: 11.

القلقشندي: 72.

قولفن: 101.

قولفن: 14.

(ك)

كلود كيهان: 33، 134.

(ل)

اللخمي: 11.

لعرج عبد العزيز: 15.

لقبال موسى: 15.

لويس ماسنيون: 15.

(م)

ابن محمد القرشي عبد العزيز: 160.

ابن مروان يحي: 160.

ابن منصور القلعي: 162.

المازري: 34.

المالكي: 9.

الماوردي: 12.

محمد بن الحسن الشيباني: 79.

محمد بن الليث: 142، 155.

محمد بن يوسف الوراق: 7.

محمود عبد العزيز مرزوق: 102.

مريم العذراء: 132.

المعزلدين الله الفاطمي: 10.

المقدسي: 7.

المقري أحمد التلمساني: 11.

المقريزي: 10.

المنصور بن علناس: 110، 133، 135.

المهدي (ابن تومرت): 11، 123.

موسى بن نصير: 81.

ميشون: 132.

(ن)

ابن النديم: 157.

الناصر بن علناس: 61، 64، 104، 131، 132، 135، 133، 150.

النعمان بن محمد، 11.

النويري: 93.

(و)

الوريسطي: 92.

الونشريسي: 11، 19، 147، 154.

(ي)

ياقوت: 8

يعقوب العطار: 68.

اليعقوبي: 8، 95، 119.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأماكن

(أ)

الأربس: 92، 94.

أرزاو: 93، 94.

أشير: 24، 28، 35.

الأغالبة: 5.

الأندلس: 3، 12، 14، 142.

أوروبا: 131، 132، 158 .

(ب)

إفريقية: 29، 35، 158، 165.

إيطاليا: 93، 158.

باب البحر: 107، 145.

باغاي: 165.

بجاية: 2، 3، 4، 7، 8، 9، 11، 12، 14، 15، 16، 17، 20، 30، 32، 40، 47، 48، 55، 56، 59، 60، 64، 93، 97، 98، 101، 102، 103، 105، 106، 107، 108، 110، 113، 120، 121، 122، 123، 125، 129، 130، 132، 133، 134، 135، 140، 143، 145، 148، 149، 152، 153، 158، 162.

بحر الروم: 3، 107، 131، 132.

برقة: 47، 132.

بريكة: 109.

بسكرة: 38، 60، 87،92، 113، 134.

بغداد: 22، 31، 179.

بلاد الجريد: 10.

بلنسية: 30.

البندقية: 3، 61، 62، 104، 108، 133.

بونة : 40، 46، 55، 62، 73، 80، 82، 86، 130، 132، 133، 140، 159.

بيزا: 104، 108، 132.

(ت)

تدلس: 80، 128.

ترنوط: 70.

تلمسان: 87، 131.

تنس: 46، 48، 55، 61، 68، 73، 82، 108، 112، 158.

تونس: 6، 9، 106، 119.

تيزي : 48، 98.

تيهرت: 61، 66، 73، 74، 82، 86، 140، 144.

(ث)

ثاكلات: 76.

(ج)

جبال البابور: 82.

جبال الرحمة: 60، 106.

جبال كتامة: 80، 93.

جبل نفوسة: 10.

جزائر: 2، 28، 30، 105، 107، 108، 125، 132.

جلولاء : 70.

جنوة :3، 104، 108، 132.

جيجل: 20، 49، 80، 83، 85، 92، 93، 94، 98، 129.

(ح)

الحجاز: 31.

(د)

دلس: 84.
دون جوان: 30.

(ر)

رقادة : 119.
روما : 61.
ريغة : 74.

(ز)

الزاب : 82.
الزان (غابات): 62.
زويلة :144.
زقالة : 163.

(س)

سبيبة : 75.
سجلماسة : 42، 86.
سرتا : 20.
سمرقند : 157.
السودان : 35 .
السوس : 69، 70.
سوسة : 40، 75.
سيدي عقبة : 60، 87.
سيرتا : 66.
السيليكت : 109.

(ش)

الشام : 31.
شرشال : 48، 108.
الشلف :7.

(ص)

صبرة المنصورة : 35، 41، 110.
صفاقس : 147.
صقلية : 63، 80، 142.
الصين : 131.

(ط)

طبنة : 38 40، 46، 60، 64، 73، 75، 82، 92، 109، 119، 120.
طرابلس : 39، 131.
طنجة : 82، 106.

(ع)

العراق : 35.
عنابة : 83، 94.
عين زياد : 94.
عين مخلد : 66.

(ف)

فاس : 13.

(ق)

قابس : 40، 70.
القاهرة : 10، 34 .
قرطبة : 26، 134.
القسطنطينية : 131.
قسنطينة : 20، 98، 100، 101، 124، 130، 131، 134، 142 .
قصر البحر: 97، 98، 120.
قصر اللؤلؤة : 97.
قصر المنار : 97.
القل : 98.
قلعة بني حماد : 14، 96، 109، 131، 149، 178.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

القلعة : 2، 4، 8، 11، 12، 14، 15، 16، 17، 20، 28، 30، 34، 35، 92، 96، 97، 98، 100، 102، 103، 105، 109، 110، 113، 120، 121، 129، 130، 131، 132، 133، 134، 135، 140، 141، 142، 143، 145، 150، 158، 159، 162، 163، 165.

القيروان: 5، 9، 12، 15، 17، 143،158.

(ل)

لواتة : 92، 94.

(م)

المغرب : ، 2، 3، 6، 7، 8، 10، 11، 12، 13، 14، 15، 38، 39، 41، 42، 43، 45، 46، 47، 48، 50، 59، 63، 64، 65، 66، 67، 68، 69، 70، 71، 72، 73، 75 ، 76، 77، 78، 80، 81، 82، 83، 84، 85، 86، 87، 88، 142، 143، 150، 159، 163.

مالقة : 154.

متوسة : 98.

متيجة : 40، 66.

مجانة : 91، 92، 95.

مدريد : 30.

مدينة الغدير : 66.

مرسى الخزر : 85.

مرسى الدجاج : 55، 80، 83، 141..

المرسى الكبير : 83.

المرية : 30.

مزاتة : 82.

مسيلة : 7، 20، 92، 98، 101، 120، 121، 131، 134، 143، 159.

مصر : 2، 31، 106، 108، 110، 112، 131.

المعاضيد : 20.

المغرب الأقصى : 70، 93، 142.

المغرب الأوسط : 2، 3، 7، 10، 12، 13، 14، 15، 16، 17، 19، 28، 29، 33، 40، 46، 51، 52، 53، 56، 57، 59، 61، 62، 63، 72، 75، 82، 83، 84، 86، 87، 100، 106، 108، 112، 119، 130، 131، 133، 158،165

المهدية : 35، 158، 158 .

ميلة : 82، 98.

(ن)

الناصرية :107، 132.

(هـ)

(و)

وادي الصومام :7، 83.

الوادي الكبير : 83.

وادي سهر : 83.

ورقلة: 82.

ورجلان: 148.

وهران : 46، 61، 62.

وادي المسيلة : 7.

وادي الشلف : 7، 83، 84.

وادي سيبوس : 83.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس القبائل و الشعوب

(أ)

أمويين : 3.

(ب)

البربر : 81، 178.

بني العباس : 18.

بني أمية : 18.

بني حماد : 2، 4، 10، 11، 14، 30، 31، 39، 40، 45، 48، 52، 53، 54، 55، 56، 57، 61، 63، 64، 65، 72، 74، 76، 77، 78، 81، 82، 83، 84، 85، 86، 87، 88، 92، 93، 94، 95، 96، 98، 108، 109، 111، 120، 121، 123، 126، 130، 131، 132، 133، 151، 152، 153، 158.

بني زندوي : 93.

بني زيري : 14.

بني مزغنة : 28، 107، 108.

بني مقلة : 178.

بني هلال : 147.

(د)

الدولة الصنهاجية : 14.

دولة المرابطين: 13.

(ر)

الرستميون : 83.

(ز)

الزيريين : 3، 12.

(س)

سطيف :55، 143.

(ص)

(ع)

العرب : 67، 81، 157.

(ف)

الفاطميون : 2، 13، 35، 107، 109 .

الفرنسيون : 125.

(ق)

قريش : 24.

(ك)

كتامة : 20،93.

(م)

الموحدين : 15، 123.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الموضوعات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الموضوعات

مقدمة..... 1-20
الفصل التمهيدي : الحرف والمجتمع..... 22-36
1- مفهوم الحرفة والصنعة..... 22
2- نظرة المجتمع إلى الحـــرف..... 24
3- الحرف و الحرفيون في العالم الإسلامـــي..... 28
4- الصناعات بالمغرب الأوسط..... 34
الفصل الأول : الحرف المعتمدة على الموارد الزراعية و الحيوانية 37-88
1- توطئـــــة..... 38
2- حرفة النسيـــــج..... 38
3- حرفة القزازة..... 42
4- حرفة الخياطة..... 43
5- حرفة الجلود..... 44
6-صناعةالأحذية..... 46
7- الصناعة الغذائية..... 48
8- صناعة الحلويات..... 58
9- الصناعة الخشبية..... 60
10- حرفة فن النقش على الخشب..... 63
11- حرفة البناء و البنائين..... 64
12- صناعة الصابون..... 65
13- حرفة صناعة المطاحن..... 66
14- العطارون و أصحاب العقاقير..... 67
15- حرفة تكرير السكر..... 69
16- حرفة الصباغة..... 70
17- حرفة الجزارة..... 72
18- الفرانون..... 77
19- الحبالون..... 79
20- حرفة صنع السلال أو القفف من الديس..... 80

21- حرفة الرعي.....81
22- حرفة الصيد البحري.....83
الفصل الثاني: الحرف المعتمدة على الموارد المعدنية وحرف أخرى..... 89-135
أولا: الحرف المعتمدة على المواد الباطنية.....91-113
1-توطئة.....91
2- حرفة استخراج المعادن.....92
3- حرفة استخراج الطين.....95
4- حرفة الحجارة و المحاجر.....95
أ-الرخام..... 96
ب-الجبس..... 97
5- حرفة صناعة الحلي.....98
6- حرفة صناعة الدبابيس.....100
7- حرفة صناعة الفخار و البلسميات.....102
8- حرفة صناعة المراكب و السفن.....106
9- حرفتي الزجاج و زخرفته.....108
10- حرفة صناعة الأدوات الفلاحية.....110
11- حرفة صك أو ضرب النقود.....112
ثانيا: الحرف المرتبطة بالزراعة..... 114-120
1- حرفة المزارعة.....114
2- حرفة المغارسة أو الغرس.....116
3- حرفة السقي أو الري.....118
ثالثا: حرف أخرى..... 120- 135
1- حرفة صناعة السروج و الأجلمة.....120
2- حرفة صناعة إلشمع.....122
3- حرفة صناعة الآلات الموسيقية.....122
4- حرفة التطبيب.....123
5- حرفـــة الزخرفة.....124
6- حرفة الوقاد بالمساجد.....124
7- الحمالون.....126
8- باعة الطعام.....128

9- الحرفيون من أهل الذمة.....130
الفصل الثالث : الحرف المتصلة بالسوق..... 136-169 .
أولا- توطئة.....136
ثانيا-الحرفيون التجار في عصر الدولة الحمادية.....140
1 - الباعة في الأسواق.....140
I- الخزانون..... 141
II- الركاضون..... 142
III- المجهزون..... 142
IV- الباعة القارون..... 143
V- الباعة المتجولون.....145
2- الحطابون.....145
3- الوسطاء (الدلالون أو السماسرة)..... 160
4- الحرفيات من النساء..... 163

ثالثا- حرفة صناعة المكاييل و الموازين.....151
رابعا- الصناع الأجراء.....152
خامسا: الحرف المتصلة بالكتابة..... 157
1- حرفتي الوراقة و التحليد..... 157
2- حرفتي النسخ و الخط..... 160
أ- حرفة الخطاطين.....160
ب- حرفة النساخين.....161
3- حرفة التوثيق.....162
سادسا: المحتسبون و المكاسون.....164
1- المحتسبون.....164
2- المكاسون.....166
خاتمة.....170
الملاحق.....175
قائمة المصادر و المراجع.....195
فهارس.....208

فهرس الموضوعات.....218

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية